شرائح قصصية سليمانية

(الجزء السادس)

من القصة الأولى بعد المائة

(الخامسة حتى القصة الستمائة)

نحو قصة عربية أصيلة وهادفة وبناءة وجادة

ومحترمة

بقلم

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

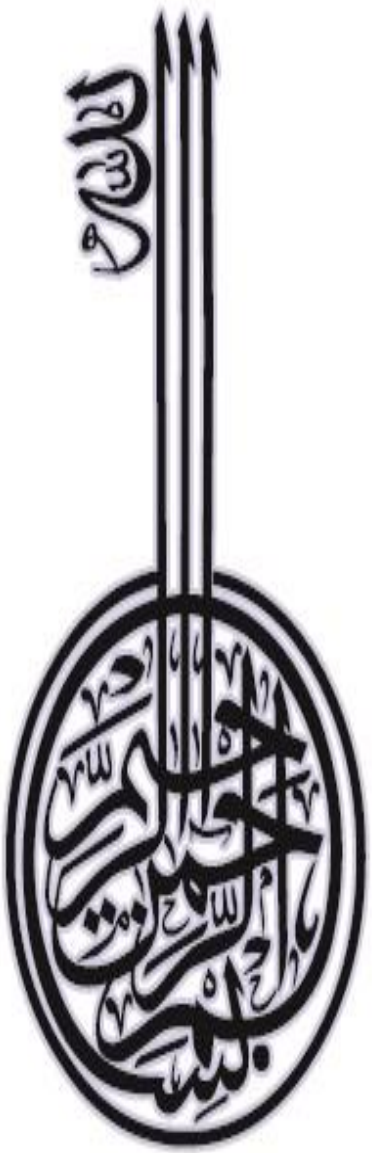

الإهداء!

(أهدي هذه الشريحة القصصية ، إلى هواة القصة والباحثين عن

العبرة فيها ، ليتأملوها وليتدبروها ، وليعملوا بمقتضاها!)

مع خالص احترامي وتقديري

الكاتب الفقير إلى الله والراجي عفوه ومغفرته /

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

(كاتب أهل الصعيد)

1 - جانب من حياة نوح عليه السلام

(جاء في كتاب: (المُدْهش لابن الجوزي) ، وتحديداً في القسم الأول من الكتاب وهو المختص بذكر القصص وفيه ست وعشرون قصة أوردها ابن الجوزي – رحمه الله – تأتي هذه القصة: (الفصل الثالث في قصة نوح عليه السلام - يقول: لما عم أهل الأرض العمى عما خلقوا له ، بعث الله تعالى نوحاً بجلاء أبصار البصائر ، فمكث يداويهم (ألف سنة إلا خمسين عاماً) ، فكلهم أبصر ولكن عن محجة الله تعالى فلاح للملاحي عدم فلاحهم ، فولاهم الصلا يأساً من صلاحهم ، وبعث شكاية الأذى في (مسطور أنهم عصوني) ، فأذن مؤذنُ الطرد على باب دار إهدار دمائهم (أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن) ، فقام نوح في محراب (لا تذر) فأتته رسالة (أن اصنع) ، ونادى بريد الإعلام بالغضب (ولا تخاطبني) ، فلما أن هال كئيب الإمهال وانقطع سلك التأخير غربت شمس الانتظار ، فادلهمت عقاب العقاب ، فلما انسدلت الظلمة وفات النور (فار التنور) ، فقيل: يا نوح قد حان حين الحين فاحمل (فيها من كل زوجين اثنين) فتخلف خلف نوح خلفٌ من ولده ، فمد يد الحنو ليأخذ بيده (يا بني اركب معنا) ، فأجاب عن ضمير خايض في مساء المساوي (سأوى) ، فرد عليه لسان الوعيد (لا عاصم) ، فلما انتقم من العصاة بما يكفي كفت كف النجاة كفة الأرض بقسر (ابلعي) وقلع جذع جزع السماء في وكف دمعها بظفر (اقلعي) ، ونوديت نجوة الجودي جودي بإنجاء غرقى السير ، وزود الهالكون في سفر الطرد زاد (وقيل بعدا)!).هـ. طبعاً لا يخفى أنه في هذه القصة القصيرة عمد ابن الجوزي في مدهشه إلى التلميح دون التصريح معتمداً في ذلك على علم قارئه بالقرآن!

2 - زهرة من بستان فاطمة بنت أسد

(إنها الصحابية الجليلة والباذلة المعروف الفضيلة أم على بن أبي طالب رضي الله عنها! إنه لما ماتت فاطمة بنت أسد خلع النبي (صلوات ربي وسلامه عليه) قميصه وكفنها به ونزل قبرها يحفر ويوسع التراب بيده! وخرج وعينه تفيض من الدمع عليها؟ ودعا لها بأن تبعث وهي كاسية فهي مكفنة بقميص نبينا صلى الله عليه وسلم؟ ولمَّا سوَّى عليها التراب قال بعضهم: يا رسول الله ، رأيناك صنعت شيئًا لم تصنعه بأحدٍ ، فقال: «إِنِّي أَلْبَسْتُها قَمِيصِي لِتَلْبَس مِنْ ثِيَابِ الْجَنَّةِ ، ونزلت مَعَهَا فِي قَبْرِهَا لَيُخَفَّف عَنْهَا مِن (ضَغْطَة الْقَبْرِ) ، إنها كانت أحسن خلق الله صنيعاً بي بعد أبي طالب)! حبيبي أنت يا رسول الله ، تحمل المعروف لمن لم يقدمه لك فكيف بامرأة حوى معروفها طفولتك؟ فمن هي تلك المرأة التي نالت شرف تكفينها في قميص سيد البشرية وخير من دب علي الأرض؟ إنها فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف القرشيَّة الهاشميَّة ، زوجة أبي طالب عم النبي وأم الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، كان النبي يعيش في كنف جده عبد المطلب حتى الثامنة من عمره ، وتحديدًا عندما توفي جده حيث انتقل لبيت عمه أبي طالب! فاحتضن هذا البيت النبي ، واحتضنته امرأه عظيمة ألا وهي فاطمة بنت أسد فاعتبرته أحد أبنائها ، بل وأكثر ، وفي بعض الروايات أنها كانت تُحب النبي أكثر من أبنائها! فعندما توفي عبد المطلب جاء أبو طالب لفاطمة وقال لها: اعلمي أنّ هذا ابنُ أخي ، وهو أعزّ عِندي من نَفسي ومالي ، وإيّاكِ أن يتعرّض علَيه أحدٌ فيما يريد ، فتبسّمت من قوله وقالت له: توصيني في وَلدي محمّد ، وإنّه لأحبُّ إليّ من نفسي وأولادي؟! ففرح أبو طالب بذلك. واعتَنَت فاطمةُ بالنبي وأوْلَتْه رعايتها وحبّها ، وكانت تُؤثِره على أولادها في المطعم والملبس ، لأنها كانت تقدر أنه يتيم ، فكانت تعطيه ما يريد وكان لها اهتمام بالغ به أكثر

من أبنائها! وكانت أيضًا تغسّله بالماء وتدهن شَعره وتُرجّله وتطيبه ، وكان النبي يحبّها ولا يناديها إلاّ بـ (أمّي) لأنه لم يلاق اهتماماً كهذا إلا من أمه فاطمة بنت أسد! ومن شدة حبها للنبي عليه الصلاة والسلام أنه عندما تزوج السيدة خديجة دفعت إليه فاطمة بفلذة كبدها ابنها عليّ بن أبي طالب ليكون في ولايته صلي الله عليه وسلم بعد زواجه من أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ، فكيف ردَ لها النبي عليه الصلاة والسلام جزءًا من أفضالها؟ حيث إن النبي عليه الصلاة والسلام سمى ابنته فاطمة على أسم هذه المرأة العظيمة التي كان يناديها بأمي! ولما أهدي رجلٌ للنبي – صلى الله عليه وسلم - ثوباً من الحرير فقال عليه الصلاة والسلام: (اجعلها خُمرًا بين الفواطم الأربع ، فشقها أربعة أخمرة ، خمارًا لفاطمة الزهراء ابنته ، وخماراً لفاطمة بنت أسد زوجة عمه أبي طالب مربيته ، والثالث لفاطمة بنت حمزة بن عبدالمطلب ، والرابع لفاطمة بنت شيبة بن عبد شمس زوج عقيل بن أبي طالب! أسلمت فاطمة بنت أسد بعد وفاة زوجها أبي طالب ، ثم هاجرت مع أبنائها إلى المدينة ، وكانت رضي الله عنها راويةً للحديث ؛ روت عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم ستَّةً وأربعين حديثًاً ، فكان النبيُّ صلى اللَّه عليه وسلم يزورها وينام في بيتها بعض الأحيان. وسمعت فاطمة رسول الله صل الله عليه وسلم يقول: يبعث الناس يوم القيامة عراة. فقالت: وسوأتاه. فقال لها صل الله عليه وسلم: إني أسأل الله أن تبعثين كاسية. وقال أنس بن مالك: لمـَّا ماتت فاطمة بنت أسد دخل عليها رسول الله فجلس عند رأسها فقال: (رحمكِ الله يا أمي كُنتِ أمي بعد أمي ، تجوعين وتشبعيني وتعرين وتكسيني وتمنعين نفسكِ طيبًا وتطعميني وتريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة)! وقال: «اللهُ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ اغْفِرْ لِأُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ وَلَقِّنْهَا حُجَّتَهَا وَوَسِّعْ عَلَيْهَا مُدْخَلَهَا)! اللهم صل وسلم وبارك علي نبينا وحبيبنا وشفيعنا محمد ، عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون ، وارض اللهم عن أصحابه الأطهار الأخيار ، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والتابعين لهم بإحسان إلي يوم الدين❤

3 - جراهام بل

(ولد ألكسندر جراهام بيل (بالإنجليزية: Alexander Graham Bell) في مدينة إدنبرة ، إسكتلندا في 3 آذار لعام 1847م ، كان والده أستاذاً جامعياً في جامعة إدنبرة ، أما والدته فكانت عازفة بيانو ، تلقى ألكسندر تعليمه الأولي في المنزل على يد والده ، من ثم التحق بالتعليم المدرسي ، ولم يكن ألكسندر طفلًا مولعًا بالدراسة أو التعليم. بل كان يهتم بإيجاد الحلول للكثير من المشاكل التي كانت تواجهه أو تواجه غيره وكان ذلك في سن مبكرة للغاية ، يبدو أن أول شيء اخترعه ألكسندر كان جهاز يمكنه إزالة حبوب القمح بسهولة ، وكان حينها في 12 من العمر ، وفي سن 16 بدأ ألكسندر بدراسة آليات الكلام والأصوات. قررت العائلة الانتقال إلى لندن خلال عام 1865م ، حيث تمكن ألكسندر من اجتياز امتحانات القبول في جامعة لندن ، ولكنه لم يكمل الدراسة فيها ، وفي عام 1870م قررت العائلة الهجرة إلى كندا بعد وفاة شقيقي ألكسندر الأكبر والأصغر بمرض السل ، وفي عام 1871م انتقل ألكسندر بيل إلى بوسطن ، حيث بدأ الدراسة في مدرسة بوسطن للصم والبكم. وبعد أن أكمل دراسته في مجال الصم والبكم متأثرًا بحالة والدته التي كانت صماء تقريبًا ، بدأ العمل في العديد من المدارس الخاصة بالصم مثل مدرسة كلارك ، وخلال عمله في هذه المدرسة التقى بالطالبة مابيل هوبارد ابنة مؤسس مدرسة كلارك ، وكانت قد أصيبت بالصمم في سن 5 نتيجة إصابتها

بالحمى. ويبدو أنه أحبها وفي عام 1877م قرار الارتباط والزواج بشكل رسمي وأنجب 4 أطفال من هذا الزواج اثنان منهما توفيا في سن الطفولة ، وطور بيل دراسته وأبحاثه في مجال الصوتيات والتخاطب. وفي سن 26 أصبح أستاذا لعلم وظائف الأعضاء الصوتية والتخاطب في كلية الخطابة في جامعة بوسطن على الرغم من أنه لم يحصل على شهادة جامعية. فماذا عن ألكسندر جراهام بيل واختراع الهاتف؟ إنه أثناء قيام بيل بتدريس الطلبة الصم ، بدأ العمل والبحث عن إمكانية إرسال رسائل التلغراف في وقتٍ واحد عبر سلك واحد ، وهو الأمر الذي مهد في نهاية المطاف إلى اختراع الهاتف ، في ذلك الوقت كانت جهود ألكسندر بيل منصبة حول نقل الصوت البشري إلى الآخرين عبر الأسلاك. وفي عام 1875م توصل بيل إلى اخترع جهاز استقبال بسيط الشكل يمكنه تحويل الكهرباء إلى صوت ، بمساعدة شركة توماس واتسون ، وفي ذات لوقت كان هنالك علماء آخرون يعملون على تقنيات مشابهة لعمله ، ولكن يبدو أن بيل كان الأسرع في تسجيل براءة الاختراع لكي يضمن حقوقه ، وفي عام 1876م حصل على براءة اختراع الهاتف. وبحلول عام 1877م تم إنشاء شركة بيل للهواتف ، وفي عام 1915م أجرى بيل أول مكالمة له كانت مع واتسون من نيويورك إلى سان فرانسيسكو ، وقد شغل بيل مركز مستشار فني لهذه الشركة إلا أنه فقط اهتمامه بها ففي أوائل ثمانينيات القرن 19 باع معظم أسهمه في الشركة. وخلال عام 1877م وأثناء سفر ألكسندر وزوجته إلى بريطانيا لقضاء شهر العسل ، حاول الترويج لجهازه الجديد الذي اخترعه ، كما أنه قام بعرضه على الملكة فيكتوريا التي يبدو أنها استمتعت به كثيرًا وطلبت الإبقاء عليه في بريطانيا. إن قصة بيل قصة كفاح وجد ، فهل وعى ذلك الكسالى من الناس؟ أولئك الأقوام الذين ينتظرون أن تسقط السماء عليهم ذهباً وفضة!

4 - الحمامتان والسلحفاة

(يُحكى أن حمامتين جميلتين قررتا السفر والابتعاد عن الغدير الذي عاشتا إلى جانبه طويلاً وذلك بسبب شح الماء فيه ، فحزنت صديقتهما السلحفاة ، وطلبت منهما أن تأخذاها معهما ، فأجابتها الحمامتان بأنها لا تستطيعان الطيران ، فبكت السلحفاة كثيراً ، وتوسلت لهما بأن تجدا طريقة لنقلها معهما! ففكرت الحمامتان كثيراً ، وقررتا حملها معهما ، فأحضرتا عوداً قوياً أمسكت كل واحدة منهما به من طرف ، وطلبتا من السلحفاة أن تعض على هذا العود حتى تطيرا بها ، وحذرتاها من أن تفتح فمها مهما كلّف الأمر ، لأن ذلك سيؤدي إلى سقوطها. وافقت السلحفاة على ذلك ، ووعدتهما بأن تنفذ ما طلبتاه منها ، وطارت الحمامتان فوق الغابة ، إلى أن رأى بعض الناس الحمامتين والسلحفاة ، فقالوا: يا للعجب حمامتان تحملان سلحفاة وتطيران بها! لم تستطع السلحفاة تمالك نفسها فقالت: فقأ الله أعينكم وما شأنكم أنتم! فسقطت بعد أن أفلتت العود من فمها وتكسرت أضلعها ، وقالت باكية: هذه هي نتيجة كثرة الكلام وعدم الوفاء بالوعد. ألا وإن الدرس المستفاد من هذه القصة الرامزة هو: أن لا نتكلم كثيراً فيما لا يفيد ، وينبغي أن نفي بوعودنا للآخرين! وتلك خصلة سيئة من خصال المنافقين أشار إليها القرآن الكريم في غير ما آيةٍ من آياته ، كما أشار إليها الحديث الشريف في غير موضع!)

5 - غاندي وفردة الحذاء

(يُحكى أنّ المهاتما غاندي كان يركض بسرعةٍ ليلحق بالقطار ، والذي كان قد بدأ في التحرك ، ولكنّ إحدى فردتي حذائه سقطت أثناء صعودِه على متن القطار ، فخلع فردة حذائه الثّانية ، ورماها قريباً من الفردة الأولى ، فاستغرب أصدقاؤه وسألوه: "لماذا رميت فردة حذائك الأخرى؟" فقال غاندي: "أردتُ للفقير الذي يجد الحذاء أن يجد الفردتين كي يكون قادراً على استخدامهما ، فهو لن يستفيد إن وجد فردةً واحدةً ، كما أنّني لن أستفيد منها أيضاً! ألا وإن الدرس المستفاد من هذه القصة هو: أن محاولة تعدي الخير للغير ينبغي أن تكون طابعاً ومنهجاً لنا في الحياة ، فلا نعيش أنانيين أراذل لأنفسنا فقط!)

6 - انتحار عواقبه قاسيه!

(كان صاحب هذه القصة رجلاً مسلماً تجاوز عمره الخمسين عاماً. حصل على شهادة الدكتوراه في تخصصه وهو المختبرات وأنشأ مختبرا للتحاليل الطبية وعمل فيه بنفسه ... له زوجة وأبناء بعضهم يدرس في الجامعة. وقعت بينه وبين زوجته بعض المشكلات العائلية كما يقع في كثير من العوائل ، تطورت هذه المشكلات حتى طلبت منه زوجته العودة إلى بلدها الأصلي ، علماً بأن صاحب القصة ليس من نفس البلد ... غادرت الزوجة مع أبنائها لتقيم هنالك ولم يبق معه أحد إلا ابنه الأكبر الذي كان يتردد عيه بين فترة وأخرى... نصحه بعض أقاربه بالزواج بأخرى ، لكنه رفض على أمل أن تعود إليه زوجته وأبناؤه ... وبعد مرور عام تقريباً على مغادرتها ضاقت الدنيا في وجهه وبدأ الشيطان يزين له التخلص من هذه الحياة التعيسة ويرغبه في الانتحار ... حاول الانتحار أكثر من مرة عن طريق تعاطي كمية كبيرة من الحبوب ... ولكن لم تنجح محاولاته في كل هذه المرات حيث ينقذه بعض من حوله ، ويدخل إلى المستشفى ويعمل له غسيل معدة ويخرج إلى الحياة من جديد ، وهكذا تكررت محاولاته ولكن دون جدوى .... وأصيب الرجل بعد ذلك بحالة نفسية اضطرته للدخول إلى المستشفى والبقاء في قسم الأمراض النفسية قرابة الشهر ... وخرج من المستشفى بمعنويات مرتفعة وهمة عالية وحماس للعمل وأزيلت من ذهنه فكرة الانتحار تماماً ، وعاد الرجل إلى عمله في المختبر وسارت الأمور بشكل طبيعي .... وبعد ذلك بحوالي ثمانية أشهر وفي ذات ليلة يتصل هذا الرجل على أخيه الأكبر وهو في مدينة تبعد عنه قرابة أربعمائة كيلومتر ... ظن أخوه بأنه يتصل علي كالمعتاد للاطمئنان عليه ... ولكنه أبلغه بعزمه على السفر إلى زوجته وأبناءه في القريب ... وأبلغه في هذه المكالمة عن جميع المعلومات الخاصة به مثل حسابه في البنك والأرقام السرية الخاصة وأماكن وجود مستنداته الخاصة وغير ذلك ... استغرب الأخ من ذلك وشعر بأنه يودعه توديعاً نهائياً وكأنه سيغادر دون عودة ... وفي اليوم التالي وكان ذلك يوم الخميس 1421/11/21هـ خرج إلى عمله بالمختبر في الفترة المسائية ، وكانت الساعة حوالي الخامسة وأبلغ ابنه الأكبر الذي يبلغ من العمر عشرون عاماً بأن يتبعه إلى المختبر بعد نصف ساعة ، وكان المختبر بالقرب من المنزل. وبالفعل ذهب الابن إلى المختبر كما طلب منه والده فوجد والده جالساً في المكتب الخاص بالمختبر ... وبعد وصول الابن بدقائق قال صاحب القصة لولده: ابق هنا حتى أذهب إلى دورة المياه وكان يفصل بينها وبين المكتب ممر طوله حوالي عشرة أمتار ... جلس الابن في المكتب ينتظر عودة والده .... وبعد عدة دقائق من الانتظار وجد دخان يخرج من جهة الممر المؤدي إلى دورة المياه خرج مسرعاً جهة مصدر الدخان فوجده

في داخل دورة المياه واشتد الدخان في الممر فلم يتمكن من الوصول إلى دورة المياه ... اتصل مسرعا بالمطافئ وكان موقعهم قريباً من المختبر ، وما هي إلا دقائق وإذا بهم في داخل المختبر ... بدأ رجال الإطفاء بعملهم ، وكسروا الباب الخاص بدورة المياه ، وإذا بهم يجدون الرجل والنار قد التهمت جسده وأصبح متفحماً تماماً ، أما دورة المياه فقد سقط بعض البلاط (البورسلان) منها من شدة الحرارة ولم يحترق أي شيء آخر سوى أجزاء من الباب ، ووجدوا في إحدى زوايا دورة المياه جالوناً قد احترق جزءاً منه وبداخله كمية قليلة من البنزين ... عندها عرف الجميع بأن الرجل أحرق نفسه بواسطة البنزين ليتخلص هذه الحياة التعيسة في نظره ويرتاح منه همومها وغمومها ... وهكذا نجحت محاولته للانتحار في هذه المرة وقتل نفسه شر قتله ، فهل سيجد سعادته وراحته من هذه الدنيا في مكان آخر؟ هل أنهى تعاسته وشقاء؟ كلا وألف كلا إنه قدم نفسه إلى تعاسةٍ أبديةٍ وشقاءٍ دائم ونار لا تنطفئ نسأل الله السلامة والعافية.)

7 - وكفى بها نعمة!

(وفي كتاب: (رجال ونساء أسلموا!) وهو من إعداد الأستاذ الأديب: عبد الرحمن محمود ، كانت القصة بتفاصيلها وبالنص مع تصرف زهيد: (ماذا أستاذ اللاهوت المسؤول عن تنصير الناس؟! كان هذا هو الموجز ، وإليكم الأنباء بالتفصيل: كان هذا الرجل يعمل راعي الكنيسة الإنجيلية وأستاذ العقائد و اللاهوت بكلية اللاهوت حتى عام 1953 م ، ثم سكرتيراً عاماً للإرسالية الألمانية السويسرية ، ومبشراً بين المسلمين حتى عام 1955 م... وكان قد حصل على المؤهلات المتخصصة في اللاهوت ، فحصل باجتهاده على دبلوم كلية اللاهوت الإنجيلية عام 1948 م ، ثم ماجستير في الفلسفة و اللاهوت من جامعة "برنستون" بالولايات المتحدة الأمريكية عام 1952 م. ويتحدث "إبراهيم خليل أحمد" عن قصة دخوله الإسلام فيقول: "في إحدى الأمسيات من عام 1955 م سمعت القرآن مذاعاً بالمذياع ، وسمعت قوله تعالى: {قل أوحيَ إليّ أنه استمع نفرٌ من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً}. وكانت هاتان الآيتان بمثابة الشعلة المقدسة التي أضاءت ذهني وقلبي للبحث عن الحقيقة .. وفي تلك الأمسية عكفت على قراءة القرآن حتى أشرقت شمس النهار ، وكأن آيات القرآن نورٌ يتلألأ ، وكأنني أعيش في هالةٍ من النور .. ثم قرأت مرة ثانية فثالثة فرابعة حتى وجدت قوله تعالى: {الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون}. ومن هذه الآية قررت أن أقوم بدراسة متحررة للكتاب المقدس ، وقررت الاستقالة من عملي كقسيس وسكرتير عام للإرساليات الأمريكية. ولما نفذت قراري تآمر عليّ مجموعة أطباء وأشاعوا أنني مختل العقل ، فصبرت وصمدت بكل ثقةٍ في الله تعالى ، فسافرت مرتحلاً حيث عملت بشركة للمبيعات "استاندرد ستاشينري" ، وفي أثناء عملي بها طلب مني مدير الشركة طبع تفسير جزء عم باللغة الإنجليزية ، فتعهدتُ له بإنجاز هذا العمل ، وكان يظنني مسلماً ، وحمدت الله أنه لم يفطن لنصرانيتي ، فكانت بالنسبة لي دراسة إسلامية متحررة من ثياب الدبلوماسية ، حتى شرح الله صدري للإسلام ، ووجدتُ أنه لابد من الاستقالة من العمل كخطوة لإعلان إسلامي ، وفعلاً قدمت استقالتي في عام

1959 م ، وأنشأت مكتباً تجارياً ونجحت في عملي الجديد. وفي 25 ديسمبر عام 1959 م أرسلت برقية للإرسالية الأمريكية بأنني آمنت بالله الواحد الأحد وبمحمد نبياً ورسولاً ، ثم قدمت طلباً للسير في الإجراءات الرسمية .. وتم تغيير اسمي من "إبراهيم خليل فيلبس" إلى "إبراهيم خليل أحمد" ، وتضمن القرار تغيير أسماء أولادي على النحو التالي: إسحاق إلى أسامة ، وصموئيل إلى جمال ، وماجدة إلى نجوى." ثم يلتقط أنفاسه ليعاود سرد قصته ورحلته للإيمان بالإسلام ، فيقول عن المتاعب التي تعرض لها: "فارقتني زوجتي بعد أن استنكرت عليّ وعلى أولادي الإسلام ، كما قررت البيوتات الأجنبية التي تتعامل في الأدوات المكتبية ومهمات المكاتب عدم التعامل معي ، ومن ثم أغلقت مكتبي التجاري ، واشتغلت كاتباً بشركة بـ 15 جنيهاً شهرياً بعد أن كان دخلي 80 جنيهاً ... وفي هذه الأثناء درست السيرة النبوية ، وكانت دراستها لي عزاء ورحمة .. ولكن حتى هذه الوظيفة المتواضعة لم أستمر فيها ، فقد استطاع العملاء الأمريكان أن يوغروا الشركة ضدي حتى فصلتني ، وظللت بعدها ثلاثة أشهر بلا عمل حتى عينت في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية وذلك إثر محاضرةٍ ألقيتها وكان عنوانها لماذا أسلمت؟" ثم يضحك بمرارةٍ وسخريةٍ وهو يقول: "لقد تولت الكنيسة إثارة الجهات المسؤولة ضدي ، حتى أن وزارتي الأوقاف طلبت مني أن أكف عن إلقاء المحاضرات وإلا اتهمتُ بإثارة الشغب والفتن ، وذلك بعد أن قمت بإلقاء العديد من المحاضرات في علم الأديان المقارن بالمساجد ، فقد اهتزت الكنيسة لهذه المحاضرات بعد أن علمت أن كثيراً من الشباب النصراني قد اعتنق الإسلام"! ثم يصمت في أسى ليقول بعدها: "هذا الاختناق دفعني دفعاً إلى أن أقرر الهجرة إلى السعودية حيث أضع كل خبراتي في خدمة كلية الدعوة وأصول الدين"! ثم يعود مستدركاً وموضحاً لما سبق أن أشار إليه عن أسباب اعتناقه للإسلام ، فيقول: "إن الإيمان لا بد أن ينبع من القلب أولاً ، والواقع أن إيماني بالإسلام تسلل إلى قلبي خلال فترات طويلة كنت دائماً أقرأ القرآن الكريم وأقرأ تاريخ الرسول الكريم ، وأحاول أن أجد أساساً واحداً يمكن أن يقنعني أن محمداً هذا الإنسان الأمي الفقير البسيط يستطيع وحده أن يحدث كل تلك الثورة التي غيرت تاريخ العالم ولا تزال. لقد استوقفني كثيراً نظام التوحيد في الإسلام وهو من أبرز معالم الإسلام: {ليس كمثله شيء} ، {قل هو الله أحد الله الصمد}" .. ويرفع رأسه متأملاً في السماء ويقول: "نعم .. التوحيد يجعلني عبداً لله وحده ، ولست عبداً لأي إنسان ... التوحيد هنا يحرر الإنسان ويجعله غير خاضع لأي إنسان ، وتلك هي الحرية الحقيقية ، فلا عبودية إلا لله وحده .. عظيم جداً نظام الغفران في الإسلام ، فالقاعدة الأساسية للإيمان تقوم على الصلة المباشرة بين العبد وربه ، فالإنسان في الإسلام يتوب إلى الله وحده ، لا وجود لوسطاء ، ولا لصكوك الغفران أو كراسي الاعتراف ؛ لأن العلاقة مباشرة بين الإنسان وربه". ويختتم كلامه وقد انسابت تعابيره رقراقةً: "أنت لا تعلم كم شعرت براحة نفسية عميقة وأنا أقرأ القرآن الكريم فأقف طويلاً عند الآية الكريمة: {لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيتَه خاشعاً متصدعاً من خشية الله} وكذلك الآية الكريمة: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آَمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آَمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ} ، ولذلك كله اتخذت قراري بإشهار إسلامي ، بل عليّ القيام بالدعوة للدين الإسلامي الذي كنت من أشد أعدائه ، ويكفي أنني لم أدرس الإسلام في البداية إلا لكي أعرف كيف أطعنه وأحاربه ، ولكن النتيجة كانت عكسية فبدأ موقفي يهتز وبدأت أشعر بصراع داخلي بيني وبين نفسي ، واكتشفت أن ما كنت أبشر به وأقوله للناس كله زيف وكذب".)

8 - إسلام أم المؤمنين صفية بنت حُيي بن أخطب

(إنه في غزوة خيبر المباركة كان سبي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صفية بنت حيي بن أخطب اليهودي ، وكانت صفية تحت كنانة بن أبي الحقيق ، وكانت عروساً حديثة عهدٍ بالدخول ، فأمر النبي – صلى الله عليه وسلم - بلالاً – رضي الله عنه - أن يذهب بها إلى رحلة فمر بها بلال وسط القتلى فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال أذهبتِ الحرمة منك يا بلال. وعرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام فأسلمت فاصطفاها لنفسه وأعتقها ، وجعل عتقها صداقها ، وبني بها في الطريق ، وأولم عليها ، ورأي بوجهها خضرة فقال: (ما هذا؟) قالت: يا رسول الله ، رأيت قبل قدومك علينا ، كأن القمر زال من مكانه ، فسقط في حجري ، ولا والله ما أذكر من شأنك ، فقصصتها على زوجي ، فلطم وجهي وقال: تمنين هذا الملك الذي بالمدينة. وشك الصحابة هل اتخذها سرية أو زوجة فقالوا ، انظروا إن حجبها فهي إحدى نسائه ، وإلا هي مما ملكت يمينه! فلما ركب جعل ثوبه الذي ارتدي به على ظهرها ووجهها ، ثم شد طرفه تحته فتأخروا عنه في المسير ، فعلموا أنها إحدى نسائه ، ولما قدم ليحملها على الرحل أجلته أن تضع قدمها على فخذه ، فوضعت ركبتها على فخذه ثم ركبت. ولما بني بها بات أو أيوب ليلته قائماً قريباً من قبته ، آخذ بقائم السيف حتى أصبح ، فلما رأي رسول صلى الله عليه وسلم ، كبر أبو أيوب حين رآه قد خرج ، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما لك يا أبا أيوب؟ فقال له: أرقت ليلتي هذه يا رسول الله! لما دخلت بهذه المرأة ، ذكرت أنك قتلت أباها وأخاها وزوجها وعامة عشيرتها ، فخِفت أن تغتالك! فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له معروفاً.)

9 - الشفاء بعد المرض

(كان هناك رجل يعيش مع زوجته عيشة هنيئة لا يكدرها شيء ، وفي يوم من الأيام جاءت حية ودخلت المنزل ، وعندما رآها أمسك ذنبها من أجل قتلها ، فانثنت عليه ونهشت يده! فشلت يده ، ومضى على ذلك زمان طويل! فشلت اليد الأخرى لغير سبب يُعرف! ثم جفت رجلاه ثم عمي ثم أصبح أخرسا. وبقي على تلك الحال ملقىً سنة كاملة ، لم تبقى له جارحة صحيحة إلا سمعه ، وهو طريح الفراش لا يستطيع الحركة حتى أنه يقول: كنت أسقى وأنا ريان وأترك وأنا عطشان وأهمل وأنا جائع وأطعم وأنا شبعان ، فلما كان بعد سنة دخلت امرأة إلى زوجتي فقالت: كيف أبو علي؟ فقالت لها زوجتي: لا حي فيُرجى ، ولا ميتٌ فيُسلى! فأقلقني ذلك وآلمني ألماً شديداً ، وبكيت أشد البكاء ، وكنت في جميع تلك العلل والأمراض لا أجد ألماً في جسمي ، فلما كان في بقية ذلك اليوم ضرب عليّ جسمي ضرباً عظيماً كاد يقتلني ، ولم أزل على تلك الحال فترة من الوقت حتى سكن الألم قليلاً ، فنمت فلما استيقظت من نومي وجدتُ إحدى يديّ على صدري وقد كانت طول تلك الفترة بدون حركة فحاولتُ تحريكها فتحركتْ ففرحت بذلك فرحاً شديداً ، وقوي طمعي في تفضل الله عز وجل عليّ بالعافية فحركتُ الأخرى فتحركت ، وأخذتُ أحرك رجلاي فتحركت ، فحاولت النهوض للقيام فأمكنني الله من ذلك ، فقمت من الفراش الذي كنت مطروحاً عليه ، فمشيت ألتمس الحائط في الظلمة لأنه لم يكن هناك سراج إلى أن وقعت على الباب وأنا لا أطمع في بصري فخرجت من البيت إلى صحن الدار فرأيت السماء والكواكب تزهو ، فكدت أموت فرحاً ، وانطلق لساني بأن قلت: يا قديم الإحسان لك الحمد. وهذه القصة ذكرها القاضي التنوخي في كتابه الفرج بعد الشدة ونقلتُها هنا بتصرف.)

10 - ابن الملك

(كان رجل من ملوك بني إسرائيل ، قد أعطي طول عمر وكثرة أموال وكثرة أولاد. وكان أولاده إذا كبر أحدهم لبس ثياب الشعر ، ولحق بالجبال ، وأكل من الشجر ، وساح في الأرض حتى يأتيه الموت. ثم تتابع بنوه على ذلك. وأصاب ولداً بعد كبر ، فدعا قومه ، فقال: إني قد أصبت ولداً بعد ما كبرت ، وترون شفقتي عليكم ، وإني أخاف أن يتبع هذا سنة إخوته. وأنا أخاف عليكم إن لم يكن عليكم أحد من ولدي بعدي أن تهلكوا ، فخذوه الآن في صغر سنه ، فحببوا إليه الدنيا ، فعسى أن يبقى من بعدي عليكم. فبنوا له حائطاً فرسخاً في فرسخ ، فكان فيه دهراً من دهره. ثم ركب يوماً فإذا عليه حائط مصمت ، فقال: إني أحسب إن خلف هذا الحائط ناساً وعالماً آخر ، فأخرجوني أزدد علماً وألقى الناس! فقيل ذلك لأبيه ، ففزع وخشي أن يتبع سنة إخوته ، فقال: اجمعوا عليه كل لهو ولعب ، ففعلوا ذلك. ثم ركب في السنة الثانية فقال: لا بد من الخروج. فأخبر بذلك الشيخ ، فقال: أخرجوه. فجعل على عجلة وكلل بالزبرجد والذهب وصار حوله حافتان من الناس. فبينما هو يسير إذا هو برجل مبتلى فقال: ما هذا؟ قالوا: رجل مبتلى. فقال: أيصيب ناساً دون ناس أو كل خائف له؟ قالوا: كل خائف له قال: وأنا فيما أنا فيه من السلطان؟ قالوا: نعم! قال: أفٍ لعيشكم هذا! هذا عيش كدر. فرجع مغموماً محزوناً ، فقيل لأبيه ، فقال: انشروا عليه كل لهو وباطل حتى تنزعوا من قلبه هذا الحزن والغم. فلبث حولاً ، ثم قال: أخرجوني ، فأخرج على مثل حاله الأول. فبينا هو يسير إذا هو برجل قد هرم ، ولعابه يسيل من فيه. فقال: ما هذا؟ قالوا: رجل قد هرم. قال: يصيب ناساً دون ناس أو كل خائف له إن هو عمر؟ قالوا: كل خائف له. قال: أفٍ لعيشكم هذا! هذا عيش لا يصفو لأحد. فأخبر بذلك أباه ، فقال: احشروا عليه كل لهو وباطل. فحشروا عليه ، فمكث حولاً كاملاً ، ثم ركب على مثل حاله. فبينا هو يسير إذا هو بسرير تحمله الرجال على عواتقها. فقال: ما هذا؟ قالوا: رجل مات. قل لهم: و ما الموت؟ إيتوني به! فأتوه به. فقال: أجلسوه. فقالوا: إنه لا يجلس. قال: كلموه. قالوا: إنه لا يتكلم. قال: فأين تذهبون به؟ قالوا: ندفنه تحت الثرى. قال: فيكون ماذا بعد هذا؟ قالوا: الحشر. قال لهم: وما الحشر؟ قالوا: "يوم يقوم الناس لرب العالمين" ، فيجزى كل واحد على قدر حسناته وسيئاته. قال: ولكم دار غير هذه تجاوزون فيها؟ قالوا: نعم. فرمى بنفسه من الفرس وجعل يعفر وجهه في التراب ، وقال لهم: من هذا كنت أخشى! كاد هذا يأتي علي وأنا لا أعلم به ، أما ورب يعطي ويحشر ويجازي! إن هذا آخر العهد بيني وبينكم ، فلا سبيل لكم علي بعد هذا اليوم! فقالوا: لا ندعك حتى نردك إلى أبيك. قال: فردوه إلى أبيه ، وكاد ينزف دمه. فقال: يا بني! ما هذا الجزع؟ قال: جزعي ليوم يعطى فيه الصغير والكبير مجازاتهما ما عملا من الخير والشر. فدعا بثياب فلبسها ، وقال: إني عازم في الليل أن أخرج. فلما كان في نصف الليل ، أو قريباً منه ، خرج. فلما خرج من باب القصر ، قال: اللهم! إني أسألك أمراً ليس لي منه قليل ولا كثير ، قد سبقت فيه المقادير. إلهي! لوددت أن الماء كان في الماء ، وأن الطين كان في الطين ، ولم أنظر بعيني إلى الدنيا نظرة واحدة. والحقيقة المرة التي يغفل عنها كثير من الأبناء اليوم وأمس وغداً هي افتراض أنهم يعلمون ويخبرون بالحياة أكثر من الآباء والأمهات! والحقيقة غير هذا ، فإن علم الكتب علم نظري ، ولكن علم الحياة علم تجريبي وعملي!)

11 - صديقتي المفضلة

(أحلى القصص وأجملها وأعذبها القصص التي يرويها لنا أصحابها بأنفسهم! تقول جميلة: لـم أكن أعرف لحياتي معنىً ولا هدفاً ، وسؤال ظل يطاردني ويصيبني بالرعب كل حين: لماذا أحيا؟ وما آخر هذه الرواية الهزلية؟ كان كل شيء من حولي يوحي بالسخف واللا معقول! فقد نشأت في أسرةٍ كاثوليكيةٍ تعهدتني بتعليمي هذا المذهب بصرامةٍ بالغة] ،ب وكانوا يحلمون أن أكون إحدى العاملات في مجال التبشير بهذا المذهب على مستوى العالم ، وكنت في داخلي على يقين أن هذا أبداً لن يحدث! كنت أستيقظ كل يوم عند الفجر ، وشيء ما يحدثني أن أصلي كي أخرج من الضيق الشديد والاكتئاب الذي كان يلازمني في هذا الوقت ، وكان ذلك يحدث أيضاً عند الغروب ، وفعلاً أخذتُ أصلي على الطريقة النصرانية ، فهي الطريقة الوحيدة التي أعرفها ، إلا أن إحساسي بالفراغ الروحي ظل يطاردني ويسيطر عليّ رغم صلواتي المتتابعة"! وكنت متعطشة لشيءٍ آخر لم تكن لديّ أي صورةٍ واضحةٍ عنه ، وكانت الدموع تنهمر من عيني كثيراً ، وكنت أدعو الله أن يمنحني النور والبصيرة والصبر ، وازددت هماً وقلقاً ، وراح الفراغ يطاردني ، كما راحت الحيرة تتملك حياتي بما فاض تماماً عن قدرتي على الاستيعاب! وتُكمل جميلة: وفي أحد الأيام ومع ازدياد حالة التوتر أحسست برغبةٍ قويةٍ تدفعني للبحث عن مكان للصلاة لا صور فيه ، وبحثتُ عن ذلك المكان طويلاً حتى وجدته أخيراً! إنه مسجد صغير جميل في أطراف بلدتنا بين المروج الخضراء في وسط حقول الأرز ، لأول وهلةٍ عندما وضعتُ قدمي على أعتابه دق قلبي بعنفٍ وانشرح صدري ، وأيقنت أنه المكان الذي حدثتني نفسي طويلاً للبحث عنه! وتكمل جميلة قصتها: وعلمتني إحدى المسلمات كيف أتوضأ وكيف أصلي لله الواحد القهار ، وشاركت المسلمين الصلاة لأول مرة في حياتي ، وعندما بدأت الصلاة غمرتني السكينة ولفتني الطمأنينة ، كما لم يحدث لي من قبل ، وعندما سجدت لله مع جموع المصلين فاضت روحي بسعادةٍ لا حدود لها ، لقد شعرت أني سأطير فرحا بعثوري على هذه الصلاة! وفي النهاية تقول جميلة: الصلاة ، هي تماماً ما كنت أتعطش له ، لقد أصبحت صديقتي المحببة ، ورفيقتي الدائمة التي أتخلص معها من كل ضيق ومن أية معاناة ، لقد ودعت الاكتئاب إلى الأبد! فلم يعد له أي معنى في حياتي ، بعد أن هداني الله جل وعلا للإسلام وأكرمني بحب الصلاة ، ولا أجد ما أقول تعليقاً على هذا سوى: الحمد لله الذي هداني لهذا وما كنت لأهتدي لولا أن هداني الله!)

12 - حوار مع شيطان - للشيخ عائض القرني

(يقول: حاورت الشيطان الرجيم في الليل البهيم! فلما سمعتُ أذان الفجر أردت الذهاب إلى المسجد! فقال لي: عليك ليل طويل فارقد! قلت: أخاف أن تفوتني الفريضة! قال: الأوقات طويلة عريضة! قلت: أخشى ذهاب صلاة الجماعة! قال: لا تُشدد على نفسك في الطاعة ، فما قمت حتى طلعت الشمس! فقال لي في همس: لا تأسف على ما فات ، فاليوم كله أوقات! وجلست لآتي بالأذكار ففتح لي دفتر الافكار. فقلت: أشغلتني عن الدعاء! قال: دعه الى المساء! وعزمت على المتاب ، فقال: تمتع بالشباب! فقلت: أخشى الموت! قال: عمرك لا يفوت وجئت لأحفظ المثاني ، قال: روّح نفسك بالأغاني! قلت: هي حرام! قال: لبعض العلماء كلام! قلت: أحاديث التحريم عندي في صحيفة! قال: كلها ضعيفة! ومرت حسناء فغضضت البصر! قال: وماذا في النظر؟ قلت: فيه خطر! قال: تفكر في الجمال فالتفكر حلال! وذهبت إلى البيت العتيق

فوقف لي في الطريق ، فقال: ما سبب هذه السفرة؟ قلت: لأؤدي عمرة! فقال: ركبت الأخطار بسبب هذا الاعتمار وأبواب الخير كثير والحسنات غزيرة! قلت: لا بد من إصلاح الأحوال! قال: الجنة لا تدخل بالأعمال ، فلما ذهبت لألقي نصيحة قال: لا تجر إلى نفسك فضيحة! قلت: هذا نفع العباد! فقال: أخشى عليك من الشهرة وهي رأس الفساد! قلت: فما رأيك في بعض الأشخاص؟ قال: أجيبك على العام والخاص! قلت: أحمد بن حنبل! قال: قتلني بقوله عليكم بالسنة والقرآن المنزل! قلت: فابن تيمية! قال: ضرباته على رأسي قوية! قلت: فالبخاري! قال: أحرق بكتابه داري! قلت: فالحجاج! قال: ليت في الناس ألف حجاج ، فلنا بسيرته ابتهاج ونهجه لنا علاج! قلت: فرعون! قال: له منا كل نصر وعون! قلت: فصلاح الدين بطل حطين! قال: دعه فقد مرغنا بالطين! قلت: محمد بن عبدالوهاب! قال: أشعل في صدري بدعوته الالتهاب ، وأحرقني بكل شهاب! قلت: أبو جهل! قال: نحن له إخوة وأهل! قلت: فأبو لهب! قال: نحن معه أينما ذهب! قلت فلينين! قال: ربطناه في النار مع استالين! قلت: فالمجلات الخليعة! قال هي لنا شريعة! قلت: فالدشوش! قال: نجعل الناس بها كالوحوش! قلت: فالمقاهي قال: نرحب فيها بكل لاهي! قلت: ما هو ذكركم؟ قال: الأغاني! قلت: وعملكم؟ قال: الأماني! قلت: وما رأيكم في الأسواق؟ قال: علمنا بها خفاق وفيها يجتمع الرفاق! قلت: فحزب البعث الاشتراكي! قال: قاسمته أملاكي وعلمته أورادي وأنساكي! قلت: كيف تضل الناس؟ قال: بالشهوات والشبهات والملهيات والأمنيات والأغنيات. قلت: كيف تضل النساء؟ قال: بالتبرج والسفور وترك المأمور وارتكاب المحظور؟ قلت: فكيف تضل العلماء؟ قال: بحب الظهور والعجب والغرور وحسد يملأ الصدور. قلت: كيف تضل العامة؟ قال: بالغيبة والنميمة والأحاديث السقيمة وما ليس له قيمة. قلت: فكيف تضل التجار؟ قال: بالربا في المعاملات ومنع الصدقات والإسراف في النفقات. قلت: فكيف تضل الشباب؟ قال: بالغزل والهيام والعشق والغرام والاستخفاف بالأحكام وفعل الحرام. قلت: فما رأيك في اليهود (وإسرائيل)؟ قال: إياك والغيبة فإنها مصيبة ، وإسرائيل دولة حبيبة ومن القلب قريبة. قلت: فالجاحظ؟ قال: الرجل بين وبين وأمره لا يستبين كما في البيان والتبيين. قلت: فأبو نواس؟ قال: على العين والراس لنا من شعره اقتباس. قلت: فأهل الحداثة؟ قال: أخذوا علمهم منا بالوراثة. قلت: فالعلمانية؟ قال إيماننا علماني ، وهم أهل الدجل والأماني ومن سماهم فقد سماني. قلت: فما تقول في واشنطن؟ قال: خطيبي فيها يرطن وجيشي فيها يقطن وهي لي وطن! قلت: فما رأيك في الدعاء قال: عذبوني وأتعبوني ، وبهدلوني وشيبوني ، يهدمون ما بنيت ويقرأون إذا غنيت ويستعيذون إذا أتيت. قلت: فما تقول في الصحف؟ قال: نضيع بها أوقات الخلف ، ونذهب بها أعمار أهل الترف ونأخذ بها الأموال مع الأسف. قلت: فما تقول في هيئة الإذاعة البريطانية؟ قال: ندخل فيها السم في الدسم ، ونقاتل بها بين العرب والعجم ، ونثني بها على المظلوم ومن ظلم! قلت: فما فعلت في الغراب؟ قال: سلطته على أخيه فقتله ودفنه في التراب حتى غاب. قلت: فما فعلت بقارون؟ قال: قلت له احفظ الكنوز يا ابن العجوز لتفوز فأنت أحد الرموز! قلت: فماذا قلت لفرعون؟ قلت له: يا عظيم القصر ، قل أليس لي ملك مصر ، فسوف يأتيك النصر! قلت: فماذا قلت لشارب الخمر؟ قلت له: اشرب بنت الكروم ، فإنها تذهب الهموم ، وتزيل الغموم وباب التوبة معلوم! قلت: فماذا يقتلك؟ قال: آية الكرسي ، منها تضيق نفسي ، ويطول حبسي ، وفي كل بلاء أمسي. قلت: فمن أحب الناس إليك. قال: المغنون والشعراء الغاوون واهل المعاصي والمجون وكل خبيث مفتون! قلت: فما أبغض الناس إليك؟ قال: أهل المساجد وكل راكع وساجد وزاهد عابد وكل مجاهد. قلت: أعوذ بالله منك فاختفى وغاب ، كأنما ساخ في التراب ، وهذا جزاء الكذاب!) نقلاً من كتاب مقامات القرني للشيخ عائض القرني!

13 - خادمات يتبولن في الأطعمة ويوقعن بنات الأسر في غرامهن!

(هدوء وغموض اجتمعا في غرفةٍ كبيرة في منزل منير عرب المعالج بالقرآن ، وقد اجتمعت حوله طلاسم وأحجبة معقدة .. وأشخاص وصلوا إليه يحملون سحراً أو قد أصيبوا "بجن" ركبهم فعقد أرجلهم أو سيطر على ألسنتهم .. المكان يوحي بعالم غامض وخفي والأشياء حول المعالج تبعث عشرات الأسئلة والاستفسارات.. فبدءاً بمعرفة أصحاب هؤلاء ومدى تضررهم مروراً بكيفية الحالة التي وصلوا إليها ، وانتهاء بالعلاج وطريقته وآثاره ، كل هذه كانت محل بحث وكشف (أسرار) ما يحدث.. البداية كانت مع (عبيد) .. وهو طفل لم يتجاوز العشر السنوات ، وصل من جيزان الى جدة للبحث عن (علاج) مع والده الذي يروي هنا مختصر ما حدث فيقول: قبل أسبوعين تقريباً وفي صالة المنزل رفضت الخادمة الإندونيسية واسمها (حسنة) والتي أمضت ستة أشهر معنا – رفضت أن تعطي (عبيد) شريطاً للفيديو الأمر الذي أزعجه ، فقام عبيد بضربها على وجهها (ضربة بسيطة) وكرر طلب الشريط لكنها رفضت للمرة الثانية فلطشها (كفا) آخر على وجهها ، وبعد هذا المشهد أو الواقعة بربع ساعة تقريباً أصيب عبيد بتشنج غير طبيعي ، وعلى الفور وصلت من عملي وذهبت به لمستشفى صامطة العام بجيزان ولم ير الأطباء من خلال الكشف والتحاليل أي مرض ، فنصحني بعض الأصدقاء بزيارة البعض للقراءة عليه بالقرآن ، وفعلت .. إلا أن حالة (عبيد) اصبحت تتطور ، إذ بمجرد أن هدأ من التشنج ، أصيب بشلل في قدميه منعه من السير على قدميه الأمر الذي استدعى شراء (عكازين) له. وتطورت الحالة حتى أن (عبيداً) أصبح يتحدث اللغة الإندونيسية ، وهنا طلب من الخادمة التفسير ، فطلبت من الأب المهلة حتى تتصل بأحد أقاربها السحرة في إندونيسيا ، الأمر الذي جعل الأب يراوده الشك ، فرغب أن يحصل على رقم الساحر ، وإذا به يفاجأ اثناء تفتيشه لشنطة الخادمة بوجود عدد من الطلاسم والأحجبة وكمية من الشعر وأشياء غريبة ، فقام بجمعه وغادر إلى جُدة حيث بدأ العلاج بالقراءة عند منير عرب – الذي كشف عن وجود تلبس في الطفل ، إذ أن (جنياً) من طرف الخادمة قد تقمص شخصية عبيد وأصبح يصطنع بعض حركاته ويتحدث بلسان غير عربي ، حتى أصبح عبيد إذا سألته عن اسمه يقول: اسمي جيجي .. وبابا كوكي .. عمري صفر .. في الكنيسة قتلوا بابا وماما ، ثم يتحدث بكلمات غير مفهومة ، ويكمل هنا منير فيقول: بدأت أتحدث إلى (الجان) الذي كان يمسك بالطفل من قدميه ، وأهدده بأنه ظالم وسينال العقاب من الله عز وجل ، وبدأت أهدده بالعصا وبضربه ، وقد اعترف بأنه من إندونيسيا وجاء بواسطة الخادمة ، وقد أمسك عبيد من قدمه ، وبعد التهديد خرج من (عبيد) وقام على الفور يمشي الصغير على قدميه أمام والده ووالدته ، وكأن شيئاً له لم يحدث. يقول والد (عبيد): لم أصدق ما حدث وشاهدته بعيني وما حدث لابني من شر هذه الخادمة .... أما (عبيد) فعندما تحدث لم يكن يعرف أو يتذكر تفاصيل ما حدث له ، وبدأ يشير الى (العكازين) وأنه أصبح يسير بدونهما ..وهنا يبدأ – منير عرب – سرد المزيد من القصص التي احدثت السحر وأوقعت المشاكل داخل البيوت بتخطيط وتدبير من الخادمات: ويشير هنا إلى أن ما يقارب أربعمائة سحر للخادمات مرت به كحالات خلال الأربع السنوات الماضية بمعدل مائة خادمة لكل مائة سحر سنوياً ، ويرجع ذلك إلى أن الجيل الأول من الخادمات عندما عدن إلى بلادهن نقلن صوراً عن بعض الممارسات الخاصة لبعض الأسر التي لا تحسن إلى الخادمة وتحملها فوق طاقتها وتعاملها بعنف ، بل يصل الأمر أحيانا إلى القسوة والضرب ، وهذا ما جعل القادمات إلينا في المرحلة التالية يأتين ومعهن أسحار وشعوذة وأحراز وطلاسم ،

إضافة إلى أن بعضهن إذا لم تجئ بهذه الأسحار فإنها تقوم بإرسال (أثر) لمن تريد سحره ، حيث ترسل قطعة من ثوبه أو من شعره أو لباسه إلى أحد السحرة في إندونيسيا ، والذي يتولى العقد والنفث ، وهذا هو السحر الذي يؤدي بصاحبه في النار ، باعتباره شركاً أكبر ، ولكن كما يؤكد منير عرب فإن الله هو الضار والنافع ، ولن يؤذي السحر الشخص إلا بإذن الله ، ولن ينفعه إلا بإذنه تعالى ، ويطالب في هذا الصدد الإحسان إلى الخادمات والتعامل معهن بإنسانية .
ويعود منير عرب لسردٍ واقعي لبعض الحالات المشابهة فيروي أن خادمة أتت بزجاجة صغيرة وملأتها بالبول – ثم وضعت فيها بعض آيات القرآن الكريم مع بعض الطلاسم ، وتركتها لمدة شهر بعد أن أحكمت إغلاقها ، ثم بدأت تضع قطرات من محتوى الزجاجة العفن في طعام الأسرة ، الأمر الذي جعل سيدة المنزل تصاب بمغص شديدٍ لم يجد له الأطباء تفسيراً ، وبعد القراءة عليها اتضح أن الطعام الذي أكلته قد سحر من الخادمة التي أرادت الانتقام من السيدة والتي كانت تعاملها بقسوة. وواقعة أخرى لخادمةٍ وصلت للعمل في منزل إحدى الأسر ، فقامت بعمل سحر لأفراد المنزل ، حيث حولتهم إلى (خدم) يقومون بخدمتها والسهر على راحتها ، حتى إن قهوة الصباح لتأتيها على سريرها في غرفة النوم ، بل وصل الأمر إلى أنها سحرت السيدة في المنزل والتي أهملت زوجها وأولادها ، ووقعت في غرام وعشق الخادمة لدرجة أنها لا تقبل إلا أن تنام معها في نفس الغرفة ، وبدأت السيدة (المسحورة) تأمر أبناءها بخدمة الخادمة وتنفيذ كل مطالبها بحجة أنها (طيبة) و(مسكينة) و(غلبانة).. وبعد الفحص تبين أن الخادمة قد قامت بسحر لهذه العائلة. وقصة ثالثة لخادمة (من المغرب) سحرت الزوج بعد أن سرقت أثراً منه وسافرت إلى المغرب ليبدأ الزوج في معاناته في البحث عنها حتى ذهب إليها هناك يطلب الزواج منها ، وهكذا فعل .. يتحدث منير عن إبطال مفعول السحر ، فيقول: يكون ذلك أولاً بأمر الله تعالى ، ويتم عادة بوضع أدوات السحر في ماءٍ مقروءٍ عليه ويُترك ، وبإذن الله يبطل السحر! وينتهي بالحديث عن ضرورة معاملة الخادمات معاملة حسنة ، حتى لا يلجأن إلى المكر والحيلة وأعمال السحر ، خاصة وأن ظاهرة اتجاه الخادمات للسحر باتت تنذر بخطر كبير ، وكثيراً ما جاءني أشخاص وقد اكتشفوا أن الخادمات لديهم قد سرقوا آثاراً لأهل المنزل من لباس أو شعر ، وغير ذلك بهدف عمل سحر.) جريدة عكاظ – يوم الأحد جمادي الأولى 1417هـ.)

14 - يَحمل متاعَه على ظهر الأسد!

(حُكي أن بعض الصالحين كان له أخ في الله ، وكان من الصالحين ، يزوره في كل سنة مرة ، فجاء لزيارته ، فطرقَ البابَ فقالت امرأته: من؟ فقال: أخو زوجكِ في الله جئت لزيارته ، فقالت: راح يحتطب ، لا ردّه الله ولا سَلمه ، وفعل بنا وفعل – يعني دعت عليه – وجعلت تذمّم عليه – أي تذمه –! فبينما هو واقف على الباب وإذا بأخيه قد أقبل من نحو الجبل ، وقد حمل حزمة من الحطب على ظهر أسدٍ وهو يسوقه بين يديه ، فجاء فسلم على أخيه ورحب به ، ودخل المنزل وأدخل الحطب ، وقال للأسد: اذهب بارك الله فيك ، ثم أدخل أخاه ، والمرأة على حالها تذمّم وتأخذ بلسانها ، وزوجها لا يرد عليها ، فأكل مع أخيه شيئاً ، ثم ودعه وانصرف ، وهو متعجب من صبر أخيه على تلك المرأة. قال: فلما كان العام الثاني جاء أخوه لزيارته على عادته فطرق الباب فقالت امرأته: من بالباب؟ قال: أخو زوجك فلان في الله ، فقالت: مرحباً بك وأهلاً وسهلاً اجلس ، فإنه سيأتي إن شاء الله بخير وعافية. قال: فتعجب من لطف كلامها

وأدبها ، إذ جاء أخوه وهو يحمل الحطب على ظهره فتعجب أيضاً لذلك ، فجاء فسلم عليه ودخل الدار وأدخله! وأحضرت المرأة طعاماً لهما وجعلت تدعو لهما بكلام لطيف ، فلما أراد أن يفارقه قال: يا أخي أخبرني عما أريد أن أسألك عنه. قال: وما هو يا أخي؟ قال: في العام الأول أتيتك ، فسمعت كلام امرأةٍ بذيئة اللسان قليلة الأدب ، تذم كثيراً ورأيتك قد أتيت من نحو الجبل والحطب على ظهر الأسد ، وهو مسخر بين يديك ، ورأيت هذا العام كلام المرأة لطيفاً لا تذمذم ، ورأيتك قد أتيت بالحطب على ظهرك فما السبب؟ قال: يا أخي توفيت تلك المرأة الشرسة وكنت صابراً على خُلقها السيئ وما يبدو منها. نعم كنت معها في تعب وأنا احتملها ، فكان الله قد سخر لي الأسد الذي رأيت ، يحمل عني الحطب بصبري عليها واحتمالي لها ، فلما توفيت تزوجت هذه المرأة الصالحة ، وأنا في راحةٍ معها فانقطع عني الأسد ، فاحتجت أن أحمل الحطب على ظهري لأجل راحتي مع هذه المرأة المباركة الطائعة.)

15 - ثابت بن قيس الأنصاري

(ما أجيزت وصية أمرئ أوصى بها بعد موته سوى وصية ثابت بن قيس!) إنه ثابت بن قيس الأنصاري ، سيد من سادات الخزرج المرموقين ، ووجه من وجوه يثرب المعدودين ، وكان إلى ذلك ذكي الفؤاد حاضر البديهة رائع البيان جهير الصوت ، إذا نطق بز القائلين ، وإذا خطب أسر السامعين. وهو أحد السابقين إلى الإسلام في يثرب ، إذ ما كاد يستمع إلى آي الذكر الحكيم يرتلها الداعية المكي الشاب مصعب بن عمير بصوته الشجي وجرسه الندي ، حتى أسر القرآن سمعه بحلاوة وقعه وملك قلبه برائع بيانه وخلب لبه بما حفل به من هدي وتشريع. فشرح الله صدره للإيمان وأعلى قدره ورفع ذكره بالانضواء تحت لواء نبي الإسلام. ولما قدم صلوات الله عليه إلى المدينة مهاجراً استقبله ثابت بن قيس في كوكبةٍ كبيرةٍ من الفرسان أكرم استقبال ، ورحب به وبصاحبه الصديق أجمل ترحيب وخطب بين يديه خطبة بليغة افتتحها بحمد الله جل وعز والثناء عليه والصلاة والسلام على نبيه. واختتمها بقوله: (وإنا نعاهدك يا رسول الله على أن نمنعك مما نمنع منه أنفسنا واولادنا فما لنا لقاء ذلك؟) فقال عليه الصلاة والسلام: (الجنة). فما كادت كلمة (الجنة) تصافح آذان القوم حتى أشرقت وجوههم بالفرحة وزهت قسماتهم بالبهجة ، وقالوا: رضينا يا رسول الله. رضينا يا رسول الله. ومنذ ذلك اليوم جعل الرسول صلوات الله عليه ثابت بن قيس خطيبه كما كان حسان بن ثابت شاعره. فصار إذا جاءته وفود العرب لتفاخره أو تناظره بألسنة الفصحاء من خطبائها وشعرائها ندب لهم ثابت بن قيس لمصاولة الخطباء وحسان ابن ثابت لمفاخرة الشعراء. ولما نزل قوله جل شأنه: (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) ، تجنب ثابت بن قيس مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرغم من شدة حبه له وفرط تعلقه به ، ولزم بيته حتى لا يكاد يبرحه إلا لأداء المكتوبة. فافتقده النبي صلوات الله وسلامه عليه وقال: (من يأتيني بخبره؟) فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله. وذهب إليه فوجده في منزله محزوناً منكساً رأسه! فقال: ما شأنك يا أبا محمد؟ قال: شر. قال: وما ذاك؟! قال: إنك تعرف أني رجلٌ جهير الصوت ، وأن صوتي كثيراً ما يعلو على صوت نبينا ورسولنا محمدٍ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نزل من القرآن ما تعلم ، وما أحسبني إلا قد حبط عملي ، وأنني من أهل النار. فرجع الرجل الرسول صلوات الله وسلامه عليه وأخبره بما رأى وما سمع ، فقال:

(اذهب إليه وقل له: لست من أهل النار ، ولكنك من أهل الجنة). فكانت هذه بشارة عظمى لثابت ظل يرجو خيرها طوال حياته. وقد شهد ثابت بن قيس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها سوى بدر ، وأقحم نفسه في غمار المعارك طلباً للشهادة التي بشره بها النبي – صلى الله عليه وسلم - ، فكان يخطئها في كل مرة وهي قاب قوسين منه أو أدنى. إلى أن وقعت حروب الردة بين المسلمين ومسيلمة الكذاب على عهد الصديق رضي الله عنه. ولقد كان ثابت بن قيس إذ ذاك أميراً لجند الأنصار وسالم مولى أبو حذيفة أميراً لجند المهاجرين وخالد بن الوليد قائداً للجيش كله: أنصاره ومها جريه ومن فيه من أبناء البوادي. ولقد كانت الريح والدولة في جُل المعارك لمسيلمة ورجاله على جيوش المسلمين ، حتى بلغ بهم الأمر أن اقتحموا فسطاط خالد بن الوليد وهموا بقتل زوجته أم تميم ، وقطعوا حبال الفسطاط ومزقوه شر ممزق. فرأى ثابت بن قيس يومذاك مِن تضعضع المسلمين ما شحن قلبه أسى وكمداً وسمع مِن تنابذهم ما ملأ صدره هماً وغماً. فأبناء المُدن يرمون أهل البوادي بالجُبن ، وأهل البوادي يصفون أبناء المدن بأنهم لا يحسنون القتال ولا يدرون ما الحرب.عند ذلك تحنط ثابت وتكفن ووقف على رؤوس الأشهاد وقال: يا معشر المسلمين ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بئس ما عودتم أعدائكم من الجرأة عليكم. وبئس ما دعوتهم أنفسكم من الانخذال لهم. ثم رفع طرفه إلى السماء وقال: اللهم أني أبرأ أليك مما جاء به هؤلاء من الشرك (يعني مسيلمة وأعوانه). وأبرأ إليك مما يصنع هؤلاء يعني المسلمين ثم هب هبة الأسد الضاري كتفاً لكتف مع الغر الميامين: البراء بن مالك الأنصاري وزيد بن الخطاب أخي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وسالم مولى أبي حذيفة. وغيرهم من المؤمنين السابقين وأبلى بلاءً عظيماً ملأ قلوب المسلمين حمية وعزماً ، وشحن أفئدة المشركين وهنا ورعبا. وما زال يجالد في كل اتجاه ويضارب بكل سلاح ، حتى أثخنته الجراح فخر صريعاً على أرض المعركة قرير العين بما كتب الله له من الشهادة التي بشره بها حبيبه رسول الله مثلوج الصدر بما حقق الله على يديه للمسلمين من النصر.)

16 -الإمام البخاري رحمه الله تعالى

(مَن مِن المسلمين لا يعرف الإمام البخاري! ذلك الرجل الذي ملأ طباق الأرض من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ هو إمام الأمة أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بَردِزبَة الجعفي البخاري أصله فارسي .. فقد كان جده المغيرة مولى لليمان البخاري والي بخارى .. فانتسب إليه بعد إسلامه. ولد ببخارى سنة 194 هـ ونشأ يتيماً وأخذ يحفظ الحديث وهو دون العاشرة! وكان قد رحل شيخنا في طلب العلم إلى الشام و مصر و الجزيرة و العراق .. وأقام في الحجاز ستة أعوام يأخذ الحديث عن أربابه .. وتلقى عنه الناس الحديث ولم يبلغ الثامنة عشرة من عمره .. سمع من نحو ألف شيخ وأخذ الحديث عنهم .. لا يسمع بشيخ في الحديث إلا رحل إليه ، وسأل عنه ، وأخذ عنه علمه. قال عن نفسه مبيناً رحلاته إلى الأمصار الإسلامية: (دخلت الشام ومصر والجزيرة مرتين ، وإلى البصرة أربع مرات ، وأقمت بالحجاز ستة أعوام ، ولا أحصي كم دخلت إلى الكوفة وبغداد مع المحدثين) ... وجمع من الحديث أكثر من ستمائة ألف حديث. كان رحمه الله تعالى شديد الورع والتقوى .. قليل الأكل لا ينام من الليل إلا أقله ، وكان مُجداً في تحصيل العلم وتأليف الكتب فيه .. يقوم من الليل ثماني عشرة مرة أو أكثر ، يسرج المصباح ويتذكر الأحاديث فيكتبها ، ويدقق البعض الآخر فيعلم عليها! لم يكن له

هم سوى الحديث النبوي .. كان شغله الشاغل ليله ونهاره .. كثير الإحسان إلى الطلبة رفيقاً بهم ، مُهذب العبارة حتى مع المُخالفين له.. ولم يطلق لسانه في الساقطين متروكي الحديث .. فإذا أراد جرح راوٍ قال: فيه نظر أو سكتوا عنه ، وكان ينقل رأي النقاد في رواة الحديث .. كتب الله له القبول في قلوب العلماء .. قال محمود بن النضر بن سهل الشافعي: (دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة ورأيت علماءها .. كلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل البخاري فضلوه على أنفسهم!) كان آيــة في الحفظ والذكاء والإتـقان .. كأن الله سبحانه قد اختاره لحراسة وحفظ الحديث النبوي ... وقد جرت له في بغداد حادثة مشهورة تشهد له بذلك .. تداولها علماء التاريخ والحديث في كتبهم ... ذلك أن علماء بغداد أرادوا اختبار حفظه وذكائه وإتقانه ، فجاء أصحاب الحديث بمائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها .. ودفعوها إلى عشرة رجال .. إلى كل رجل عشرة أحاديث .. وأمروهم إذا حضروا الاجتماع يلقون هذه الأحاديث المقلوبة على البخاري ، فلما اجتمعوا كلهم مع حشد من الناس انتدب إليه رجل من العشرة فسأله عن حديث فقال: لا أعرفه ، فما زال يلقي عليه حديثاً بعد آخر حتى فرغ من عشرته .. وهكذا حتى فرغوا من الأحاديث المائة المقلوبة .. والبخاري لا يزيدهم على (لا أعرفه) .. فاستغرب الناس كيف لا يعرف الأحاديث كلها .. فلما علم أنهم فرغوا التفت إلى الأول منهم فقال: أما حديثك الأول فهو كذا .. وحديثك الثاني فهو كذا و هكذا إلى آخر الأحاديث المائة فرد كل متن إلى إسناده وكل إسناد إلى متنه .. فأقر له الناس بالحفظ وأذعنوا له بالفضل! يقول الحافظ بن حجر رحمه الله عن هذه الحادثة: ليس العجب من رده الخطأ إلى الصواب ، فإنه كان حافظاً .. بل العجب من حفظه الخطأ على ترتيب ما ألقوه عليه من مرةٍ واحدة! شهد له العلماء بالفضل والعلم .. قال شيخ البخاري محمد بن بشار الحافظ: (حفاظ الدنيا أربعة: أبو زرعة بالري ، ومسلم بن الحجاج بنيسابور ، وعبدالله بن عبد الرحمن الدرامي بسمرقند ، ومحمد بن إسماعيل ببخارى) وقال عنه الإمام الترمذي: (لم أر بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أحداً أعلم من محمد بن إسماعيل). وكتاب (الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه) .. أشهر كتبه على الإطلاق .. وهو أصح كتاب بعد كتاب الله سبحانه وتعالى. وهو أول من جمع الأحاديث الصحيحة مجردة عن غيرها .. ولكنه لم يستوعب كل الصحيح .. فقد ترك من الحديث الصحيح أكثر مما أثبته لئلا يطول الكتاب. ابتدأ تأليفه بالحرم النبوي الشريف ولبث في تصنيفه ست عشرة سنة وأتمه ببخارى .. وما كان يضع حديثاً إلا بعد أن يغتسل ويصلي ركعتين ويستخير الله في وضعه .. فقد قال: (ما أدخلت في الصحيح حديثاً إلا بعد أن استخرت الله وتيقنت صحته). ومما ألف أيضاً كتاب (التاريخ الكبير) ، جمع فيه أسامي من روى عنه الحديث من زمن الصحابة إلى زمنه .. وله أيضاً (التاريخ الأوسط) و(التاريخ الصغير) و (الأدب المفرد) و (الكنى) و(الوحدان) و(الضعفاء). توفي ليلة السبت بعد صلاة العشاء ، وكانت ليلة عيد الفطر ، ودفن يوم الفطر .. بعد صلاة الظهر سنة ست وخمسين ومائتين 256 هـ بخَرتَنك وهي قرية بالقرب من بخارى وهي القرية التي ولد فيها! رحمه الله تعالى فقد خدم السنة النبوية ، ووقف حياته لها ، وخلف تراث الأمة الإسلامية .. أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى: صحيح البخاري .. فجزاه الله عن الأمة خير الجزا. هذا هو الإمام البخاري الذي ينال منه اليوم صعاليك الكتاب ومرتزقة الباطل من حارقي البخور وضاربي الودع وقارئي الكفوف وقارعي الطبل! فبدلاً من الأخذ بعلم البخاري وتوقيره وشكره والدعاء له ، يتنقصونه ويسبونه وينالون منه!)

17 - اعترافات طالبة جامعية

(أما من هذه الفتاة؟ فلا يهم! ومن أي البلاد هي؟ أيضاً لا يهم! وفي أي جامعة؟ ومن أي قوم؟ كل هذه أسئلة لا تفيد في حقيقة القصة! المهم أنها كانت ضحية ، حيث حاولت رفيقات السوء إجبارها على دخول عالم الرذيلة ، وتعاطي وإدمان المخدرات فتاة لا يتجاوز عمرها عشرين عاماً. التحقت بالجامعة منذ شهور قليلة ، وفي ذهنها صورٌ مضيئة ، وجميلة عن الحياة الجامعية ، وفي قلبها أحلامٌ وطموحاتٌ مشرقة عن مستقبلها الدراسي في الجامعة ، ومنذ اليوم الأول الذي التحقت به بالجامعة تعرفت على مجموعةٍ من الزميلات أو ما يسمونه بشلةٍ من الزميلات في نفس الكلية ، وفي نفس القسم الذي قبلت فيه ، وبعد فترةٍ اكتشفت أن شلة الزميلات التي تعرفت عليهن يقمن بتصرفاتٍ غريبة ، فكل أفعالهن لا تمت بصلة للجامعة والدراسة! وفي أحد أيام الدراسة انتهت المحاضرات في وقت مبكر ، والتقت مع شلة زميلاتها خارج المدرجات ، وأصرت زميلاتها في الشلة على أن تذهب معهن إلى أحد الشقق الخاصة ، ولما أبدتِ الفتاة اعتراضها. قالت لها إحدى زميلات الشلة إنهن لن يتأخرن كثيراً ، والمطلوب منها الذهاب معهن ، والانتظار وحدها في صالة الشقة ، وقالت في نفسها: مادمت بعيدة عن شلة الزميلات في الشقة التي سيذهبن إليها وأنها ستجلس في الصالة وحدها. فما المانع من الذهاب معهن؟ وبالفعل ذهبت معهن كلٌ في سيارة خاصة ، ودخلن جميعاً شقة في احدى البنايات ، وكانت الشقة مظلمة إلا من إضاءة خافتة غير مباشرة ، ورائحة دخان لم تر ولم تشم مثلها من قبل ، وفي الصالة يجلس أربعة من الشباب يدخنون السجائر ، وجلست زميلاتها في الشلة كل واحدة اختلت بشاب من الأربعة الذين كانوا في الصالة ، وأخذت زميلة تتبادل مع الشاب الذي جلست بجانبه السجائر ، وهي لا تدري أي نوع من السجائر هذا الذي تراه ، وأي نوع من الدخان الذي تشمه ، ولكنها لاحظت أن الكل سعيد وفرحان ومبسوط إلا هي ، وقالت لها إحدى زميلاتها في الشلة إنها سجائر مخصوصة ومحشية ، وحاولت هذه الزميلة إشراكها في شرب سيجارة كانت تدخنها ، ولكنها رفضت ، وبعد فترةٍ ذهبت شلة زميلاتها مع الشبان الأربعة الى داخل الشقة ، وبقيت هي وحدها في الصالة التي كانت شبه مظلمة ، وفجأة وجدت بجانبها شاب اعتقدت في بادئ الأمر أنه ينتظر أصدقاءه الشبان الأربعة الذين دخلوا مع زميلاتها ، وبعد قليل اقترب منها هذا الشاب ، وقال لها أريدك ، واستغربت الفتاة من وقاحة كلامه ، ولكنه بادرها بالحديث مرة أخرى فقال بأنه اتفق مع زميلاتها على أن تكون له ، ودفع لهن في مقابل ذلك 100 دينار ، ولم تصدق الفتاة ما يقوله الشاب ، ولكنه قام وقال لها: لو حاولت فعل أي شيء كالصراخ مثلاً فسيورطها بفضيحةٍ لأنها حضرت إلى الشقة بإرادتها ، ولم يجبرها أحدٌ على ذلك ، وأخذت تتوسل إليه وتبكى ألا يمسها بسوء ، ولكنه قال لها بأنه يريد منها أن تتحرر من كل شيء وتستسلم له ، ولكنها رفضت بإصرار الرضوخ لرغباته ، فقال لها بأن الفلوس التي دفعها لزميلاتها مقابل أن تكون له لم يجدها في الشارع ، وأنه إذا كانت لا ترغب في ذلك فعليها إعادة الفلوس إليه ، فقالت له الفتاة بأنها لا تملك سوى 20 دينار ، فأخبرها بأنها ليست مشكلته ، وأخبرته بأنها تريد مقابلة زميلاتها لأنها لا تعرف أي شيء عن هذا الاتفاق ، فقال لها الشاب بأن زميلاتها قد انصرفن ، ولم يبق بالشقة سوانا. فأصابها الخوف والفزع ، وقالت للشاب أن يمهلها يومين لتحضر له الفلوس ، فأبلغها بموافقته على هذا العرض ، ولكن يجب تسليمه بطاقتها المدنية ، مع كتابة ورقة بالمبلغ حتى يتركها لكي تخرج من الشقة بسلام ، ووافقت الفتاة على طلبه ، وكتبت له

ورقة وبصمت عليها وذهبت الفتاة إلى الجامعة في اليوم التالي ، وعندما شاهدها زميلاتها في الشلة أخذن في الضحك ، وشعرت هي بالمهانة والحقارة والذل والغضب ، فأمسكت بحجر كان على الأرض وألقته بقوة على زميلاتها في الشلة ، فأصاب إحداهن في رأسها ، وذهبت هذه الزميلة والدم ينزف من رأسها لتشكوها بمكتب عميد الكلية. الأمر الذي أدى الى فصلها من الكلية وخافت الفتاة إخبار أهلها بأنها قد فصلت من الجامعة ، وكانت تخرج صباح كل يوم على أنها ذاهبة الى الكلية ، ولكنها كانت تقضي اليوم كله على البحر نائمة في سيارتها بعد أن تغلق أبوابها ، ويوماً بعد يوم ضاق بها الحال ، وأخذ الخوف يتملكها من أن تخبر أهلها ، فيستفسرون عن سبب فصلها ، وفي هذه الحال سينكشف أمرها لأن شلة الزميلات سيحاولون تشويه سمعتها وهكذا مرت الأيام ثقيلة بطيئة ، إلى أن جاء فرج الله على يد إحدى صديقاتها المخلصات التي تعرف قصة فصلها من الجامعة ، ولكنها لا تعرف السبب الذي من أجله قامت بضرب زميلتها ، وكذلك لا تعرف قصة ذهابها مع شلة الزميلات إلى الشقة الخاصة ، ولا تعرف أيضاً ما حدث داخل هذه الشقة في ذلك اليوم المشؤوم! المهم أن هذه الصديقة المخلصة أخبرتها بأنها أبلغت والدها بمشكلتها وقصة فصلها من الجامعة ، ووعد والد هذه الصديقة المخلصة بالتدخل لدى الجامعة لإعادتها مرة أخرى إلى الجامعة ، وبالفعل نجحت جهود والد صديقتها في إعادتها إلى الجامعة مرة أخرى. وبالرغم مما مر عليها من أحداث غريبة ، فلم تتركها شلة الزميلات في حالها حيث أبلغتها واحدة منهن بأن الشاب الحقير يريد فلوسه ، فأبلغتها بأنه ليس لديها مانع في ذلك ، وأن المبلغ المتفق عليه وهو 100 دينار سيكون جاهزاً غداً إن شاء الله بشرط إحضار البطاقة المدنية التي أخذها منها الشاب ، وكذلك الورقة التي بصمت عليها ، وحتى تستطيع الفتاة أن تسترد بطاقتها المدنية ، والورقة التي بصمت عليها ، ذهبت الى سوق الذهب لبيع أساورها الذهبية بسعر منخفض جداً عما اشترته بها ، وفي اليوم التالي ذهبت إلى الكلية وقابلت زميلتها بالشلة ، تلك التي بادرتها بالقول عن مدى استطاعتها دفع المبلغ دفعة واحدة أو سوف تقوم بتقسيطه على دفعات ، فاستغربت الفتاة من قول زميلتها ، وقالت لها بأنها ستدفع المبلغ فوراً ، ودفعة واحدة ، فقالت لها زميلاتها هل معك عشرة آلاف دينار (10.000 دينار)؟ وهنا جُن جنون الفتاة ، وأصيبت بصدمةٍ قاسيةٍ ، وعلمت بأنهم قاموا أي الشاب وزميلاتها بالشلة بتزوير الورقة التي بصمت عليها بإضافة صفرين على يمين 1000 دينار ليصبح ما عيلها 10.000دينار ، وليس 100 دينار! وكل هذه التفاصيل أدلت بها الفتاة لضابط المباحث بالمخفر عندما لم تجد أي مخرج لأزمتها مع هؤلاء الزميلات سيئات السمعة ، وما كان من ضابط المباحث في المخفر إلا أن قام بتهدئة الفتاة ، وأخذ منها عنوان واسم زميلتها التي قامت بتهديدها ، وعنوان الشقة التي يقيم بها الشاب الذي بصمها على الورقة ، وأرقام تليفونات بقية زميلاتها في الشلة ، وقام ضابط المباحث بعد ذلك بالاتصال بوكيل النائب العام الذي أمر بتدوين قضية ابتزاز وتزوير وتهديد ، وصدر إذن من النيابة بمداهمة الشقة ، وتم ضبط الشاب واقتيد إلى المخفر بحضور الفتاة صاحبة الشكوى ، وعندما رآها اعترف بكل شيء ، وصدر بعد ذلك إذن من النيابة بضبط الزميلة التي قامت بتهديد الفتاة ، حيث نصب رجال المباحث كميناً لها لكنه باء بالفشل لأن هذه الزميلة لم تخرج من البيت ، مما اضطر رجال المباحث لمداهمة بيتها ، وتم ضبطها ، وضبط الحشيش الذي كان بحوزتها ، وتم التحقيق معها ، وطلب الضابط والد الفتاة المجني عليها وشرح له القضية بكامل تفصيلاتها ، وتفهم الأب وضع ابنته وأمرها بأن تجلس في

البيت، وألا تذهب الى الجامعة مرة أخرى. وأغلقت القضية ، وأحيلت إلى القضاء حيث حكمت المحكمة على الشاب صاحب الشقة بالحبس 5 سنوات ، وعلى الفتاة المتهمة بالحبس عشر سنوات بتهمة التزوير ، والابتزاز ، وحيازة المخدرات هذه قصة الفتاة الجامعية التي لم تجد أي سند ولا نصير يقف بجانبها ، يرشدها ، ينصحها ، يحذرها ، ونتساءل أين أسرة هذه الفتاة من كل هذه الأحداث المؤلمة التي تحملتها وحدها؟ ألم تشعر أم هذه الفتاة بمعاناتها؟ أين إخوتها وأخواتها وأقاربها؟ ثم ما ذنب هذه الفتاة لكي يحرمها والدها من استكمال دراستها الجامعية تتناسب مع أخلاقها ومبادئها التي تربت عليها ، وفي كل يوم تسمع منهن حكايات غريبة ، فإحداهن تتحدث عن أدق خصائص الحياة الزوجية وكأنها فعلاً متزوجة ، وإحداهن تتحدث عن صديقها ومن الضروري أن يكون لكل فتاة "صيق" ، وثالثة تتحدث عن ضرورة حرية الفتاة في أن تجرب كل أنواع المخدرات. وكانت الفتاة تستمع إلى كل هذه الحكايات باستغراب شديد ، وعدم اكتراث حيث انشغلت في حضور المحاضرات ، ولكن بعد فترةٍ وجدت نفسها مشدودة لأحاديث وحكايات شلة زميلاتها. بل ووجدت نفسها منجذبة لهن! لا بد للآباء والأمهات ن متابعة أولادهم والتقرب إليهم والوقوف على مشكلاتهم ومحاولة حلها!)

18 - إسلام البرفيسور تاجاتات تاجاسون

(في موقع "الإعجاز" كانت قصته! يقول الموقع بالنص: (بدأت صلتنا بالبروفيسور تاج آتات تجاسون عندما عرضنا عليه بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتصلة بمجال تخصصه في علم التشريح ، وبعد أن أجاب على تساؤلاتنا قال: (نحن كذلك يوجد في كتبنا البوذية المقدسة أوصافاً لأطوار الجنين. نحن في شوق لأن نقف على ما جاء في تلك الكتب. وفى العام التالي عندما جاء ممتحناً خارجياً لطلاب كلية الطب بجامعة الملك عبد العزيز سألنا عما وعدنا به وفي أمانةٍ علميةٍ جديرةٍ بالاحترام أجاب علينا بقوله: أقدم لكم اعتذاري عن معلوماتي السماعية! لقد أجبتكم دون أن تثبت من هذه المعلومات ، ولكني بالرجوع إلى تلك الكتب لم أجد شيئاً حول ذلك الموضوع). عندئذٍ قدمنا له محاضرة كان قد أعدها البروفيسور كيث مور أستاذ علم التشريح بجامعة تورنتو بكندا ، وعنوانها: (مطابقة علم الأجنة لما في القرآن والسنة) ، وسألناه هل تعرف البروفيسور مور؟ فأجاب: نعم بالطبع! إنه من كبار العلماء المشهورين في هذا التخصص ، وهو مرجعٌ عالمي ، وإني لمندهش مما سجله هنا في هذه المحاضرة. ثم سألناه عدداً من الأسئلة في مجال تخصصه ، كان من بينها ذلك السؤال المتعلق بالجِلد: هل هناك مرحلة ينعدم عندها الإحساس بألم الحرق؟ فأجاب: نعم إذا كان الحرق عميقاً ودمر عضو الإحساس بالألم! فسألناه: حسناً ما رأيك إذن في أن القرآن الكريم الذي عند تاريخ نزوله على النبي محمد صلى الله عليه وسلم لأكثر من ألف وأربعمائة عام ، قد أشار إلى تلك الحقيقة العلمية عندما ذكر الطريقة التي سيعاقب الله بها الكافرين يوم القيامة حيث يقول: (إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب)! فأجاب: إن القرآن هنا يُقرر أنه عندما ينضج الجلد يخلق الله للكفار جلداً جديداً كي يتجدد إحساسهم بالألم ، وذلك تأكيدٌ من جانب القرآن على أن الأطراف العصبية التي تجعل الإنسان يشعر بالألم موجودة في الجلد. هذا أمرٌ يدعو للدهشة والغرابة حقيقة ، فتلك معرفة مبكرة جداً عن مراكز الإحساس والأعصاب في الجلد ولا أدرى كيف ذكر قرآنكم هذا! فسألناه: تُرى أيمكن أن تكون هذه المعلومات قد استقاها محمد نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم من

مصدر بشري؟ فأجاب: بالطبع لا! ففي ذلك الوقت لم تكن هناك معارف بشرية حول هذا الموضوع. فسألناه: من أين إذن وكيف عرف ذلك؟ فأجاب: المؤكد عندي هو استحالة المصدر البشري ، ولكني أسألكم أنتم: من أين تلقى النبي محمد صلى الله عليه وسلم هذه المعلومات الدقيقة؟ فأجبناه: من عند الله! فسألنا: الله! ومن هو الله؟ وبعد أن شرحنا له المفهوم الإسلامي للفظ الجلالة الأعظم ، راقته تلك الرؤية ، وعاد إلى بلاده ليحاضر عن هذه الظاهرة القرآنية التي عايشها وتأثر بها ، حتى جاء موعد المؤتمر الطبي السعودي الثامن ، واستمع في الصالة الكبرى التي خصصت للإعجاز على مدى أربعة أيام لكثير من العلماء ولا سيما غير المسلمين ، يحاضرون عن ظاهرة الإعجاز العلمي ، وفى ختام جلسات المؤتمر وقف البروفيسور (تاج آتات تجاسون) يعلن قائلاً: بعد هذه الرحلة الممتعة والمثيرة ، فإني أومن أن كل ما ذكر في القرآن الكريم يمكن التدليل على صحته بالوسائل العلمية ، وحيث إن محمداً نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم كان أمياً ، إذن لا بد أنه قد تلقى معلوماتٍ عن طريق وحي من خالق عليم بكل شيء. وإنني أعتقد أنه حان الوقت لأن أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله (ويرى الذين أتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحكيم.)

19 - ترك الحرام فخرج من جسده المسك

(وهذه من أعجب القصص في الدلالة على أن من يتمسك بالحق ويبتعد عن الحرام تقرباً بذلك إلى الله تعالى ، فإن الله يُثبته على الحق! كان هناك شابٌ يبيع البز (القماش) ، ويضعه على ظهره ويطوف بالبيوت ويسمونه (فرقنا) ، وكان مستقيم الأعضاء جميل الهيئة من رآه أحبه لما حباه الله من جمال ووسامةٍ زائدةٍ عن الآخرين. وفي يوم من الأيام وبينما هو يمر بالشوارع والأزقة والبيوت رافعاً صوته "فرقنا" إذ أبصرته امرأة فنادته ، فجاء إليها ، وأمرته بالدخول إلى داخل البيت ، وأعجبتْ به وأحبته حباً شديداً ، وقالت له: إنني لم أدعُك لأشتري منك. وإنما دعوتك من أجل محبتي لك ولا يوجد في الدار أحد ، ودعته إلى نفسها ، فذكرها بالله وخوفها من أليم عقابه. ولكن دون جدوى. فما يزيدها ذلك إلا إصراراً. وأحب شيء إلى الإنسان ما مُنعا كما يقولون. فلما رأته ممتنعاً من الحرام قالت له: إذا لم تفعل ما أمرك به صِحتُ في الناس ، وقلت لهم: دخل داري ويريد أن ينال من عِفتي! وسوف يصدقون كلامي لأنك داخل بيتي. فلما رأى إصرارها على الإثم والعدوان ، قال لها: هل تسمحين لي بالدخول إلى الحمام من أجل النظافة؟ ففرحت بما قال فرحاً شديداً. وظنت أنه قد وافق على المطلوب. فقالت: وكيف لا يا حبيبي وقرة عيني؟ إن هذا لشيء عظيم. ودخل الحمام وجسده يرتعش من الخوف والوقوع في وحل المعصية. فالنساء الجاهليات حبائل الشيطان وما خلا رجل بامرأةٍ إلا وكان الشيطان ثالثهما. يا إلهي ماذا أعمل؟ دلني يا دليل الحائرين. وفجاءة جاءت في ذهنه فكرة. فقال: إنني أعلم جيداً: أن مِن الذين يُظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله! وأعلم: أن من ترك شيئا لله عوضه الله خيراً منه. ورب شهوةٍ تورثُ ندماً إلى آخر العمر. وماذا سأجني من هذه المعصية غير أن الله سيرفع من قلبي نور الإيمان ولذته. لن أفعل الحرام. ولكن ماذا سأفعل؟ هل أرمي نفسي من النافذة؟ لا أستطيع ذلك. فإنها مغلقة جداً ويصعب فتحها. وإن فعلتُ كان لي عقابي عند ربي لأن روحي ملك لمن خلقها ، وهي وديعة وأمانة عندي ، ولا يجوز لي أبداً التخلص منها لغير ما مبرر أو مسوغ شرعي! إذاً سألطخ جسدي بهذه القاذورات والأوساخ ، فلعلها إذا رأتني على هذه الحال تركتني

وشأني. وفعلاً صمم على ذلك الفعل الذي تتقزز منه النفوس. مع أنه يخرج من النفوس! ثم بكى وقال: رباه إلهي وسيدي خوفك جعلني أعمل هذا العمل. فأخلف علي خيراً. وخرج من الحمام فلما رأته صاحت به: اخرج يا مجنون؟ فخرج خائفاً يترقب من الناس وكلامهم ، وماذا سيقولون عنه. وأخذ متاعه والناس يضحكون عليه في الشوارع ، حتى وصل إلى بيته وهناك تنفس الصعداء وخلع ثيابه ودخل الحمام واغتسل غسلاً حسناً ثم ماذا؟ هل يترك الله عبده ووليه هكذا؟ لا! فعندما خرج من الحمام ، عوضه الله شيئاً عظيماً بقي في جسده حتى فارق الحياة وما بعد الحياة. لقد أعطاه الله سبحانه رائحة عطرية زكية فواحة كعطر المسك تخرج من جسده. يشمها الناس على بعد عدة مترات ، وأصبح ذلك لقباً له. "المسكي" فقد كان المسك يخرج من جسده. وعوضه الله بدلاً من تلك الرائحة التي ذهبت في لحظات رائحة بقيتْ مدى الوقت. وعندما مات ووضعوه في قبره. كتبوا على قبره هذا قبر "المسكي" فالله سبحانه لا يترك عبده الصالح هكذا. بل يدافع عنه. إن الله يدافع عن الذين آمنوا. الله سبحانه يقول: (ولئن سألني لأعطينه. فاين السائلون؟)

20 - النبي ذو الكفل عليه السلام

(قليلة هي المعلومات المتاحة لنا عن هذا النبي العظيم من أنبياء بني إسرائيل! قال أهل التاريخ: ذو الكفل هو ابن أيوب عليه السلام ، ونسبه هو نسب أيوب عليه السلام ، واسمه في الأصل (بشر)! وقد بعثه الله بعد أيوب ، وسماه ذا الكفل ، لأنه تكفل ببعض الطاعات فوفي بها ، وكان قبره في الشام! وأهل دمشق يتناقلون أن له قبراً في جبل هناك يشرف على دمشق يسمى قاسيون. ويرى بعض العلماء أنه ليس بنبي وإنما هو رجل من الصالحين من بني إسرائيل ، وقد رجح ابن كثير نبوته ، لأن الله تعالى قرنه مع الأنبياء فقال عز وجل في سورة الأنبياء: (وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين ، وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين) قال ابن كثير: فالظاهر من ذكره في القرآن العظيم بالثناء عليه مقروناً مع هؤلاء السادة الأنبياء أنه نبي عليه من ربه الصلاة والسلام وهذا هو المشهور. وترجيح الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى تقوم به الحجة! والقرآن الكريم لم يزد على ذكر اسمه في عِداد الأنبياء! أما دعوته ورسالته والقوم الذين أرسل إليهم فلم يتعرض لشيء من ذلك لا بالإجمال ولا بالتفصيل! لذلك نمسك عن الخوض في موضوع دعوته! حيث إن كثيراً من المؤرخين لم يوردوا عنه إلا النزر اليسير ، ومما ينبغي التنبه له أن (ذا الكفل) الذي ذكره القرآن هو غير (الكفل) الذي ذكر في الحديث الشريف ونص الحديث كما رواه الأمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (كان الكفل من بني إسرائيل لا يتورع عن ذنب عمله! فأتته امرأة فأعطاها ستين دينار على أن يطأها ، فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت وبكت! فقال لها: ما يبكيك؟ أأكرهتك؟ قالت: لا! ولكن هذا عمل لم أعمله قط ، وإنما حملتني عليه الحاجة. قال: فتفعلين هذا ولم تفعليه قط؟ ثم نزل عنها وقال: اذهبي بالدنانير لك ، ثم قال: والله لا يعصي الله الكفل أبداً! فمات من ليلته فأصبح مكتوباً على بابه: قد غفر الله للكفل). وقال ابن كثير: ورواه الترمذي وقال: حديث حسن وروي موقوفاً على ابن عمر ، وفي إسناده نظر فإن كان محفوظاً فليس هو ذا الكفل ، وإنما لفظ الحديث (الكفل) من غير إضافة فهو إذاً رجل آخر غير المذكور في القرآن. ويذكر بعض المؤرخين أن ذا الكفل تكفل لبني قومه أن يكفيهم أمرهم ، ويقضي بينهم بالعدل ، فسمي ذا الكفل ، وذكروا بعض القصص في ذلك ولكنها قصص تحتاج إلى تثبت وإلى تمحيص وتدقيق. ونحن لا نثبت في قصصنا هذا إلا الصحيح أو على الأقل الحسن ، أو ما يُستأنس به أو ما غلب عليه الظن!)

21 - أم سليم الأنصارية والزواج

(إن مواقف أم سُليم الأنصارية لجديرة بالتأمل والتفكر والاعتبار! فلنتأمل معاً موقفاً من رجل جاء يخطبها! فلقد أولى الإسلام الزواج اهتماماً خاصاً لما فيه من أثر عظيم في تكوين اللبنة الأولى للمجتمع ، فإذا صلحت تلك اللبنة صلح المجتمع كله! فمن أجل ذلك حث الإسلام على أن يختار كل طرف الآخر على أساس من الدين فقال النبي صلى الله عليه وسلم مخاطباً الأزواج: "فاظفر بذات الدين تربت يداك". وفي المقابل حث أولياء أمور النساء على قبول من تقدم إليهم بالزواج منهن ، إذا كان من أهل الاستقامة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض. فإذا كان الأمر كذلك فتعالوا ننظر إلى أم سليم الأنصارية رضي الله عنها وكيف كان زواجها في الجاهلية والإسلام. عاشت في بداية حياتها كغيرها من الفتيات في الجاهلية قبل مجيء الإسلام فتزوجت مالك بن النضر ، فلما جاء الله بالإسلام ، وظهرت شمسه في الأفق واستجابت وفود من الأنصار ، أسلمت مع السابقين إلى الإسلام ، وعرضت بكل حيدةٍ وموضوعية الإسلام على زوجها مالك بن النضر ، فغضب عليها ، وكان قد عشش الشيطان اللعينُ في رأسه ، فلم يقبل هدى الله ، ولم يستطع أن يقاوم الدعوة لأن المدينة صارت دار إسلام ، فخرج إلى الشام فهلك هناك ، والذي يظهر لنا أن زوجها لم يخرج إلى الشام تاركاً وراءه زوجته وابنه الوحيد ، إلا بعد أن يئس أن يثني أم سليم عن الإسلام ، فصار هذا أول موقف يُسجل لأم سليم رضى الله عنها وأرضاها ، ذلك أننا نعلم حجم تأثير الزوج في زوجته وأولاده ، فاختيار أم سليم الأنصارية الإسلام على زوجها في ذلك الوقت المبكر يُنبئ عن عزيمةٍ أكيدةٍ ، وإيمان راسخ في وقتٍ كان الاعتماد في تدبير البيت والمعاش وغير ذلك من أمور الحياة على الرجل ، ولم تكن المرأة قبيل مجيء الإسلام تساوي شيئاً ، فكونها أخذت هذا القرار من الانفصال بسبب الإسلام عن زوجها الذي في نظرها يعتبر كل شيء في ذلك الوقت ، فيه دلالة على ما تمتاز به هذه المرأة المسلمة من الثبات على المبدأ مهما كلفها من متاعب. أما زواجها في الإسلام فذاك هو العجب بعينه ، ولم يتكرر في التاريخ مثله! فعن أنس رضي الله عنه قال: "خطب أبو طلحة أم سليم قبل أن يُسلم ، فقالت: أما إني فيك لراغبة ، وما مثلك يُرد ، ولكنك رجلٌ كافرٌ ، وأنا امرأة مسلمة ، فإن تُسلم فذاك مهري ، لا أسأل غيره ، فأسلم أبو طلحة وتزوجها. وفي رواية عند الإمام الحاكم أن أبا طلحة خطب أم سليم يعني قبل أن يسلم ، فقالت: يا أبا طلحة ألست تعلم أن إلهك الذي تعبد نبت من الأرض نجرها حبشي بني فلان؟! إن أنت أسلمت لا أريد من الصداق غيره ، قال: حتى أنظر في أمري! فذهب فجاء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله ، و أن محمدا رسول الله ، فقالت: يا أنس زوج أبا طلحة. فانظر كيف أن أم سليم أرخصت نفسها في سبيل دينها ومبدئها وكيف أنها استعملت الحكمة للوصول إلى هدفها ، فهي من جهة بينت له ضلال ما هو عليه من عبادة الأشجار والأوثان ، وذلك ما تستقبحه الطبائع السليمة ، ومن جهة ثانية مدحته بما فيه من الخصال الطيبة وأثنت عليه بقولها: (مثلك لا يرد) ، أي أن فيك من صفات الرجولة والحسب والجاه ما يدعو للزواج منك لولا هذه الخصلة من الكفر ، ثم لم تقف عند هذا الحد ، بل رغبته في الزواج منها بأن أسقطت مهرها مقابل إسلامه ، فكانت بذلك أول امرأةٍ جعلت مهرها إسلام زوجها ، فصارت سبباً في دخول أبي طلحة في الإسلام ، فحازت بذلك على الفضيلة التي وعد بها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله: " فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم ".)

22 - العرضحالجي

(معتوق شاب في العشرينات من عمره ، متوقد الذكاء لم تسمح ظروفه لإكمال التعليم فاستغل معرفته بالقراءة والكتابة في كتابة الأبحاث والطلبات والمذكرات والخطابات لأهل قريته! وكانوا ينقدونه مقابل ذلك دُريهمات تعينه على متطلبات الحياة. ومع مرور الوقت أصبح خبيراً في اساليب صياغة الرسائل والخطابات ، وأصبح له إلمام بالأساليب البيانية المؤثرة في قلوب الناس. وزاد من هذا التأثير اقتناؤه لبعض كتب الأدب القديمة والحديثة ، فأصبح في مجال الكتابة يشق العُباب ولا يرد له خطاب! وبعد فترة انتقل إلى المدينة بعدما اشتد الطلب عليه وأراد أن يوسع من مجال أعماله ...وما هي إلا فترة قصيرة حتى تمكن من فتح دكان صغير زينه بلوحة جذابة كتب عليها (العرضحالجي معتوق) ...وازدهرت سوقه وانهالت عليه الطلبات! وذات يوم جاءه رجل قروي بسيط ، وطلب منه أن يكتب له معروضاً يشكو فيه حاله وفقره وما وقع عليه من ظلم الحال والإنسان فشمر معتوق عن ساعديه واستنفد عصارة فكره وكتب معروضاً بديعاً لا يشق له غبار! وطلب الرجل القروي من معتوق أن يقرأ له المعروض ... فبدأ معتوق بالقراءة والقروي يسمع ...وبدا التأثر واضحاً على القروي وهو يستمع في أسى ... وما أن أنهى معتوق القراءة حتى انفجر القروي باكياً وهو يقول: إلى هذه الدرجة أنا مظلوم ولا أدري بذلك؟!)

23 - اسق حديقة فلان

(قال الإمام مسلم رحمه الله : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَاللَّفْظُ لِأَبِي بَكْرٍ قَالَا حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ وَهْبِ بْنِ كَيْسَانَ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ اللَّيْثِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ فَقَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ قَالَ فُلَانٌ لِلِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ فَقَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي فَقَالَ إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ لِاسْمِكَ فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا قَالَ أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ و حَدَّثَنَاه أَحْمَدُ بْنُ عَبْدَةَ الضَّبِّيُّ أَخْبَرَنَا أَبُو دَاوُدَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ كَيْسَانَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ وَأَجْعَلُ ثُلُثَهُ فِي الْمَسَاكِينِ وَالسَّائِلِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ!)

24 - قصة الشكاك

(في كتاب: (أذكياء الفقهاء) إعداد / الأستاذ أشرف عبد الرؤوف قدح يأتي قوله: (جاء أحد الموسوسين المتشككين إلى مجلس الفقيه ابن عقيل ، فلما جلس ، قال للفقيه: إني أنغمس في الماء مراتٍ كثيرة ، ومع ذلك أشك: هل تطهرت أم لا ، فما رأيك في ذلك؟ فقال ابن عقيل: اذهب ، فقد سقطت عنك الصلاة. فتعجب الرجل وقال له: وكيف ذلك؟ فقال ابن عقيل: لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "رفع القلم عن ثلاثة: المجنون حتى يفيق ، والنائم حتى يستيقظ ، والصبي حتى يبلغ". ومن ينغمس في الماء مراراً – مثلك - ويشك هل اغتسل أم لا ، فهو بلا شك مجنون.)

25 - قصة حرق طارق بن زياد لمراكبه (مكذوبة)

(قصة منتشرة في كثير من كتب التاريخ وبالأخص التاريخ الأندلسي ، ألا وهي قصة حرق طارق بن زياد لمراكبه بعد عبوره للضفة الأخرى من الأندلس وإلقائه خطبة عصماء على جنوده يحثهم فيها على القتال ..تذكر الروايات التاريخية أن طارقاً لما عبر للضفة الأخرى من الشاطئ الإسباني ، ولكي يقطع على جنوده أي تفكير في التراجع أو الارتداد ، قام و خطب فيهم خطبته الشهيرة التي يقول في مطلعها: أيها الناس أين المفر؟ البحر من ورائكم والعدو من أمامكم وليس لكم والله إلا الصدق والصبر ، واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام .. الخ. والروايات الإسلامية التي تشير إلى حادثة حرق السفن لم ترد – فيما أعلم – إلا في ثلاثة مراجع أحدها: كتاب الاكتفاء لابن الكردبوس ، والثاني: كتاب نزهة المشتاق للشريف الإدريسي ، والثالث: كتاب الروض المعطار للحميري. فابن الكردبوس بعد أن يصف المعركة التي خاضها طارق لاحتلال هذا الجبل الذي سمي باسمه ، يقول في اختصار شديد: (ثم رحل طارق إلى قرطبة بعد أن أحرق المراكب وقال لأصحابه: قاتلوا أو موتوا). الاكتفاء لابن الكردبوس (ص46-47). أما الإدريسي فإنه يقول في شيء من التفصيل: (وإنما سمي بجبل طارق لأنه طارق بن عبد الله بن ونمو الزناتي ، لما جاز بمن معه من البربر وتحصنوا بهذا الجبل ، أحس في نفسه أن العرب لا تثق به ، فأراد أن يزيح ذلك عنه ، فأمر بإحراق المراكب التي جاز بها فتبرأ بذلك عما اتهم به). نزهة المشتاق (ص 36). ويكرر صاحب الروض المعطار رواية الإدريسي مع اختلافٍ بسيطٍ ولكنه هام ، فيقول: (وإنما سمي بجبل طارق لأن طارق بن عبد الله لما جاز بالبربر الذين معه ، تحصن بهذا الجبل ، وقدر أن العرب لا ينزلونه ، فأراد أن ينفي عن نفسه التهمة فأمر بإحراق المراكب التي جاز فيها ، فتبرأ بذلك مما اتهم به). الروض المعطار للحميري (ص 75). ومما يفهم من رواية ابن الكردبوس أن طارقاً أراد بحرق سفنه أن يشحذ همم المقاتلة. أما الإدريسي والحميري فإنه يفهم من كلامهما أن طارقاً أحس بأن العرب لا تثق به ، وقدر أنهم قد لا ينزلون معه إلى الجبل ، وهذا يعني أن خلافاً وقع بين طارق وبين جنوده العرب الذين يعملون تحت قيادته ، فعمد إلى إغراق سفنه كي يحول دون انسحابهم بها إلى المغرب ، فيتخلص بذلك من التهم التي يوجهونها ضده عند القائد الأعلى موسى بن نصير. وكيفما كان الأمر فإن جمهور المؤرخين المحدثين يميلون إلى إنكار صحة هذه الرواية من أساسها كحدث تاريخي ، غير أن هناك من يؤيد وقوع هذه الحادثة خصوصاً وأن هناك رواياتٍ مشابهة وردت في كتب التاريخ قديماً وحديثاً تشير إلى وقوع أحداثٍ مماثلة. والآن سأورد أدلة المؤرخين الذين يثبتون القصة ، ثم أتبعه بأدلة النافين و الترجيح بينهما. - أدلة المثبتين للقصة:- أولاً: من الأمثلة القديمة التي يستدل بها المثبتون لهذه القصة: بموقف أرياط الحبشي الذي عبر البحر إلى اليمن ، حيث أحرق سفنه وألقى على جنده خطبة تشبه خطبة طارق في جنوده ، وموقف القائد الفارسي وهرز الذي بعثه كسرى مع سيف بن ذي يزن إلى اليمن لتحريرها من الأحباش ، وقد أحرق سفنه أيضاً وقال لجنوده كلاماً مشابهاً لكلام طارق. راجع: الطبري (119/2). ثانياً: و لعل اقرب مثال لذلك هو تلك القصة التي يرويها أبو بكر المالكي من أن فاتح جزيرة صقلية المشهور أسد بن الفرات (ت 212هـ) أراد هو الآخر حرق مراكبه ، حينما ثار عليه بعض جنوده وقواده ، وطالبوه بالانسحاب من الجزيرة والعودة إلى القيروان. راجع: كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم (188/1-189). ثالثاً: هناك قصة مماثلة يقدمها لنا

التاريخ الأسباني وبطلها هو القائد أرنان كورتس الذي فتح المكسيك سنة (1519م) ، فيروى أن هذا القائد الأسباني اكتشف مؤامرة دبرها جماعة من قواده للهرب بالسفن إلى أسبانيا ، عندئذ أمر كورتس بإنزال الجنود والأمتعة إلى الشاطئ الأمريكي ، ثم دس من خرق السفن وأغرقها ليلاً كي يحول دون تنفيذ هذه المؤامرة. راجع: كتاب في تاريخ المغرب والأندلس لأحمد مختار العبادي (ص62-63). - أدلة النافين للقصة :- أولاً: أن طارق بن زياد لا يمكن أن يقطع وسيلة النجاة للعودة ، خاصة وأنه في أرض مجهولة ولا يعلم مصيره ولا مصير جنوده. ثانياً: أن طارق بن زياد أرسل إلى موسى بن نصير يطلب منه الإمدادات بعد أن عبر و تواجه مع جيش القوط هناك ، فأرسل له موسى بن نصير خمسة آلاف مقاتل ، والسؤال هناك كيف استطاع موسى أن ينقل كل هذه الأعداد إذا كان طارق قد أحرق السفن ؟! ثالثاً: ويمكن أن يقال أيضاً: وهل تستطيع المصانع الإسلامية أن توفر سفناً تنقل خمسة آلاف مقاتل في تلك الفترة الوجيزة ، إن كان طارقاً قد أحرق السفن؟! رابعاً: لو قلنا مثلاً أن تلك السفن التي أحرقها طارق هي مراكب يوليان حاكم سبتة ، فبأي سلطةٍ يقدم طارق على إحراق سفن الرجل؟ خامساً: إن قلنا بأن السفن تخص الدولة الإسلامية ، إذاً فكيف لطارق أن يتصرف في أموال الدولة على هواه ، بل يجب عليه أن يستأذن الخليفة في هذا الصنيع ، ولا يتصرف بنفسه. سادساً: ثم إن طارقاً وجيشه يقاتلون من أجل عقيدة ، وإنهم من ساعة عبورهم جاؤوا مجاهدين مستعدين للشهادة ، وطارق متأكد من هذه المعاني. - الترجيح :- من خلال النظر في أدلة المثبتين والمنكرين للقصة ، يتضح لنا ضعف أدلة المثبتين ، لأنه ليس كل ما هو مشهور صحيح ، بمعنى أنه ليست كل تلك القصص التي استدل بها الفريق الأول صحيحة ، وإن اعتقدنا فرضاً بصحة تلك القصص ، فلا يعني هذا أن يقدم طارق على حرق سفنه لأنه قد سبقه أناس آخرون بهذه الفعلة. وإذا نظرنا إلى تعليل المنكرين للقصة نجدها صحيحة تتمشى مع خطط القائد الفاتح ، الذي يدرك مدى خطورة إقدامه على فعل كهذا. وإن دوافع المعاني الإسلامية والهدف الذي جاء الجيش من أجله لأقوى من الاندفاع من أي سبب آخر ، وما كان المسلمون يتخلفون عن خوض معركة أو تقديم أنفسهم لإعلاء كلمة الله ، والمصادر الأندلسية – لا سيما الأولى – لا تشير إلى قصة حرق السفن التي لا تخلو من علاقة وارتباط بقصة الخطبة. - أما من ناحية الخطبة التي ألقاها طارق على جنوده ، فقد وردت في عدة مراجع مثل تاريخ عبد الملك بن حبيب (ص 222) ، وكتاب نفح الطيب للمقري (225/1) ، وكتاب الإمامة والسياسية المنسوب لابن قتيبة (117/2) ، وكتاب وفيات الأعيان لابن خلكان (404/4). أما عامة المراجع الإسلامية فإنها تمر عليها بالصمت التام باستثناء عبارة ابن الكردبوس التي تلخص الخطبة في كلمتين فقط: (قاتلوا أو موتوا). وقد شك بعض المؤرخين المحدثين في نسبة هذه الخطبة إلى طارق ، على اعتبار أنها قطعة أدبية فريدة لا يقدر طارق على صياغتها ، كما لا يقدر جنوده على فهمها لأنهم جميعاً – القائد و جنوده – من البربر. على أن هذا التعليل وإن كان يبدو منطقياً ومعقولاً ، إلا أنه لا يمنع من أن طارقاً قد خطب جنده على عادة القواد الفاتحين في مختلف العصور ، وإن كنا نعتقد في هذه الحالة أن الخطبة لم تكن باللغة العربية ، وإنما كانت باللسان البربري كما يسميه المؤرخون القدامى. ثم جاء الكُتاب العرب بعد ذلك ، فنقلوها إلى العربية في شيء كثير من الخيال والإضافة والتغيير على عادتهم . ومن هذا نرى أنه ليس بعيداً بالمرة أن يكون طارق قد خطب جنوده البربر بلسانهم ، إذ أنه من غير المعقول أن يخاطبوا في ساعات الوغى وفي مقام الجد بلغة لم يتعلموها أو يفهموها ، فكان استعمال اللسان البربري في هذا الموقف ضرورة لإحراز التأثير المطلوب والفائدة العاجلة. قد تناول الشيخ مشهور هذه القصة بالنقد في كتابه: قصص لا تثبت!)

26 - إنما المَكان بعُمَّاره

(قِيمة بعض الأمكنة في الدنيا تنبثق من كونها مقدسة - كمكة والمدينة وبيت المقدس وأكناف بيت المقدس وجبل الطور – تكون بتقديس الله رب العالمين لها ووصفه لها سبحانه في كتابه أو سنة رسوله – صل الله عليه وسلم - بأنها مقدسة. أو يكون المكان مُحترماً محبوباً مألوفاً عند قوم بعُمَّاره من الصالحين الأتقياء الذين يعينوننا على الدين وينصحون لله ورسوله. وأنا هنا أتكلم عن النوع الثاني ، حيث كانت لي رفقة صالحة ، وافتقدتها الواحد تلو الآخر ، فإذا بالمكان قفر رغم كثرة سكانه. وما تفتيش كفر سعد وقد رحل عنه الأحبة الذين نحسبُهم صالحين ولا نزكي على الله أحداً ، (الأحبة الأصفياء الذين أحببتهم في الله – عز وجل – على غير أنساب بيننا – وأذكر منهم وهم كثر: الدكتور الشربيني أبو طالب ، والشيخ القارئ فهمي درويش ، والحبيب الوالد إبراهيم البغدادي ، والفاضل نادر الحداد ، والفاضل حسني السيد بصلة ، والصديق الوفي فايز جاد إبراهيم ، والفاضل الأستاذ محمد إسماعيل ، والفاضل المحب الأستاذ محمود هلال يسن – رحمة الله عليهم أجمعين). وما كفر سليمان البحري وقد رحل عنها شيوخي الأجلاء رحمهم الله: (الشحات الشيخ وعبد اللطيف السرطاسي ومحمود الليثي). والحقيقة أنني كلما تذكرت أحداً منهم دعوتُ الله له بالرحمة والمغفرة ودخول الجنة. وإذا كنت في مصر عمدتُ إلى زيارة قبورهم! وصدق من قال: المرء قليل بنفسه كثير بخلانه. فإذا رحل الصالحون الأبرار أحسّ بأن المكان موحش لا بركة فيه ولا قيمة له أبداً. ورحم الله الأحباب الصالحين ، ولا حرمنا الله أجرهم ، ولا فتننا بعدهم ، ونسال الله العافية لنا ولهم. ولا نقول إلا ما يرضي ربنا: إنا لله وإنا إليه راجعون. وصدق جوته حين قال: (بالآمال الحلوة الجميلة يصبح الفراق عيداً). والمثل العربي دقيق في تصوير ما يعتور العقول من الألم ، تقول العرب: (فراق الأحباب سِقام الألباب). والعرب تقول أيضاً: (لو كان للفراق صورة لراعت القلوب وهدت الجبال). والعرب تقول في فراق الأحبة أيضاً: (فراق الحبيب يُشيب الوليد ، ويُذيب الحديد). والفرنسيون يقولون: (كل بعيد عن العين فهو بعيد عن القلب). إن الذي يجعل للحياة قيمة رفقاء العقيدة والتوحيد وأصحاب الدين من أهل الأخلاق والمبادئ والقيم. ومن هنا تأخذ الأماكن أهميتها في القلوب والأرواح والأذهان. ويكون المكان بعامره الذي أثر فيه وفي من حوله ، حتى إذا رحل ترك ذكريات طيبة. وما منا إلا وله بمكان ما ذكريات وأطياف ، ونسأل: هل هذه الذكريات وتلك الأطياف للجدران أو للرمال أو للأحجار؟ بالطبع ، لا. إنما للأشخاص الذين ربطتنا بهم الذكريات والأطياف في هذه الأماكن أو تلك! ومن هنا كتبتُ عن هذا المعنى هذه القصة في تأبين كوكبة من أحبائي وأصفيائي كنتُ أرى نفسي فيهم ، وارتبطتُ بهم ارتباطاً وثيقاً وأحببتهم في الله – تعالى – ورسوله – صلى الله عليه وسلم -.)

27 - المكلومَة الصابرة

(إنها أسماء بنت عُمَيس بن معد ، تنتهي إلى خثعم الخثعمية ، وأمها هند وهي خولة بنت عوف بن زهير بن الحارث ، تزوجها جعفر بن أبي طالب فولدتْ له في الحبشة عبد الله وعوناً ومحمداً ، فلما استشهد بمؤتة تزوّجها أبو بكر الصديق رضي الله عنهما فولدت له محمداً. ثم توفي عنها فتزوجها علي بن أبي طالب فولدت له يحيى وعوناً وفي رواية: ومحمداً ، فهي تدعى أم المحمدين. وكانت تخدم فاطمة إلى أن توفيت. وهي أخت ميمونة أم المؤمنين. روي أن

أسماء بنت عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب ؛ فدخلت على نساء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت: هل نزل فينا شيء من القرآن؟ قلن: لا ، فأتت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت: يا رسول الله إن النساء لفي خيبة وخسار ، قال: "ومم ذاك؟" قالت: لأنهن لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال ؛ فأنزل الله هذه الآية: {إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين}. وعن أسماء قالت: دخل عليّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فدعا بني جعفر فرأيته شمهم وذرفت عيناه ، فقلت: يا رسول الله أبلغك عن جعفر شيء ، قال: "نعم قتل اليوم" ، فقمنا نبكي ورجع فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "اصنعوا لآل جعفر طعامًا فقد شغلوا عن أنفسهم" وفي رواية فقد جاءهم ما شغلهم. وقالت أسماء بنت عميس: حججتُ مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تلك الحجة (تعني حجة الوداع) ، فبينما نحن نسير إذ تجلى له جبريل على الراحلة فلم تطق الراحلة من ثقل ما عليها من القرآن ، فبركتْ فأتيته فسجّيت عليه برداء كان عليّ. وعن ابن عباس قال: بينما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جالس وأسماء بنت عميس قريبة إذ قال: "يا أسماء هذا جعفر مع جبريل وميكائيل مرّ فأخبرني أنه لقي المشركين يوم كذا وكذا فسلم فردي عليه السلام" وقال: "إنه لقي المشركين فأصابه في مقاديمه ثلاث وسبعون فأخذ اللواء بيده اليُمنى فقطعتْ ثم أخذ باليسرى فقطعتْ" ، قال: فعوضني الله من يدي جناحين أطير بهما مع جبريل وميكائيل في الجنة آكل من ثمارها. وهناك في سرية مؤتة ، وبعد استشهاد حامل الراية الأول (زيد بن حارثة) يأتي حاملها الثاني (جعفر بن أبي طالب) ، ويعقر فرسه الشقراء لئلا ينتفع بها الأعداء ويحمل الراية بيمينه فتضرب! فيحملها بشماله فتضرب ، فيحملها بعضديه ، فيُشق نصفين. فيأتي حامل الراية الثالث (عبد الله بن رواحة) فيحملها ، فما لبث أن لحق بصاحبيه. وعلم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم – بذلك. وتأتي أسماء بنت عُمَيس (زوج جعفر) وقد عجنتْ عجينها. ورتبت بيتها وغسّلت أبناءَها وطيّبتهم وألبستهم لاستقبال أبيهم. وأقبلت بهم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأحسّت أسماء بشيء ما تبدو آثاره على النبي – صلى الله عليه وسلم ـ فحيّاها ، ودعاها أن تأتي بأولاد جعفر فدعتهم ، فجاؤوا النبي – صلى الله عليه وسلم ـ فرحين متزاحمين فأكبّ عليهم واشتمّهم وعيناه تذرفان الدمع. فقالت أسماء: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، ما يبكيك؟ هل بلغك شيءٌ عن جعفر وصاحبيه؟ قال: نعم ، لقد استشهدوا اليوم. وأما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فدعا لجعفر بأن يَخلفه الله في ولده وأهله. لقد بكى الرسول صلى الله عليه وسلم بعد تلقيه خبر استشهاد القادة الثلاثة ، وأصابه حزن شديد ، وقال: "استنفروا لأخيكم جعفر فإنه شهيد ، فقد دخل الجنة وهو يطير فيها بجناحين من ياقوت مع الملائكة" ، وقال: "اللهم إن جعفراً قد قدم إليك إلى أحسن الثواب فاخلفه في ذريته بخير ما خلفت عبداً من عبادك الصالحين". وحين أخبر النبي أسماء باستشهاد جعفر بكت وناحت فقال لها: "يا أسماء لا تقولي فجْراً ولا تضربي صدْراً" فسمعتْ وأطاعتْ ، وبكت فاطمة فقال النبي: "على مثل جعفر فلتبك الباكية" ، ثم قال لأسماء: "يا أسماء ألا أبشرك؟" قالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، قال: "كان الله قد جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنة" ففرحت وقالت: بأبي أنت وأمي فأعلم الناس بذلك يا رسول الله. ففعل الرسول ذلك حيث خرج إلى المسجد ونعى جعفراً باكياً وأعلن بشارته له. إنها قصة الصبر والتصبر على مقدور الله تعالى! ومن هنا وجب التأسي بالمكلومة الصابرة وزوج الشهداء وأم الشهداء الصحابية الجليلة الفاضلة المحتسبة أسماء بنت عميس – رضي لله عنها وأرضاها ـ!)

28 - الموتُ حار الكل في أسبابه!

(تأبين الشربيني أبو طالب)

(حُق لي أن أسميَ عام 1999م عام الحزن ، إذ إنني افتقدتُ فيه أخاً في الله غالياً ، وأستاذاً علّم ونشأ وربّى ورسّخ وأعطى الكثير ، وهو الأستاذ الدكتور الشربيني أبو طالب ، رحمه الله رحمة واسعة. وكم تأثرتُ بفقد هذا الحبيب والمعلم والمربي الذي امتدتْ رحلته معي ، منذ كنتُ طالباً في المرحلة الإعدادية فالثانوية فالجامعية ، وامتدت العلاقة بعد الجامعة. نعم قام على تدريسي اللغة العربية وآدابها مذ كنتُ في الصف الثاني الإعدادي ، وإلى أن نال درجة الماجستير في الأدب العربي ، أو بالأحرى في النحو أو الأجرومية العربية. ولقد كان نعم الناصح الأمين ، فلقد والله عرضت عليه من أشعاري ما استطعتُ وما شاءه الله منذ كنتُ في مصر ، ويستضيفني في بيته استضافة يعجز عن رسم أبعادها وإحاطة القارئ بما فيها القلم. ومهما حاولت الكتابة عنها ما وفيتُه حقه! وكان قد اعتاد – رحمه الله – أن يشتري لي الدوريات والمجلات والكتب ، وكنتُ أفعل الشيء ذاته له. وأهديته يوماً (المعجم الوجيز) في طبعته الأولى الفاخرة فكاد يطير من الفرح. وكان يتواضع فيعطيني أوراق رسالة الماجستير أراجعها لغوياً ، وأنا الفقير في اللغة العربية وبضاعتي فيها ساعتئذ بضاعة مزجاة ، وهو يعلم ذلك ، لكنه التشجيع خلف ظلال التربية والعطاء. وكانت رحلة القطار من كفر سعد إلى المنصورة وكذا العودة سوياً جزءاً من تاريخ الذكريات وشريط الماضي. وأذكر أنه كان أول مخلوق له بعد الله الفضل في أن يجعل مني الخطيب الموهوب المفوه المصلق والشاعر القوي الشعر! وما ذاك إلا بفضل الله أولاً وآخراً ، ثم بفضل تشجيع أستاذنا الشربيني. الرجل الذي كان ينصح فتقع النصيحة موقعاً في القلب لا يوصف ، والرجل الذي ما كانت يده تفارق يدي وهو يستقبلني ضيفاً عليه في بيته ، حتى أجلس وآخذ مكاني عنده. والرجل الذي لما كانت الحرب بين داحس والغبراء قد شب لهيبها والتهب أوارها واشتد وطيسها (أعني الحرب بينه وبين أحد أحبتنا في الله وهو الحاج إبراهيم البغدادي وبعض إخوته هنا في كفر سعد – دمياط ، ونفخ فيها (أي في الحرب) شياطين الإنس والجن ، كنتُ قد ذهبتُ لأشفع للرجل عنده ، فقبل خاطري في حين رد خواطر وشفاعات قوم آخرين ربما في مثل سن آبائي وأجدادي! فجلّ الرجلُ في عيني ، وعظم في نظري ، وهو يعلن أمام الحضور يومها أنه رد شفاعة الكل وقبل شفاعتي ، وذلك في بيته عام 1988م. فكان من حقه عليّ أن أبكيه يوم رحيله بقصيدة كان يحبها ويتمثل بعض أبياتها عبْر رحلة القطار ، وربما هو الذي قدّم لي هذه القصيدة فيما قدّم على بساط البحث ومائدة التذوق الأدبي! وهي قصيدة شوقي في تأبين أحد أحبائه: (في الموت ما أعيا وفي أسبابه!) تلك التي حظيتْ بإعجاب النقاد المعاصرين والقدامى! وأشهد أنها قصيدة محبوكة مسبوكة ينفعل لها خاطري عندما أسمعها ، وكأنه لا يوجد قصيدة في الموت غيرها! لذا آثرتُ أن تكون قصيدتي في بكاء الدكتور الشربيني أبو طالب على ذات وزنها ورويها وقافيتها وبحرها. فإن لن تصل إلى عظمة أداء شوقي ، فلي شرف المحاولة في أن أعارض شاعراً كشوقي ، وقصيدة كهذي تعتبر من عيون شعر شوقي فضلاً عن أنها تعتبر في الوقت ذاته من عيون شعر العرب في العصر الحديث! روى البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رُفِع إليه ابن ابنته وهو في الموت ، ففاضت عينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟ فقال: هذه رحمة جعلها الله

تعالى في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء. وروى مسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الرياح تفيّئه ، ولا يزال المؤمن يصيبه بلاء! ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لا تهتز حتى تُحصد. والأرز في الحديث هي شجرة الصنوبر. وإنا لنحتسب الدكتور الشربيني عند الله تعالى ونصبر على هذا المصاب الجلل. فعن أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: يقول الله تعالى: (ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضتُ صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة). رواه البخاري. ألا وإن قصيدتي عزاء كذلك للأدب العربي والإسلامي وأهله وللشريعة الحنيفية الغراء وأهلها ، إذ الدكتور الشربيني عالم أديب على كل حال. وإن موت العالم ثلمة في الدين. يقول الله تعالى: (أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهمُ الغالبون؟) والحق أن الله لا يقبض العلم انتزاعاً من صدور العلماء ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يُبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهّالاً فسُئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا. ولما كان الموت من حقائق اليقين فإن الله تعالى جعله برهاناً على ربوبيته سبحانه {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} ، {اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}. وفي هذا الحديث العظيم تذكير بالموت ، ولذا أمر صلى الله عليه وسلم بتذاكر الموت ، وحث على زيارة القبور لرؤية مساكن الموتى ، من أجل أن تستيقظ القلوب من رقدتها ، وتنتبه من غفلتها ، فلا ينسيها عن ذكر الموت ما تتمتع به من مشاغل الدنيا وملهياتها. والناس في كل يوم يرون الأموات عياناً أو عبر الشاشات ، ويرون القتلى قد مددوا على الأرض ، وفي كل يوم يسمعون أخبار الموتى! وكان حقاً عليهم أن يعتبروا ويخافوا ؛ لأنه إذا كثر الموت كما هو الحال في زمننا هذا زادت نسب احتمالات وصول الموت إليهم. لقد كان الناس قديما - وبسبب تواضع وسائل الاتصال والإعلام - لا يسمعون أخبار الموت ، ولا يشاهدون الموتى إلا في فترات متباعدة ؛ فترق قلوبهم ، وتدمع عيونهم ، وتعلوهم هيبة الموت ويتغير الواحد منهم فترة لا يشتهي الطعام ، ولا يغمض لمنام! يفزعه ذكر الموت ، ويرعبه منظر الموتى ، ويتذكر ما شاهد من جنازة ، ويفكر متى يحمل مثلها ، فينتفع قلبه بذلك مدة من الزمن. أما الآن فالناس في المقابر يتحدثون في أمور الدنيا ، ونعوش الموتى محمولة على أكتافهم ومنهم من يطالع رسالة في هاتفه ، أو يهاتف غيره ، وكأنه يحمل أي متاع لا يذكره بشيء. وإن العين لتدمع وإن القلب ليحزن ، ولا نقول إلا ما يُرضِي ربنا وإنا بفراقك يا شربينيّ لمحزونون. اللهم ربنا اغفر له ، وارفع درجته في المهديين ، واخلفه في عقبه في الغابرين ، واغفر لنا وله يا رب العالمين ، وأفسحْ له في قبره ونور له فيه. اللهم اغفر له وارحمه ، وعافه واعف عنه ، وأكرم نزله ، ووسّعْ مُدخله ، واغسله بالماء والثلج والبرد ، ونقه من خطاياه كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس ، وأبدله داراً خيراً من داره ، وأهلاً خيراً من أهله ، وزوجاً خيراً من زوجه ، ودماً خيراً من دمه ، وأدخله الجنة وأعذه من النار. إنك يا ربنا أرحم الراحمين وخير الغافرين يا رب العالمين.)

29 - المودع الكريم

(إنه لمن دواعي سروري أن أقول كلمتي التي تحمل عنوان: (المودع الكريم) وذلك في حفل الخريجين للعام الدراسي 2012- 2013 م. وأهنئ الطلاب وأولياء أمورهم الكرام ، كما وأهنئ الأبناء الكرام خريجي الصف التاسع ، وأتمنى لهم مستقبلاً حافلاً بالنجاح والتوفيق. وأعددتُ لهم هذه المرة كلمة عذبة تناسب تفوّقهم وتتناغم معه! إن لغتنا العربية لا تزال لغة محفوظة بحفظ الله لها ، عظيمة المعاني والمباني ، تزداد جمالاً واختيالاً على سائر لغات الدنيا. وربما يكون لهذا الصنف من النقاد الحق! لأننا نجد كثيراً من المتشاعرين أو المستشعرين الذين راق للواحد منهم أن يتهم اللغة العربية بالجمود وراح يهاجم العروض والقوافي! يقول الأستاذ علي العبادي عن المستشعرين المعاصرين ما نصه: (إن الكثير ممن يكتبون الشعر في هذه الأيام ، لا يعرفون شيئاً عن الشعر ، سوى أنه كلمات مرصوصة وأبيات مكسورة خالية من المعاني ويجد هؤلاء مع الأسف من يستمع إليهم ، يتبجحون بشعرهم المقزز ، وكأن الشعر الذي تلقيناه عن الشعراء القدامى أو المعاصرين من كبار الشعراء لا يهمهم في شيء. فبحور الشعر وتفاعيله التي بنى العرب عليها أشعارهم ، أمور قد انقرضت وذهبت مع أهلها إلى غير رجعة ، وبعملهم هذا يصرون على جهلهم وتأخرهم وإسفافهم. والشعر العربي فنٌ من أرقى الفنون نفتخر به ، وأول ما يستدعي النظر في الشعر العربي الأصيل ، ترابط أجزائه وصوره الفنية والموسيقى التي تنبعث من أبيات القصيدة ، فتخلب الأسماع. وما كل شعر موزون يخلب الأسماع ، فهناك شعراء يكتبون الشعر في أوزانه المعروفة ، فيأتون به سمجاً بارداً ، ثقيلاً على السمع. وهناك شعراء يكتبون الشعر مقْويّاً ، فتتأذى الأذن منه ، ولا يغْفر لهم النقّاد ما ارتكبوا من خطأ).هـ.)

30 - الموسيقى داءٌ ، وليست بدواء

(كثرتْ دعاوى ملعونة مغالطة هذه الأيام ، تذهبُ إلى أن الموسيقى تشفي من الأمراض مثل ضغط الدم والسكّر والأعصاب ، وأن الجنين في بطن الأم يستمتع بسماع الموسيقى من الشهر الثامن! ويُميّز القوم بين الموسيقى الرومانسية والأخرى الكلاسيكية ، وأن الموسيقى الكلاسيكية تهدئ الأطفال حديثي الولادة. كما أن الموسيقى تعالج التوتر العصبي والانفعال! وأن الموسيقى تعالجُ السمنة وإفرازات الغدد. وأنها تثبّتْ المعلوماتِ في الأذهان! وأحيلُ هنا إلى كتابين: الأول لابن القيم وهو: (تحريم السماع) ، والثاني هو: (ففروا إلى الله) للأستاذ أبي ذر القلموني ، حتى نعرف حكم الموسيقى والغناء في إسلامنا. إنه التحريم قطعاً. والأدلة في مظانها. ولا يمكن عقلاً أن نأخذ أحكام الحِل والحُرمة من ديوان شعر ، مهما بلغ عِلمُ صاحبه بالشريعة. بل أدلة الحِل والحُرمة لها مظانها: كتب أهل العلم والفقه. فالموسيقى داءٌ لا دواء! وتحت عنوان: (الحكمة من تحريم الموسيقى) يقول الأستاذ عبد الرحمن بن عبد الله السحيم ، عضو مركز الدعوة والإرشاد بالرياض وقد سُئل عن حكمها: (الحكمة من تحريم الموسيقى ما هي؟ وهل إذا كنت أستمع إلى أخبار ونحوها وكانت الخلفية موسيقى هل هي حرام أم لا؟: (في تحريم الأغاني والموسيقى حِكَم كثيرة ، منها: * أنها مِزمَار الشيطان ، وهي صوته الذي يُغوي به بني آدم ، قال تعالى: (وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ). مجاهد: باللهو والغناء ، أي: اسْتَخِفُّهم بذلك. قال القرطبي: (في الآية ما يَدُلّ على تحريم المزامير والغناء واللهو ، لقوله: (وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ). * أنها تَصُدّ عن ذِكْر الله ، فلا يَجْتَمِع كلام

الرحمن وكلام الشيطان في قَلْبٍ بحيث يَنْتَفِع به صاحبه. قال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ، وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ). ونلاحِظ الترابط بين اتِّخاذ اللهو – وهو الغناء – وبين الصَّدّ عن سبيل الله وأنَّ صاحبه لا يتأثَّر بِكلام الله. ولذا قال ابن القيم: (حُبّ الكِتاب وحُبّ ألْحَان الغنا *** في قلب عَبْدٍ ليس يَجْتَمِعانِ). وليس المقصود أنه لا يُوجَد مَن يقرأ القرآن وهو يَستمع إلى الغِناء ، بل يُوجَد ولكنه لا ينتفع به. * أن الغناء رُقيَة الزِّنا ، كما قال غير واحد مِن السَّلف. أي أنه يَدْعو إلى ذلك. وهذا صحيح. فهل رأيت مُطرِبا يَدعو إلى فضيلة؟! * أنَّ الغناء يُنْبِت النِّفاق في القلب ، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه. قال ابن القيم رحمه الله: (فالغناء يُفْسِد القلب ، وإذا فَسَد القلب هَاج في النفاق).هـ. ولابن القيم كلام جميل حول هذه المسألة ، فانْظُره في كتابه: "إغاثة اللهفان". * ما يُحْدِثه الغناء مِن نَشْوَةٍ وطَرَب ، وقد أثْبَتَتْ دِراسات علمية تأثير الغناء على السائقين! كَما أثْبَتَت دِراسات علمية أيضاً تأثير القرآن في جَلْب السَّكِينَة ، وكانت تجارب أُجْرِيَتْ على مسلمين وكُفَّار أثْبَتَتْ ذلك! * ما يُحْدِثه الغناء مِن قَسْوة في القلب ، وقد اسْتَعاذ النبي صلى الله عليه وسلم مِن قَلْب لا يَخْشَع. كما في صحيح مسلم. قال الضحاك: (الغناء مَفسدة للقلب مَسخطة للرَّب).هـ. وفي موقع: (نور الحق) طالعتُ تفصيلاً رائعاً يناقش أدلة التحريم فأوردُه كما طالعته: (أدلة التحريم من القرآن الكريم: قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّـهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَـٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ}. قال حَبرُ الأمة ابن عباس رضي الله عنهما: هو الغناء ، وقال مجاهد رحمه الله: اللهو: الطبل (تفسير الطبري) ، وقال الحسن البصري رحمه الله: "نزلت هذه الآية في الغناء والمزامير" (تفسير ابن كثير). قال ابن القيم رحمه الله: "ويكفي تفسير الصحابة والتابعين للهو الحديث بأنه الغناء فقد صح ذلك عن ابن عباس وابن مسعود ، قال أبو الصهباء: سألتُ ابن مسعود عن قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ} ، فقال: والله الذي لا إله غيره هو الغناء -يُردّدُها ثلاث مرات ، وصحّ عن ابن عمر رضي الله عنهما أيضا أنه الغناء" (إغاثة اللهفان لابن القيم). وكذلك قال جابر وعكرمة وسعيد بن جبير ومكحول وميمون بن مهران وعمرو بن شعيب وعلي بن بديمة وغيرهم في تفسير هذه الآية الكريمة. قال الواحديّ رحمه الله: وهذه الآية على هذا التفسير تدل على تحريم الغناء (إغاثة اللهفان). ولقد قال الحاكم في مستدركه عن تفسير الصحابي: "ليعلمْ طالبُ هذا العلم أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عند الشيخين حديث مسند". وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه إغاثة اللهفان معلقاً على كلام الحاكم: "وهذا وإن كان فيه نظر فلا ريب أنه أولى بالقبول من تفسير من بعدهم ، فهم أعلم الأمة بمراد الله من كتابه ، فعليهم نزل ، وهم أول من خوطب به من الأمة ، وقد شاهدوا تفسيره من الرسول علماً وعملاً ، وهم العربُ الفصحاءُ على الحقيقة ، فلا يُعدَل عن تفسيرهم ما وجد إليه سبيل". وقال تعالى: {وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا}. جاء في تفسير الجلالين: (واستفزز): استخف ، (صوتك): بدعائك بالغناء والمزامير وكل داع إلى المعصية ، وهذا أيضا ما ذكره ابن كثير والطبري عن مجاهد. وقال القرطبي في تفسيره: "في الآية ما يدل على تحريم المزامير والغناء واللهو. وما كان من صوت الشيطان أو فعله وما يستحسنه فواجبٌ التنزهُ عنه". وقال الله عز وجل: {وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا}. وقد ذكر ابن كثير في تفسيره ما جاء عن محمد

بن الحنفية أنه قال: الزور هنا الغناء ، وجاء عند القرطبي والطبري عن مجاهد في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ} قال: لا يسمعون الغناء. وجاء عن الطبري في تفسيره: "قال أبو جعفر: وأصل الزور تحسين الشيء ، ووصفه بخلاف صفته ، حتى يُخيّل إلى من يسمعه أو يراه ، أنه خلاف ما هو به ، والشركُ قد يدخل في ذلك لأنه محسّن لأهله ، حتى قد ظنوا أنه حق وهو باطل! ويدخل فيه الغناء لأنه أيضا مما يحسنه ترجيعُ الصوت حتى يستحلي سامعه سماعه" (تفسير الطبري). وفي قوله عز وجل: {وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا} قال الإمام الطبري في تفسيره: (وإذا مروا بالباطل فسمعوه أو رأوْه ، مرّوا كِراماً. مرورهم كِراما في بعض ذلك بأن لا يسمعوه ، وذلك كالغناء). وأما أدلة التحريم من السنة النبوية الشريفة: فلقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليكونن من أمتي أقوامٌ يستحلون الحِر والحرير والخمر والمعازف ، ولينزلن أقوامٌ إلى جنب علم ، يروح عليهم بسارحة لهم ، يأتيهم لحاجة ، فيقولون: ارجع إلينا غداً ، فيُبيّتهم الله ، ويضع العلم ، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة». (رواه البخاري تعليقاً ، ووصله الطبراني والبيهقي ، وراجع السلسلة الصحيحة للألباني). وقد أقرّ بصحة هذا الحديث أكابرُ أهل العلم منهم الإمام ابن حبان ، والإسماعيلي ، وابن صلاح ، وابن حجر العسقلاني ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ، والطحاوي وابن القيم ، والصنعاني ، وغيرهم كثير. وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: "ولم يصنع من قدح في صحة هذا الحديث شيئاً كابن حزم نصرة لمذهبه الباطل في إباحة الملاهي! وزعم أنه منقطع لأن البخاري لم يصل سنده به". وقال العلامة ابن صلاح رحمه الله: "ولا التفات إليه (أي ابن حزم) في رده ذلك. وأخطأ في ذلك من وجوه. والحديث صحيح معروف الاتصال بشرط الصحيح". (غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب للإمام السفاريني). وفي الحديث دليلٌ على تحريم آلات العزف والطرب من وجهين: أولاهما: قوله صلى الله عليه وسلم: "يستحلون" فإنه صريح بأن المذكورات ومنها المعازف هي في الشرع محرمة ، فيستحلها أولئك القوم. ثانيًا: قرن المعازف مع ما تم حرمته وهو الزنا والخمر والحرير ، ولو لم تكن محرّمة - أي المعازف - لما قرنها معها". (السلسلة الصحيحة للألباني بتصرف). قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فدل هذا الحديث على تحريم المعازف ، والمعازفُ هي آلات اللهو عند أهل اللغة ، وهذا اسم يتناول هذه الآلات كلها" (المجموع). وروى الترمذيُ في سُننه عن جابر رضي الله عنه قال: «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عبد الرحمن بن عوف إلى النخيل ، فإذا ابنه إبراهيم يجود بنفسه ، فوضعه في حِجره ففاضت عيناه ، فقال عبد الرحمن: أتبكي وأنت تنهى عن البكاء؟ قال: إني لم أنه عن البكاء! وإنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نغمة لهو ولعب ومزامير شيطان ، وصوت عند مصيبة: خمْش وجوه وشق جيوب ورنة». (قال الترمذي: هذا الحديث حسن ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع). وقال صلى الله عليه وسلم: «صوتان ملعونان: صوت مزمار عند نعمة ، وصوت ويل عند مصيبة». (إسناده حسن ، السلسلة الصحيحة). وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ليكونن في هذه الأمة خسفٌ ، وقذفٌ ، ومسخ ، وذلك إذا شربوا الخمور ، واتخذوا القينات ، وضربوا بالمعازف». (صحيح بمجموع طرقه ، السلسلة الصحيحة). قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله حرم على أمتي الخمر ، والميسر ، والمزر ، والكوبة ، والقنين ، وزادني صلاة الوتر». (صحيح الجامع). الكوبة هي الطبل ، أما القنين هو الطنبور بالحبشية (غذاء الألباب). وروى أبو داوود في سُننه عن نافع أنه قال: «سمع ابن عمر مزماراً ، قال: فوضع أصبعيه على أذنيه ، ونأى عن الطريق

وقال لي: يا نافع هل تسمع شيئاً؟ قال: فقلت: لا! قال: فرفع أصبعيه من أذنيه ، وقال: كنتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فسمع مثل هذا! فصنع مثل هذا». (حديث صحيح - صحيح أبي داوود). وعلق على هذا الحديث الإمامُ القرطبي قائلاً: "قال علماؤنا: إذا كان هذا فعلهم في حق صوتٍ لا يخرج عن الاعتدال ، فكيف بغناء أهل هذا الزمان وزمرهم؟!" (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي). وهذه أقوال أئمة أهل العلم: قال الإمام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: "الغناء مبدأه من الشيطان وعاقبته سخط الرحمن". (غذاء الألباب). ولقد نقل الإجماع على حرمة الاستماع إلى الموسيقى والمعازف جمعٌ من العلماء منهم: القرطبي وابن الصلاح وابن رجب الحنبلي. فقال الإمام أبو العباس القرطبي: الغناءُ ممنوع بالكتاب والسنة وقال أيضاً: "أما المزامير والأوتار والكوبة (الطبل) فلا يختلف في تحريم استماعها ، ولم أسمع عن أحدٍ ممن يُعتبرُ قوله من السلف وأئمة الخلف من يُبيح ذلك ، وكيف لا يَحرُمُ وهو شعارُ أهل الخمور والفسوق ومهيج الشهوات والفساد والمجون؟ وما كان كذلك لم يشك في تحريمه ولا تفسيق فاعله وتأثيمه". (الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيثمي). وقال ابن الصلاح: الإجماع على تحريمه ، ولم يثبت عن أحد ممن يُعتد بقوله في الإجماع والاختلاف أنه أباح الغناء. قال القاسم بن محمد رحمه الله: الغناء باطل ، والباطل في النار. وقال الحسن البصري رحمه الله: إن كان في الوليمة لهو - أي غناء ولعب - ، فلا دعوة لهم (الجامع للقيرواني). قال النحّاس رحمه الله: هو ممنوع بالكتاب والسنة ، وقال الطبري: وقد أجمع علماءُ الأمصار على كراهة الغناء ، والمنع منه. ويقول الإمام الأوزاعي رحمه الله: لا تدخل وليمة فيها طبلٌ ومعازف. قال ابن القيم رحمه الله في بيان مذهب الإمام أبي حنيفة: "وقد صرّح أصحابُه بتحريم سماع الملاهي كلها كالمزمار والدف ، حتى الضرب بالقضيب ، وصرّحوا بأنه معصية توجب الفسق وتردّ بها الشهادة ، وأبلغ من ذلك أنهم قالوا: إن السماع فسق والتلذذ به كفر ، وورد في ذلك حديث لا يصح رفعه ، قالوا ويجب عليه أن يجتهد في أن لا يسمعه إذا مر به أو كان في جواره". (إغاثة اللهفان). ورويَ عن الإمام أبي حنيفة أنه قال: الغناء من أكبر الذنوب التي يجب تركها فوراً. وقد قال الإمام السفاريني في كتابه غذاء الألباب معلقا على مذهب الإمام أبي حنيفة: "وأما أبو حنيفة فإنه يكره الغناء ويجعله من الذنوب ، وكذلك مذهب أهل الكوفة سفيان وحماد وإبراهيم والشعبي وغيرهم لا اختلاف بينهم في ذلك ، ولا نعلم خلافاً بين أهل البصرة في المنع منه". وقد قال القاضي أبو يوسف تلميذ الإمام أبي حنيفة حينما سُئل عن رجل سمع صوت المزامير من داخل أحد البيوت فقال: "ادخل عليهم بغير إذنهم لأن النهي عن المنكر فرض". أما الإمام مالك فإنه نهى عن الغناء وعن استماعه ، وقال رحمه الله عندما سئل عن الغناء والضرب على المعازف: "هل من عاقل يقول بأن الغناء حق؟ إنما يفعله عندنا الفساق". (تفسير القرطبي). والفاسق في حكم الإسلام لا تقبل له شهادة ولا يصلي عليه الأخيار إن مات ، بل يصلي عليه غوغاءُ الناس وعامّتهم. قال ابن القيم رحمه الله في بيان مذهب الإمام الشافعي رحمه الله: "وصرّح أصحابه - أي أصحاب الإمام الشافعي - العارفون بمذهبه - بتحريمه وأنكروا على من نسب إليه حِله كالقاضي أبي الطيب الطبري والشيخ أبي إسحاق وابن الصباغ". (إغاثة اللهفان). وسئل الشافعي رحمه الله عن هذا؟ فقال: أول من أحدثه الزنادقة في العراق حتى يلهو الناس عن الصلاة وعن الذكر. (الزواجر عن اقتراف الكبائر). قال ابن القيم رحمه الله: "وأما مذهب الإمام أحمد فقال عبد الله ابنه: سألتُ أبي عن الغناء فقال: الغناء ينبت النفاق في القلب ، لا يعجبني ، ثم ذكر قول مالك: إنما يفعله عندنا الفساق". (إغاثة اللهفان).

وسئل رحمه الله عن رجل مات وخلف ولداً وجارية مغنية ، فاحتاج الصبي إلى بيعها فقال: تباع على أنها ساذجة لا على أنها مغنية ، فقيل له: إنها تساوي ثلاثين ألفاً ، ولعلها إن بيعت ساذجة تساوي عشرين ألفاً ، فقال: لا تباع إلا على أنها ساذجة. قال ابن الجوزي: "وهذا دليل على أن الغناء محظور ، إذ لو لم يكن محظوراً ما جاز تفويت المال على اليتيم". (الجامع لأحكام القرآن). ونص الإمام أحمد رحمه الله على كسر آلات اللهو كالطنبور وغيره إذا رآها مكشوفة ، وأمكنه كسرها (إغاثة اللهفان). قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "مذهب الأئمة الأربعة أن آلات اللهو كلها حرام. ولم يذكر أحد من أتباع الأئمة في آلات اللهو نزاعاً". (المجموع). وقال أيضاً: "فاعلم أنه لم يكن في عنفوان القرون الثلاثة المفضلة لا بالحجاز ولا بالشام ولا باليمن ولا مصر ولا المغرب ولا العراق ولا خراسان من أهل الدين والصلاح والزهد والعبادة من يجتمع على مثل سماع المُكاء والتصدية لا بدف ولا بكف ولا بقضيب ، وإنما أحدث هذا بعد ذلك في أواخر المائة الثانية فلما رآه الأئمة أنكروه". وقال في موضع آخر: "المعازف خمر النفوس ، تفعل بالنفوس أعظم كثيراً مما تفعل خمر الكؤوس". (المجموع). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان حال من اعتاد سماع الغناء: "ولهذا تجد من اعتاده واغتذى به لا يحن إلى سماع القرآن ، ولا يفرح به ، ولا يجد في سماع الآيات كما يجد في سماع الأبيات ، بل إذا سمعوا القرآن سمعوه بقلوب لاهية وألسن لاغية ، وإذا سمعوا المكاء والتصدية خشعت الأصوات وسكنت الحركات وأصغت القلوب". (المجموع). قال الألباني: "اتفقت المذاهب الأربعة على تحريم آلات الطرب كلها". (السلسلة الصحيحة). قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "إنك لا تجد أحداً عنيَ بالغناء وسماع آلاته إلا وفيه ضلال عن طريق الهدى علماً وعملاً ، وفيه رغبة عن استماع القرآن إلى استماع الغناء". وقال عن الغناء: "فإنه رقية الزنا ، وشَرَك الشيطان ، وخمرة العقول ، ويصد عن القرآن أكثر من غيره من الكلام الباطل لشدة ميل النفوس إليه ورغبتها فيه". وبذلك يتبين لنا أقوال أئمة العلماء وإقرارهم على حُرمة الغناء والموسيقى والمنع منهما. الاستثناء: ويستثنى من ذلك الدف - بغير خلخال - في الأعياد والنكاح للنساء ، وقد دلت عليه الأدلة الصحيحة ، قال شيخ الإسلام رحمه الله: "ولكن رخص النبي صلى الله عليه وسلم في أنواع من اللهو في العُرس ونحوه كما رخص للنساء أن يضربن بالدف في الأعراس والأفراح ، وأما الرجال على عهده فلم يكن أحد على عهده يضرب بدف ولا يصفق بكف ، بل ثبت عنه في الصحيح أنه قال: التصفيق للنساء والتسبيح للرجال ، ولعن المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء". (المجموع). وأيضاً من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "دخل عليّ أبو بكر ، وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار في يوم بعاث ، قالت وليستا بمغنيتين! فقال أبو بكر: أبمزمور الشيطان في بيت النبي صلى الله عليه وسلم؟ وذلك في يوم عيد الفطر! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا". (صحيح ابن ماجه). والرد على من استدل بحديث الجاريتين في تحليل المعازف أن نقول: قال ابن القيم رحمه الله: "وأعجب من هذا استدلالكم على إباحة السماع المركّب مما ذكرنا من الهيئة الاجتماعية بغناء بنتين صغيرتين دون البلوغ عند امرأة صبية في يوم عيد وفرح بأبيات من أبيات العرب في وصف الشجاعة والحروب ومكارم الأخلاق والشيم ، فأين هذا من هذا؟ والعجيب أن هذا الحديث من أكبر الحجج عليهم ، فإن الصدّيق رضي الله عنه سمى ذلك مزموراً من مزامير الشيطان ، وأقره رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذه التسمية ، ورخص فيه لجويريتين غير مكلفتين

ولا مفسدة في إنشادهما ولا في استماعهما ، أفيدل هذا على إباحة ما تعملونه وتعلمونه من السماع المشتمل على ما لا يخفى؟! فسبحان الله كيف ضلت العقول والأفهام؟". (مدارج السالكين). وقال ابن الجوزي رحمه الله: "وقد كانت عائشة رضي الله عنها صغيرة في ذلك الوقت ، ولم ينقل عنها بعد بلوغها وتحصيلها العلم إلا ذم الغناء ، وقد كان ابن أخيها القاسم بن محمد يذم الغناء ، ويمنع من سماعه وقد أخذ العلم عنها". (تلبيس إبليس). ولنطالع الأدلة بتفصيل: رقم 1: قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّـهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا} أكثر المفسرون على أن المراد بلهو الحديث هو الغناء ، وقال ابن مسعود: هو الغناء ، ويقول تعالى وهو يخاطب الشيطان: {وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ} قيل هو الغناء. وقال عليه الصلاة والسلام: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحِر والحرير ، والخمر والمعازف...». رواه الإمام البخاري. رقم 2: يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن أضرار الغناء والموسيقى: المعازف هي خمر النفوس تفعل أعظم مما تفعله الكؤوس ، فإذا سكروا بالأصوات حل فيهم الشرك ومالوا إلي الفواحش وإلى الظلم ، فيشركون ويقتلون النفس التي حرم الله ويزنون. ولهذا يورث أصحابه سُكْرا أعظم من سُكْر الخمر ، فيجدون لذة كما يجد شارب الخمر بل أكثر وأكبر. رقم 3: أما الغناء في الوقت الحاضر فأغلبه يتحدث عن الحب والهوى والقبلة واللقاء ووصف الخدود والقدود وغيرها من الأمور الجنسية التي تثير الشهوة عند الشباب وتشجعهم على الفاحشة وتقضي على الأخلاق ، ناهيك عن الذي يسمى بالفيديو كليب وما به من فواحش ومنكرات ورقص مائع ووجوه ملطخة تثير الشيّاب قبل الشباب ، والمشاهد لهذه الأغاني المصورة يرى مدى اهتمام المخرج بالراقصات أكثر من المطرب نفسه ، وهذا ليس مستغرباً لأن إثارة المشاهد عندهم أهم من كلمات الأغنية وشكل المطرب. وهؤلاء المطربين والمطربات الذين سرقوا أموال الشعوب باسم الفن وذهبوا بأموالهم إلى أوربا ، واشتروا الأبنية والسيارات الفاخرة ، وأفسدوا أخلاق الشعوب بأغانيهم المائعة ، وافتتن الكثير من الشباب وأحبوهم من دون الله. وأقول لكل من يسمع هذه الأغاني: أتركها مرضاة لله سبحانه وتعالى ، وصدقني ستجد لذة في تركها واعتزازاً بالنفس لم تشعر به من قبل ، واستبدلها بالقرآن والخطب والأناشيد الإسلامية وحينئذ ستعرف الراحة النفسية والعاطفية الحقيقية. رقم :4 وأختتم به: يقول ابن القيم رحمه الله: ما اعتاد أحد الغناء إلا ونافق قلبه وهو لا يشعر ، ولو عرف حقيقة النفاق لأبصره في قلبه ، فإنه ما اجتمع في قلب عبدٍ قط محبة الغناء ومحبة القرآن ، إلا وطردتْ إحداهما الأخرى! فاختر أنت أيهما تريد).هـ. وكتب عمر بن عبد العزيز إلى مؤدِّب ولده: (ليكُن أول ما يعتقدون من أدبك: بُغضُ الملاهي ، التي بِدْأها من الشيطان ، وعاقبتها سخط الرحمن ؛ فإنه بلغني عن الثقات من أهل العلم: أن صوت المعازف ، واستماع الأغاني ، واللهج بها: يُنبت النفاق في القلب ، كما ينبت العشب على الماء). قال يزيد بن الوليد: يا بني أمية! إياكم والغناء ؛ فإنه يُنقص الحياء ، ويزيد في الشهوة ، ويهدم المروءة ، وإنه لينوب عن الخمر ، ويفعل ما يفعل السُّكْر ، فإن كنتم لا بد فاعلين: فجنبوه النساء ؛ فإن الغناء داعية الزنى. وقال محمد بن الفضل الأزدي: نزل "الحطيئة الشاعر" برجل من العرب ، ومعه ابنته "مليكة" ، فلما جنَّه الليل: سمع غناءً ، فقال لصاحب المنزل: "كفَّ هذا عنِّي" ، فقال: وما تكره من ذلك؟ فقال: "إن الغناء رائد من رادة الفجور ، ولا أحب أن تسمعه هذه ، يعني: ابنته ، فإن كففته: وإلا خرجتُ عنك". فإذا كان هذا الشاعر المفتون اللسان ، الذي هابت العرب هجاءه: خاف عاقبة الغناء ، وأن تصل رقيته إلى ابنته ، فما الظن بغيره؟! .فأما إذا

اجتمع إلى هذه الرقية: الدف والشبابة ، والرقص بالتخنث والتكسر: فلو حبلت المرأة من غير زوجها ، لحبلت من هذا الغناء". انتهى باختصار وتصرف من "إغاثة اللهفان". وأعتذر عن هذه الإطالة ، وإنما هي للإمتاع وإقامة الحجة الدامغة! حتى لا يقول قائل: أحرّم وأبيح بهواي وبمزاجي! بل أوردتُ أقوال العلماء!)

31- النادلة والشهم!

(عاش أحد الرجال المحترمين موقفاً عجيباً ، يصفه بأنه أعجب موقف عاشه في حياته التي امتدت أربعين سنة! ولولا أن راوي هذه القصة ثقة تقوم به الحجة ما صدّقت أن يحدث مثلُ هذا في زماننا الذي قل خيره وكثر بلاؤه وشره. يقول راوي القصة حكاية عن صاحبه بطل القصة الأصلي: توفي زوجُ ابنة عم ذلك الشهم. وكانت امرأة مُصبية (أي ذات أولاد) ، فاضطرتها ظروف الحياة إلى العمل نادلة في مطعم مشهور. وبينما هي في عملها في المطعم إذ يُدعى ابن عمها إلى المطعم لتناول وجبة عشاء دعاه إليها أحد أصدقائه. فإذ به يقابل النادلة ابنة عمه. فاستاء من الموقف ، ولكنه ضبط أعصابه ، ولم يبيَن لصديقه شيئاً. وما هو إلا أن اصطحب زوجته وذهب معها إلى دار ابنة عمه ، في زيارةٍ لم يفصحْ عن سببها لزوجته. وتفقد أحوالها وأدرك تقصيره والعائلة بأسرها في حقها وحق أولادها. فعرض عليها الزواج فوافقت. ولكنها اشترطت أن يكون أباً لأبنائها بعد رحيل أبيهم. فوافق مرحباً بذلك الشرط ، وقرّر أن يحققه لها حِسبة لله تعالى. وخاض غِمار حرب بين زوجته وبين ابنة عمه الزوجة الثانية إلى أن وضعت الحرب أوزارها واستقرت الأمور. ولله الفضل والمنة ، وله الحمد والشكر ، وله سبحانه الثناء الجميل الحسن! فتخيلته في لحظته الأولى في المطعم وهو يرى ابنة عمه يقول لها هذي الكليمات التي صغتها شعراً من وحي خيالي وتأثري. حيث إنني تأثرتُ بهذا الموقف تأثراً لا يتصوره عقل. كما أن زواجه منها يعتبر لوناً من ألوان التضحية والشفقة. وكل ذلك فرض عليّ أن أثمن هذا الموقف العظيم المبارك فقلت هذه القصة!)

32 - النادلة والغجري!

(هناك في روما ، وفي حي من أحيائها الشعبية القديمة ، تقمص صاحب المطعم شخصية إنسان غجري شريد متخلف ، فعقص شعره جدائل ، ولبس ثياباً رثة ، وارتدى نعلين مشقوقين قديمين ، وغيّر من طريقة كلامه وألفاظه ، وأخفى معالمه نسبياً بحيث لا يُعرَف ، ودخل مطعمه الشهير على أنه شخص آخر على الوصف الذي أسلفنا! وعندما دخل المطعم ليأكل ، عاملته النادلة معاملة طيبة لطيفة ، ولم تسخر منه كما سخر عملاء المطعم الآخرون! وبعد أن عرضت عليه قائمة الطعام وطلب الوجبة التي يشتهي ، وجاءت بها النادلة مشفوعة بالمشروب وفاتورة الدفع! فأكل وشرب وقال لها في الختام: بُنيتي أنا رجلٌ فقير لا أملك من حُطام الدنيا شيئاً ، فهل لي أن أطمع في كرم ضيافتكم؟ فقالت له: أمَا إن هذا ليس في مطعمنا يا سيدي! ولكنني سوف أدفع لك من راتبي! فلما قام ترك لها مظروفاً بداخله مائة دولار ورقية وورقة صغيرة كتب عليها: أنا مستر فلان صاحب المطعم ، وبلغتني عنك شائعات أنك لا تشتغلين بجد وتعاملين الزبائن بكِبر وغطرسة ، الأمر الذي حدا بي إلى أن أرى كل شيْ على الطبيعة! فخذي المائة دولار على سبيل الهدية ، وسامحيني في هذا السلوك ، واغفري لي هذا التصرف! فليتعلم من صاحب المطعم هذا مدراء ومسؤولون وكبراء كثيرون حولنا ممن يُصدقون الشائعات! ولا تكاد تجد عند الواحد منهم أدنى وسيلة للتثبت والتحقق من الشائعات! وتحت عنوان: (الإشاعة: خطرها وعلاجها) يقول الأستاذ

محمد الجابري ما نصه: (هذه الإشاعات التي لها خطر عظيم وشر كبير. فكم دمرت من مجتمعات وهدمت من أسر ، وفرقت بين أحبة. كم أهدرت من أموال ، وضيعت من أوقات. كم أحزنت من قلوب ، وأحرقت من أفئدة ، وأورثت من حسرة. وإذا أردت أن تعلم عظيم شرها ، فانظر في حادثة الإفك: كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم مكث شهراً كاملاً وهو مهموم محزون ، لا وحي ينزل يبين له حقيقة الأمر، ولا يعرف عن أهل بيته إلا الطهر والعفاف. ولقد فتن كثير من المسلمين بنشر هذه الإشاعات وترديدها دون نظر في النتائج ، ودون نظر في الشرور الناتجة عنها. لقد عالج الإسلام قضية الإشاعة عن طريق ثلاث نقاط: (أ- النقطة الأولى: التثبت. ب- النقطة الثانية: الناقل للإشاعة من الفاسقين. ت- النقطة الثالثة: التفكر في عواقب الإشاعة). يقول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا...) وفي قراءة أخرى (فتثبتوا). فأمر الله بالتبين والتثبت ، لأنه لا يحل للمسلم أن يبث خبراً دون أن يكون متأكداً من صحته. وأما عن التفكر في محتوى الإشاعة: فإن كثيراً من المسلمين لا يُفكر في مضمون الإشاعة الذي قد يحمل في طياته كذب تلك الإشاعة ، بل تراه يستسلم لها وينقاد لها وكأنها من المُسَلمات. ولو أعطينا أنفسنا ولو للحظات في التفكر في تلك الإشاعات لما انتشرت إشاعة أبداً. لقد بين الله حال المؤمنين الذين تكلموا في حادثة الإفك فقال: (إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم).هـ.)

33 - النار الرماد

(عشقته وهو زوج صديقتها ، ورغم أنها ذات زوج طيب محترم. وراحت تلعب بزوج صديقتها المؤمن القانت العفيف ، وتذيقه من كيد الأنثى غير المتأدبة بأدب العقيدة ما الله به عليم. فتراسله فلا يرد ، وتزوره فلا يمكّنها أبداً من دخول بيته ، واتخذت من صديقتها الغافلة محسنة الظن مَعْبراً لقلبه الذي تأبى عليه عقيدته اللعب بعواطف الناس. فحذرها وقد فطن إلى قصدها وغوايتها بالقدر الذي لا يُمكن معه إحسان النية أبداً. وبيّن لها في صدق وصراحةٍ وصرامةٍ خطورة اللعبة القذرة ورجسها ، وهددها بإخبار زوجها وزوجته. فقالت: أنا في غاية السعادة أن أذيقك ناري وغرامي! فقال: نارك رماد أيتها العاشقة الولهانة المحترقة بنار العشق! وسوف أستعين الله عليك وعلى نارك. ولتعلمن أينا سيكسب الجولة. قال الأستاذ أبو رحمة / محمد نصر الدين محمد عويضة في كتابه: (تحذير الأنام من زلة الأقدام في العشق الحرام) ما نصه: (إنَّ مِمَّا ابْتُلِيَ به المسلمون وعمَّتْ به البلوى « انتشار مذهب العُشَّاقِ الفُسَّاقِ ، وما ترتب عليه من ضياع الأخلاق» ، فقد انتشر هذا الداء العُضال والمرض القتَّال بين المسلمين انتشار النار في الهشيم ، وخلَّفَ وراءه فساداً عريضاً ودمَّر أخلاق الأمةِ ، وأطاح بكثيرٍ من بيوتها ، وألقى بها في براثن الفتن ومستنقع الرزايا والآثام ، فمما يُدمي القلوب ويفري الأكباد ، أن وقع كثيراً من الناس في شِرَاك العشق الحرام والعياذ بالله ، فَأَرْدَتْ أحدهم قتيلاً ، وأورثته حزناً طويلاً ، فالعشق الحرام هو الفتنة الكبرى ، والبلية العظمى التي استعبدت النفوس لغير خالقها ، وملَّكتِ القلوبَ لعُشّاقها ، فأحاطت القلوب بمحنة ، وملأتها فتنة فالمحب بمن أحبه قتيل ، وهو له عبدٌ خاضعٌ ذليل ، إن دعاه لَبَّاه ، فهو غاية ما يتمناه).هـ. وفي كل قصة مماثلة ينتصر العشقُ الحرام على العشق الحلال! وذلك بكيد الأنثى وحيلها الخبيثة الماكرة! أما في قصتنا هذه فلقد انتصر العشق الحلال على العشق الحرام! حيث وقف الزوج المؤمن الموحد يعلنها صريحة أنني لن أسمع للعشق الحرام أن ينتصر!)

34 ـ الناس معادن

(الإنسان ـ كل إنسان ـ له طبيعة وجبلة ، تغلب عليه ، مهما حاول التجمل والتحلي بما ليس فيه. وإن هذا الادعاء منه قد ينطلي على السفهاء من الناس. أما الواعون وذوو الفراسة في معرفة الناس ، فهيهات أن ينخدعوا بمثل هذا الخداع. ونبينا – صلى الله عليه وسلم ـ قد ألقى الضوء على هذه القضية إلقاءً مبيناً إذ يقول: (الناس معادن ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا). ومن هنا فلا نحتاج إلى كثير كلام في بيان حقيقة المعادن ، وحقيقة الناس التي تمثل هذه المعادن. وأحقرْ بإنسان قد من الله عليه بنفس زكية طاهرة بريئة ، فإذا به يلتمس أسباب التدسية لها ، فينتكس ويصبح مُدسّى النفس لا قيمة له في الناس ، إذا حضر لم يحتفل بحضوره ، وإن غاب لم يُفتقد. ما هذا إلا لأن الناس فعلا معادن بكل معنى الكلمة. إن الناس ـ كل الناس ـ معادن ، ففيهم المعدن اللامع الناصع بطبيعته ، ومهما حاول المعدن الصدئ المنطفيء أن يلمع في واجهته ، فلا يمكن له أبداً أن يخدع الناس عن حقيقته. ومعظم الناس يميلون إلى المال وأصحابه. ويقيِّمون بعضهم بالدرهم والدينار ، وكأن لسان حالهم يقول لنا بأن الذي معه دينار يساوي ديناراً ، والذي يملك ألفاً يساوي ألفاً! وكأني بهم يذكروننا بالذي ارتجز فقال متحدثاً عن ذات المناسبة: (رأيت الناس قد مالوا ، إلى من عنده مالُ ، ومن لا عنده مالُ ، فعنه الناس قد مالوا. رأيت الناس قد ذهبوا إلى من عنده ذهبُ ، ومن لا عنده ذهب ، فعنه الناس قد ذهبوا. رأيت الناس قد ماسوا إلى من عنده ماسُ ، ومن لا عنده ماس ، فعنه الناس قد ماسوا. رأيت الناس منفضة إلى من عنده فضة ، ومن لا عنده فضة ، فعنه الناس منفضة.) يقول الأستاذ أمير بن محمد المدري: (كم من روضة أمست وزهرها يانع عميم ، أصبحت وزهرها يابس هشيم! فبينا ترى الرجل من أهل الخير والصلاح ومن أرباب التقى والفلاح قلبه بطاعة ربه مشرق سليم إذا به انقلب على وجهه فترك الطاعة وتقاعس عن الهدى. وبينا ترى الرجل من أهل الخنا والفساد أو الكفر والإلحاد قلبه بمعصية الله مظلم سقيم إذا به أقبل على الطاعة والإحسان وسلك سبيل التقى والإيمان). وأكتب هذه القصيدة في معدن من معادن الناس ، كان ذات يوم لامعاً ناصعاً ، ثم آثر الصدأ والقذر ، وجعله رداء! نعم ، فقد غلب منطق القوارين ، وقاس الناس بالدرهم والدينار ، ولم يكن قط حكيماً فيما ارتآه من التصورات. والحقيقة أن الإنسان الأصيل ذا القيم والأخلاق لا يمكن أن تكون عنده ازدواجية في المعايير أو ثنائية في المقاييس. وهذه أم المؤمنين أمُّ سلمة رضي الله عنها ، تحدِّث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر أن يقول: (اللهم مقلبَ القلوب ، ثبت قلبي على دينك) ، قالت: قلت: يا رسول الله ، وإنَّ القلوب لتتقلب؟! قال: (نعم ، ما خلق الله من بني آدم من بشر ، إلا إن قلبه بين إصبعين من أصابع الله ، فإن شاء الله عز وجل أقامه ، وإن شاء الله أزاغه). أخرجه أحمد في مسنده ، والترمذي في جامعه بإسناد صحيح. وهذا أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثر أن يقول: (يا مقلب القلوب ، ثبت قلبي على دينك) ، قال: فقلت: يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به ، هل تخاف علينا؟ قال: (نعم ، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله ، يقلّبها كيف يشاء). أخرجه الترمذي ، وابن ماجه في سننه. وإن كانت طبيعة العصر أن معظم الناس قد رضوا بالحياة الدنيا ، وغلبوا الأهواء ، وعبدوا شهواتهم ، ودانوا لعليتهم بكل ما كان ينبغي أن يدينوا به لله تعالى ، فإن هذا لا يعني ، أن القيم قد تلاشت ، وأن الأخلاق قد رحلت ، كلا وألف كلا! إن للقيم أهلها ، وللأخلاق والمبادئ أصحابها! وهؤلاء لا يتخلون عن أخلاقهم ولا يتنازلون عن مبادئهم!)

35 - الناقة والسايس

(كتب شعراءُ كثيرون عن الناقة بلحمها وشحمها ، وخفافها وعظامها. ولكنني أكتب عن الناقة الرمز والمعنى. وأقول: إن السايس المتهور هو الذي يقود ناقته إلى حتفها. وهو يعلم أن في هذا الدرب أو ذاك هلاكها. وإذا كان هذا السايس لا حياة له إلا بحياة هذه الناقة ، فماذا يكون وصف هذا السايس؟ إن الناقة قد يكون لها عذرها في بداية رحلة الدمار والضياع والهلاك تلك. لأنها تفترض الخير في سايسها ، وتأمُل الحكمة فيه ، وتأمن جانبه ، وتستبعد تماماً أن يعمد ذلك السايس إلى الخلاص المكشوف منها ، بهذي الصورة المزرية الحقيرة الفجة. يقول الله تعالى : {ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون}. يقول الإمام الألوسي رحمه الله: "لولا قضاة السوء والعلماء السوء ، لقل فساد الملوك. بل لو اتفق العلماء في كل عصر على الحق ودفع الظلم مجتهدين في ذلك ، مستفرغين جهودهم ، لما اجترأ الملوك على الفساد ، ولاضمحل الظلم من بينهم". ويورد الألوسي رحمه الله رأياً آخر فيقول: "وإذا كان الركون إلى من صدر منهم ظلم مرة في الإفضاء إلى مساس النار هكذا ، فما ظنك بالركون إلى من صدر منهم الظلم مراراً ورسخوا فيه ، ثم بالميل كل الميل لهم؟". ويقول صاحب الظلال رحمه الله: "لا تستندوا ولا تطمئنوا إلى الذين ظلموا ، إلى الجبارين الطغاة الظالمين ، أصحاب القوة في الأرض من الذين يقهرون العباد بقوتهم ، ويعبّدونهم لغير الله من العبيد". وإذن فهي ضريبة الاسترقاق التي تدفعها كل ناقة تستسلم لسايسها الغر! ولكن ما عذر السايس الذي قد اختل عقله ، وطاشت رؤاه ، واندحرت موازينه ، ولمست الناقة ذلك ، وخبَرته عن سايسها ، فلماذا لا تأخذ على يده ، وتنطلق وحدها وتتركه ، وتمضي إلى النجاة مخلفة هذا المتهور وحده في البرية يعض أصابع الندم ويعتصر ألماً ، ويلوك حسرته؟ إنها لناقة متهورة ، تلك التي تستسلم لمن يقودها إلى الهاوية. وهي ترى بكلتا عينيها الضياع والهلاك ، ومع كل ذلك تصر مستكبرة على المسير ، ثم بعد الضياع والهلاك والتشريد تلوم الأقدار والناس ، وتقلب كفيها على ما فرطت. وكان بإمكانها أن تصنع الكثير لاستنقاذ الموقف والخروج الآمن لنفسها ولسايسها من المصير المفجع! حول موقف الناقة من سايسها ، كانت هذه القصة الرمزية! والتي أعتمد في قرائي فيها على فطنتهم وأراهن على ذكائهم في فك الرمز وحل اللغز!)

36 - الناقد الأدبي المؤرخ (شوقي ضيف)

(من يراجع سلسة تاريخ الأدب العربي من الجاهلية مروراً بالعصر الإسلامي والأموي والعباسي والدويلات والإمارات حتى العصر الحديث للدكتور شوقي ضيف ، يدرك أنه أديب فذ وناقد قدير ومؤرخ محقق منصف. وختم سعيه بتفسير القرآن على هامش المصحف. والحقيقة أنني تتلمذتُ في تاريخ الأدب العربي على أسفار شوقي ضيف ، ونهلتُ منها الكثير ، وكانت مصادري إن أردت الاستيثاق من أية قضية في تاريخ الأدب! ولم أكن أعترض على الدكتور شوقي ضيف إلا في محاولته اليائسة الهزيلة (تجديد النحو) ذلك الكتاب الذي كتبتُ عنه وعن أشباهه من الكتب التي تدمّر نحو العرب قصة أسميتها (تبديد النحو أم تجديده؟!) وشرعتُ في ترجمة حبي وتقديري لجهود الدكتور قصة رقيقة أصف فيها شعوري! وإذن فنحن إذ نذكر (شوقي ضيف) ، فنحن نذكر رجلاً له أفضال كثيرة علينا خاصة وعلى جمهرة الباحثين والمؤرخين وكُتاب الأدب والتاريخ بصفةٍ عامة!)

37 - الناقد الصادق

(ما أكثر النقاد في زماننا. وما أكثر كتب النقد المعاصرة ، ولكن أين الناقد الصادق الذي ينقد نقداً بناء يبين فيه بكل صدق ما للعمل الأدبي وما عليه؟ لقد كتبتُ أشعاري ونقدي بمداد المحبة والوفاء فلعلها تجد من القارئ تأملاً وتفكراً يعقبه تغير وتحول وهداية ، فغداً تظهر السرائر وينكشف المخفي في الضمائر ، قبرٌ وسؤالٌ ووقوفٌ بين يدي الواحد القهار وجنةٌ ونارٌ أجارنا الله من النار. نفع الله بهذه الأشعار من قرأها ونظر فيها ، أحيا بها قلباً ميتاً وأيقظ بها قلباً غافلاً وجعلها سبباً ناجحاً ، أراق بها دموع التوبة وأسكب بها عبرات الأوبة وغفر لمن أعان على نشرها وطباعتها! لكل ناقد صادق ابتغى بنقده النصيحة لمن ينقد أعماله. ولم يبتغ التشفيَ والتجريح الفظ دون حق له في ذلك!)

38 - أنا النذير العُريان

(أراد ذلك الرجل أن يبين وضوح منهجه في التعامل مع قوم يتلاعبون به ويستهينون فقال: (أنا النذير العُريان يا قوم) الكلمة التي هي جزء من حديث للنبي – صلى الله عليه وسلم - فازدادت سخرية الناس ، وصاروا يتفكهون بالكلمة للنيل من الرجل. فتبنى إثبات الكلمة. وقال: أخرج الشيخان البخاري ومسلم من حديث أبي موسى - رضي الله عنه – قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إنما مثلي مثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوم فقال: إني رأيت الجيش بعيني ، وإني أنا النذير العُريان ، فالنجاء النجاء ، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا. وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم. فذلك مثل ما أطاعني فاتبع ما جئت به ، ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق). وإذن فالنذير العُريان مأخوذة من عادة العرب في الجاهلية عندما يرى أحدهم العدو ينزع ثوبه ، ويلوحُ به لينذر به قومه ويبقى عُرياناً. وهذا المعنى الذي أراده النبي - صلى الله عليه وسلم - من أنه يبين للناس الحق بكل بيان ووضوح وحرص عليهم وإشفاق ، فالكلمة صورة مستوحاة من البيئة. وإذن فلم يكن هناك ما يُبرر التندر والتفكه والسخرية والاستهزاء ، ولكنها الجراءة على دين الله كتاباً وسُنة. وجاء في شرح ابن حبان للراجحي ما نصه: (قال صلى الله عليه وسلم: (إن مثل ما آتاني الله من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً ، فكانت منها طائفة طيبة قبلت ذلك ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وأمسكت الماء فنفع الله بها الناس ، فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به ، فعلم وعمل ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به). وقد رواه البخاري من حديث أبي موسى بلفظ: (فعلم وعلم). فطائفة كالأرض الطيبة التي تقبل الماء فتنبت الكلأ والعشب ، قال العلماء: وهذا مثل العلماء الذين تعلموا وتفقهوا وفجروا ينابيع النصوص وحفظوا الأحاديث فانتفعوا في أنفسهم ونفعوا ، وقد شبههم الرسول الكريم بالأرض التي تمسك الماء فيأتي الناس وينتفعون بها. والطائفة الثانية: وصفها الرسول عليه الصلاة والسلام بقيعان لا تمسك الماء ولا تنبت الكلأ فلا تستفيد لنفسها ولا تفيد غيرها ، وكذلك مثل من لم يستفد ولم يقبل هدى الله وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام. والرسول صلى الله عليه وسلم شبه الإنسان في قبوله الحق بالأرض! وهي ثلاثة أنواع فصلها عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه البخاري: (مثل ما بعثني الله به من العلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكان منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الماء والعشب

الكثير ، وأصاب طائفة أخرى إنما هي قيعان أمسكت الماء فشرب الناس وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً) ومعناه أن الأرض ثلاثة أنواع وكذلك الناس! فالنوع الأول من الأرض ينتفع بالمطر فيحيا بعد أن كان ميتاً ، وينبت الكلأ ، فتنتفع بها الناس والدواب وغيرها ، وكذا النوع الأول من الناس فيبلغه الهدى والعلم فيحفظه فيحيا قلبه ويحيا به ، ويعلمه غيره ، بعد أن يعمل به فينتفع وينفع. والنوع الثاني من الأرض هو ما لا يقبل أن ينفع نفسه ولكنه ينفع الناس والدواب وغيرهما بأن يحفظ لهما الماء على سطحه ، وهذا مثل أهل القلوب الحافظة لكن ليس لهم أفهام ثاقبة فيحفظون الأحاديث ليأتي بعد ذلك طالب متعطش لما عندهم من الحفظ فيستخرج فوائده وينتفع به. والنوع الثالث هي الأرض الجدباء لا تنبت فهي لا تنتفع بالماء ولا تملكه لينتفع به غيرها ، وهذا مثل من يسمع العلم فلا ينتفع به ، ولا يحفظه لغيره).هـ. فرحتُ أكتب على لسان ذلك النذير العُريان هذه القصة في محاولةٍ مني للانتصار له ، لأنه رجل مظلوم. أبتغي بذلك وجه الله ، فتخيلته يشكو!)

39 ـ النسر والوجه الآخر

(من الأدب مع الله الخالق القدير أن يحسن العبد الظن بربه. روى الإمام مسلم من حديث جابر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «لاَ يَمُوتَنَّ أَحَدُكُم إِلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ عزَّ وجلَّ». وروى الشيخان من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تعالى: أنا عِنْدَ ظنِّ عبدي بي ، وأنا معه ، فَإِنْ ذَكَرني في نَفسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي ، وإِنْ ذَكرني في مَلأٍ ذَكرتُهُ في مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وإِنْ تَقَرَّبَ إليَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إليه ذِرَاعًا ، وإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبتُ مِنهُ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً». وروى أحمد (والحديث صحيح) أن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالى: أنا عِنْدَ ظنِّ عَبْدِي بِي ، إِنْ ظَنَّ خَيْرًا فَلَهُ ، وإن ظَنَّ شرًّا فله... » وإذن فكل عبدٍ صالح مخلص لدينه ولعقيدته يحسن الظن بالله الرحيم الغفور اللطيف لما يشاء الرءوف بعباده. وتاريخنا الإسلامي حافل برجالات ونساء لهم مواقف تستلهم منها الدروس والمواعظ أبد الآبدين ودهر الداهرين! أذكر على سبيل المثال لا الحصر أربعة منها: هذا هو الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ مع أمير بخارى: بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلي والي بخارى إلى محمد بن إسماعيل البخاري: أن احمل إليَّ كتاب الجامع والتاريخ لأسمع منك. فقال البخاري لرسوله: قل له: إني لا أُذِّلُ العلم ولا أحمله إلى أبواب السلاطين ، فإن كانت له حاجةٌ إلى شيءٍ منه فليحضرني في مسجدي أو في داري ، فإن لم يعجبك هذا فأنت سلطانٌ فامنعني من المجلس ليكون لي عذرٌ عند الله يوم القيامة: أني لا أكتم العلم فكانت سبب الوحشة بينهما. وهذا هو موقف شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ مع أعدائه: عندما ضيقوا عليه ، قال: ما يفعل أعدائي بي ، أنا جنتي في صدري ، سجني خلوة ، ونفيي سياحة ، وقتلي شهادة! وهذا هو موقف المهندس المصري مع الضابط الفرنسي في قناة السويس: طلب الضابط الفرنسي إحضار أحد المهندسين لعملٍ ما كان في بيته ، فأُحضر له المهندس المصري ، وكان مسلماً موحداً. فلما حضر عنده وسأل عن العمل أخبره الضابط بنوع العمل المطلوب ، وقال له الضابط: بكم القيمة ، فلما رأى المهندس المطلوب ، قال له: قيمة العمل كذا من المال ، فقال الضابط في غضبٍ شديدٍ: أنت حرامي وغشاش ، فقال المهندس: أنا لست حرامياً ولا غشاشاً ، أنا مسلم! فقال: بل حرامي وغشاش! فقال له المهندس: أحضر من شئت من المهندسين واسأله عن قيمة العمل المطلوب فإن كان أقل أو مثل ما طلبت فسوف أقوم بالعمل بلا مقابل ،

فطلب إحضار مهندسٍ آخر فلما جاء وأخبره بالعمل ، فقال المهندس: قيمة العمل كذا من المال. وكان أكثر من المهندس الأول بكثير ، فرجع الضابط إلى المهندس الأول وطلب منه العمل بما طلب ، فرفض المهندس حتى يعتذر له عن غلطه فرفض الضابط الاعتذار وأمره بالقيام بالعمل وإلا سيعاقبه ، فرفض المهندس حتى يعتذر له ، فلما رأى الضابط إصرار المهندس اعتذر له ، ثم قام المهندس وأنهى العمل فأعطى الضابط المهندس القيمة وزيادة. فقال المهندس: ما هذه الزيادة؟ فقال الضابط: البقشيش. فقال المهندس: لا أخذ البقشيش ، ورده عليه. فتعجب الضابط من ذلك الموقف. وأخيراً موقف يعقوب بن يوسف الموحديّ مع الأذفونش الإفرنجي: كان يعقوب بينه وبين الأذفونش صاحب غرب جزيرة الأندلس هدنة ثم انقضت وذلك عام (590هـ) وضعفت حال المسلمين بالأندلس ، فكتب الأذفونش رسالةً إلى الأمير يعقوب يتهدده ويتوعده ويطلب بعض الحصون ، فلما وصل كتابه إلى يعقوب مزَّقه ، وكتب على ظهر قطعةٍ منه: ارجع إليهم فلنأتينهم بجنودٍ لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون والجواب ما ترى لا ما تسمع. ثم أمر بالاستنفار واستدعى الجيوش وجمع العساكر ثم سار حتى دخل بلاد الإفرنج وقد تأهبوا لقتاله فكسرهم كسرةً شنيعةً). والنسر ـ الذي أعني في قصتي ـ هو رجل بائس مسكين تآمرت عليه قُوى الشر من المنافقين والخاذلين فراح يتخبط ويتلبط ، للذي ألم به من جراء التخرص عليه بالباطل والبهتان والزور. وأما الوجه الآخر فهو قُوته بالله وامتثاله شرفَ العبودية. النسرُ مهما نال منه سائرُ الطيورِ أو الجعلان أو الهوام فإن ذلك لا ينقِصُ مِن كَونِهِ نَسرًا ، وتأتي على النَّسرِ أيامٌ تصدأُ فِيها عزيمته كَما يصدأُ الحديد ، ثم ما يلبثُ أن يزولَ صدأها وتعودَ إِلى قُوةِ الحديدِ ولَمعانِ الذهب ، وتبوء الجُعلانُ والهوامُ بالحسرةِ والندامة!)

40 ـ النفق المظلم

(إن كل زوجة حكيمة تعلم تهوّر أهلها وعدم حكمتهم لا تودي بحياتها وببيتها وبزوجها عندما تلجأ إليهم عند حدوث مشكلات بينها وبين زوجها. وذلك لأنها أعلم الناس بقومها فهي ابنتهم. وإذا كان ذلك كذلك فلماذا الزجّ بالبيت والزوج والأولاد في مهبّ الرياح وخضمّ الجدال الذي لن يؤتي ثماره اليوم ولا غداً؟! حيث إن الخلاف سُنة الله في الخلق ، وسوف تذهب المشاكل ويبقى النفق المظلم الذي أدخلت بيتها وزوجها فيه! وفي هذي القصيدة ألومُ زوجة أخطأتْ يوم احتكمتْ لأهلها في حل مشكلةٍ بينها وبين زوجها قد تفاقمت واحتاجت إلى حكماء يُدْلون بدِلائهم لإيجاد حلول عاجلةٍ نزيهة ترضِي الطرفين ، وتحافظ على البيت والزوج والزوجة والأولاد. ومع علم هذه الزوجة بما عليه أهلها من تهوّر وحُمق وجهالة ونزق في معالجة الأمور إلا أنها احتكمتْ إليهم ، فإذا بالمشاكل تتفاقم أكثر مما كانت عليه. وبعد أن كانت تواجه مشكلة واحدة بعينها إذا بها أمام حفنةٍ من المشاكل والفتن قد أطلت برؤوسها من حيث لم تحتسب! فبدل أن يعمد القومُ إلى مناقشة المشكلة لإيجاد حل لها أضافوا عليها مشكلاتٍ أخر وزادتْ هُوّة الخلاف واندلع الشقاق المُرعِد ، وكاد الكل يجمعون أنه لا حل إلا بالطلاق. ومن هنا رحت ألوم تلك الزوجة ، وأعرض بكل زوجة تفعل مثل هذا حتى لا تودي بزوجها وأولادها وبيتها ، وتخرج وحيدة شريدة خاسرة قد فقدت كل شيء! يقول المنجّد في محاضرته الطويلة التي عنوانها: (جهود السلف في حل المشكلات الزوجية) ما نصه: (لمّا آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبي الدرداء ، وكان قبل نزول آية الحجاب يدخل الصحابة بيوت

بعضهم البعض ، فدخل سلمان فرأى أم الدرداء متبذلة ليس عندها شيء من الدنيا في الاهتمام ، فقال: "ما شأنك؟" قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا"! غير مهتم أصلاً ، فهو رجل مُقبل على العبادة! ليس له شأن في النساء ، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً ، فقال كل ، قال: فإني صائم! قال: ما أنا بآكل حتى تأكل ، فأكل ، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم ، قال سلمان: نم فنام. ثم ذهب يقوم ، قال: نم ، فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن ، فصليا ، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً ، ولنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً ، فأعطِ كل ذي حق حقه ، فأتى النبي عليه الصلاة والسلام فذكر ذلك له فقال: (صدق سلمان)! فالتدخل الحكيم عندما يرى الأخ أن في حياة أخيه المسلم خللاً ، وأن هنالك مشكلة فيسعى لإصلاحها عملياً ، ويُبين الحكم الشرعي ، ويأمره وينهاه. - ومن ذلك موقف عمر رضي الله عنه عندما سمع أن ابنته حفصة ممن يراجعن النبي عليه الصلاة والسلام ، أي: في أخذ ورد ، وكلام مع زوجاته ، فذهب زيارة خاصة ، وقال: "أي حفصة ، أتغاضب إحداكن رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم إلى الليل" أي: إذا طالبته بنفقة وما عنده ، فربما تغضب وما تكلمه إلى الليل ، قالت: نعم ، يحدث هذا ، قلت: "خابت وخسرت أفتأمن أن يغضب الله لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتهلكين". من ذا الذي ترضى سجاياه كلها ، (لا يفرك مؤمن مؤمنة) أي: لا يبغضها بالكلية ، (إن كره منها خلقاً رضي منها آخر). والله يعوض على الصبر. دخل طالب على شيخه فوجد عنده ولداً يخدمه خدمة عظيمة وآنس وبراً وإحساناً فعجب من ذلك ، فلما خرج الابن قال العالم للتلميذ: أتعجب من بر هذا بي؟ قال: نعم ، فقال له: لقد عاشرت أمه أكثر من عشرين سنة ، والله ما تبسمت في وجهي يوماً قط ، فصبرت فعوضني الله منها بما ترى ، عوضني الله منها بابن بار. - إدراك الحقائق الخلقية مهم جداً في هذا الموضوع ، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "شكى إبراهيم عليه السلام - يعني: حِدّة في خلق سارة - فأوحى الله إليه إنما هي من ضلع ، أرأيت ضلع الشاة ، وضلع الخروف ، لابد أن يكون في أعلاها اعوجاج ، هكذا خلق أصلاً ، فالضلع ليس مستقيماً ، قال: "إنما هي من ضلع فخذ الضلع فأقمه ، فإن استقام ، وإلا فالبسها على ما فيها" ، ولذلك نقول لبعض الأزواج الذين يُكثرون الشكاية ، خذ ضلع الذبيحة ، وحاول أن تجعله مستقيماً ، فإن لم يحصل ، فاعلم أن القضية خلقة ، وهذا جزء من التحمل ، فلا بد أن يدرك الرجل السر في القضية وأن المرأة أحياناً تقول كلاماً ، وتتصرف تصرفات هو لا يراها منطقية ، ولا عقلانية ، ولا سليمة! ولكن هذا جزء منه يعود إلى الطبع والخلقة).هـ. وإذن فالزوجة الحكيمة تنأى بخلافاتها عن السفهاء!)

41 - قصة القصيدة النونية السليمانية الشاعرة! (حسان)

(أردت هذه المرة أن أسمي ولداً من أولادي على اسم شاعر مسلم عظيم نسباً وديناً وشعراً. فأخذتُ أستشيرُ أولادي ومعارفي. فوقع اختيارُ البعض على الفرزدق أو جرير أو أبي تمام أو المتنبي أو البحتري أو أبي العلا المعري. فقلت: ما من أحدٍ من هؤلاء إلا وعليه وله ، وما عليه أكثر مما له. ثم إن أغلب هذه الأسماء كُنى ، وإنما الذي أريده هو الاسم الحقيقي للشاعر ، والذي قد سماه به أبوه. ورأى البعض (الحطيئة) ، فقلتُ: منسوبٌ لأمه ، ولا يُعلم له أب ، واشترى منه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه – أعراض المسلمين حتى لا ينال من أحدٍ في شعره ، فقد عُرف بالهجاء ، فدفع له عمر نحواً من ثلاثة آلاف درهم ثمناً لأعراض المسلمين ، ولما مات عمر ، عاد الحطيئة إلى ما كان من الهجاء. فقلت: لا! وظللنا نتقلب في

أسماء وكنى وألقاب الشعراء في القديم وفي الحديث ونقع في أعراضهم ونتتبع سيرهم ونستوثق من أخبارهم. حتى وقع الاختيار أخيراً على شاعر الرسول – صلى الله عليه وسلم – الصحابي الجليل القدير / حسان بن ثابت الأنصاري ، الشاعر الذي وضع حجر الأساس للشعر الإسلامي في صدر الإسلام وإلى أن تقوم الساعة. الشاعر العظيم النسب ، فهو في الذؤابة من الخزرج أماً وأباً وجدوداً ، ودیناً ، فيكفيه شرف صحبة النبي - صلى الله عليه وسلم – والذود عنه ومدحه! وشعراً وهذا واضح جلي فى ديوانه ذي الشعر اللطيف العلي. وأسأل الله تعالى أن يقيم ولدي (حسان) في الأواخر مقام (حسان بن ثابت) في الأوائل وأن يلين له البيان كما ألان الحديد لنبيه العظيم داود – عليه السلام - ، وأن يفقهه في الدين ويرزقه العلم النافع والعمل به وأن يزلل له ألغاز الشعر ورموزه ليكون شاعراً لا يشق له غبار ، ليذود عن الإسلام ونبيه – صلى الله عليه وسلم – ، والمسلمين اليوم كما ذاد حسان بن ثابت بالأمس. وما حسان كحسان ولكنه الأمل في الله وشرف التسمية وعظيم الانتساب وبديع التأسي وإحياء سُنة ماتت في عالم المسلمين واسم غاب. * وحسان من ناحية اللغة مشتق من الحُسن ، وهي مادة جد عظيمة في ذاتها. فهي صيغة مبالغة من الحسن يُجريه المرء. والمادة ومشتقاتها في القرآن ممدوحة ولم تذم مرة: (حسن – محسن – الحسنى – أحسن – الإحسان – الحسنات – الحسنيين). وذكرت هذه المادة ومشتقاتها في القرآن (193 مرة) على ما ذكر صاحب المعجم المفهرس. * ولد حسان بن ثابت – رضي الله عنه – في يثرب. ورغم نشأته المدنية الحضرية كان متأثراً بالبادية والحياة البدوية. وهذا بادٍ فى شعره على ما سنبين إن شاء الله. ومعنى هذا أنه ولد قبل مولد النبي – صلى الله عليه وسلم – بقريب من ثمانين سنة. وهذا الكلام يكاد يكون محل إجماع بينهم. * كان لحسان بن ثابت كُنى: (أبو الحسان – أبو الوليد – أبو عبد الرحمن) ولكنه لم ينادى بإحداهن ، بل كان ينادى: بحسان كما سماه أبوه. أما أبوه فهو ثابت بن المنذر بن حرام الخزرجي ، ومعلوم أن قبيلة الخزرج هاجرت من اليمن إلى الحجاز ، وأقامت بالمدينة مع الأوس. وأما أم حسان: فهي الفريعة بنت خالد بن قيس ، وإذن فحسان في الذوابة من أنساب العرب وأحسابهم ، ومن أشراف قومهم وعليتهم. وأمه أسلمت ، وحسن إسلامها. ويعتبر حسان نجّارياً حيث إن قبيلته لها نسب كبير ببني النجار أخوال النبي - صلى الله عليه وسلم – ولحسان بهم صلة وقرابة ، فله رحم باللخميين ملوك العراق وبآل جفنه الغساسنة ملوك الشام. * مد حسان الرحلة وشد الرحال إلى بلاط النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، كما شد رحاله إلى بلاط الغساسنة وملوك الحيرة على السواء. وكان سيف البيان في الخزرج (قبيلته) عندما تحارب الأوس ، فكان يتولى الرد وحده على شاعري الأوس (قيس بن الخطيم وأبي قيس الأسلت). اتصل حسان بملوك الشام (الغساسنة) في عواصمهم (جلق والجولان وبصرى) ، فمدح ملوكهم وكذلك كبراءهم. ولا سيما عمرو الرابع والنعمان السادس وحجر بن النعمان وجبلة بن الأيهم. والحقيقة أنه لم يكن فارساً بسيفه بل بلسانه وشعره. لم يشهد معركة مع النبي - صلى الله عليه وسلم – لخوف قلبه ورهافة حسه ، فعوّض عن ذلك بلسانه وشعره. * تقاسم مع النابغة الذبياني وعلقمة الفحل أعطيات بني غسان وخدمه خلاف النعمان. وهذا كله أضفى على شعره القوة والجزالة ، وإذا مدح الشاعر الملوك والأمراء راق وطاب ، بخلاف سواهم من الأوباش والسفل الصعاليك. * تقول عائشة – رضي الله عنها - سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله. (يقول ذلك لحسان). * والعجيب أن حسان كان شاعراً ، وأبوه وجده وجد أبيه وابنه عبد الرحمن

وحفيده عبد الله كانوا جميعاً شعراء ، وكان حسان منهم جميعاً واسطة العقد. يقول صاحب الأغاني ج4 صـ 138: (كان حسان بن ثابت وكعب بن زهير يعارض كل منهما قريشاً بمثل قولهم بالواقع والأيام والمآثر يعيّرهم بالكفر ، فكان في ذلك الزمان أشد القول عليهم قول حسان وكعب ، وأهون القول عليهم قول ابن رواحة. فلما أسلموا ، وفقهوا الإسلام كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة).هـ. ألا إن فراسة حسان وكعب كانت السبب في ذلك ، حيث إن تعيير الشعراء المشركين بالأنداد والأصنام والأوثان إضاعة للوقت والجهد وهزيمة في المناظرة الشعرية. لأن المشركين يعتزون بعبادة الأصنام والأوثان أصلاً. بينما التعيير بالأحساب والأنساب وتوبيخ السادة والأشراف والفرسان منهم بالفرار من الحرب والقتال ، يعتبر نيلاً كبيراً منهم وحرقاً لدمائهم واستفزازاً لأعصابهم. * يقول الأستاذ / محمد ابراهيم جمعة في كتابه: (حسان بن ثابت): (إن أسلوب حسان الجاهلي لا يخلو من بعض الحوشية والأخيلة البدوية ، وغلبت عليه جزالة اللفظ وكذا فخامة التعبير وشموخ المعنى والاتصال المباشر بالبيئة. هذا بالإضافة إلى أنه كان يميل إلى اللين وعذوبة اللفظ وسلامة التعبير).هـ. والحقيقة أن حسان كان على عكس مدرسة زهير بن أبي سُلمى ، إذ كان يرتجل الشعر ارتجالاً ، ويرسله إرسالاً. فلا تبقى القصيدة معه سنة ينقحها ويهذبها ويحككها. * أثر عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم – قوله: أمرت عبد الله بن رواحة بهجاء قريش فقال وأحسن ، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن ، وأمرت حسان فشفى واشتفى. ومن هنا أمره النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يذهب إلى أبي بكر ليحدثه حديث القوم وأيامهم وأحسابهم وأنسابهم ، ثم يقول له: اهجهم بعدها وروح القدس معك. نعم دعا له النبي ـ صلى الله عليه وسلم – بقوله: (اللهم أيده بروح القدس). ومن هنا مدح حسان النبي. ومدح النبي شعر حسان بقوله: (لهو أمضى فيهم من وقع النبل عليهم)! وكان النبي – صلى الله عليه وسلم ـ ينصب له منبراً في مسجده حتى ينشد الشعر في الذود عنه والرد على المشركين ، وكانت له منزلة عظيمة عند النبي – صلى الله عليه وسلم – فعندما يخرج للحرب وقتال الأعداء يترك حسان عند الأزواج حارساً وراعياً وقائماً بشؤونهن. أهداه النبي – صلى الله عليه وسلم – أخت زوجه (مارية بنت شمعون القبطية) واسمها (سيرين القبطية) ، وهي أم ابنه عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري ، وكان شاعراً مثل أبيه وتمتع حسان بالاحترام والتبجيل. فكان الخلفاء الراشدون جميعاً يجلّونه ويحترمونه ويفرضون له في العطاء ، فعاش كريماً معافىً محترماً متديناً شاعراً مجيداً. * بكى من هجائه أحد شعراء قريش (الحارث بن عوف المري) ، بكى بدموع غزار ، وذهب للنبي – صلى الله عليه وسلم – مستجيراً طالباً منه أن يكف عنه وعن قبيلته لسان حسان بن ثابت. وشهد النابغة له بالشاعرية الفذة وكذلك بالعبقرية في الأداء والإيحاء واللفظ. وهذا شرف عظيم للحد الذي جعل النقاد في القديم والحديث يُجمعون على شاعرية حسان المجيدة وأنه أشعر أهل المدر وأشعر الصحابة ، بل وأشعر أهل الإسلام وأشعر أهل اليمن قاطبة. وديوانه العظيم برواية (ابن حبيب) خير دليل على ذلك. * وللأصمعي قولان متناقضان عن حسان: الأول: أن حسان لان شعره بعد إسلامه ، وهذه لا حق للأصمعي فيها ، بشهادة النقاد بل والمحققين. ولقد فندت هذه الفرية في كتابي: (قراءة أسلوبية في شعر حسان بن ثابت الأنصاري). وسألنا: كيف يؤيد شاعراً ما بروح القدس ويلين شعره؟ ربما هذا القول من الأصمعي لتشيعه ورافضيته الخبيثة. وأما الثاني: فقول الأصمعي: تنسب إليه أشياء لا تصح عنه. وهذه له فيها كبير الحق. لأنه قد ابتلى ببعض الأشعار التي لا تليق بمستواه الفني الجليل

وإنما هي أشعار منحولة تسربت إلى ديوانه. ويؤيد هذا القول ابن سلام الجمحي: (إن حسان قد حمل عليه ما لم يحمل على أحد. الأشعار الكثيرة التي لا تنقى).هـ. ويؤيد كلامنا د. شوقي ضيف في كتابه: (تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي صـ 81): (والحق أن شعر حسان الإسلامي قد كثر الوضع فيه ، وهذا هو السبب فيما يشيع في بعض الأشعار المنسوبة إليه من ركاكة وهلهلة. لا لأن شعره قد لان وضعف في الإسلام كما زعم الأصمعي ، ولكن لأنه دخله الكثير من الانتحال والوضع).هـ. وصدق شوقي ضيف حفظه الله تعالى. * عاش حسان ثابت الأنصاري ستين سنة في الجاهلية ، وأيضا ستين سنة أخرى في الإسلام. فهو من الشعراء المخضرمين المعمّرين. وعاش على الشعر ، فكان يمدح الغساسنة والمناذرة ويقبل هداياهم وهباتهم وعطاءاتهم. ويعتبر مدحه لآل جفنة من ملوك غسان من الشعر ، من أكثر وأغرز شعره الجاهلي أي الذي أنشده في الجاهلية. ولذا أكرموه ولم يتنكروا قط له بعد أن أسلم رغم أنهم نصارى ، ولذا لما جاءت إليه رسلهم بالهدايا من القسطنطينية قبلها ـ رضي الله عنه ـ.* وعندما اشتد أذى المشركين وهجاؤهم للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لأصحابه: ما يمنع الذين نصروا الله ورسوله بأسلحتهم أن ينصروه بألسنتهم؟ فقال حسان: إنا لها. وضرب بلسانه الطويل أرنبة أنفه ، وقال: والله ما يسرني به مقول ما بين بصرى وصنعاء ، والله لو وضعته على صخر لفلقه ، أو على شعر لحلقه. فقال له النبي – صلى الله عليه وسلم – كيف تهجوهم وأنا منهم؟ فقال: أسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين! فقال له النبي – صلى الله عليه وسلم -: (اهجهم ومعك روح القدس). وعلى هذا كان حسان شاعر أهل المدن في الجاهلية وشاعر النبوة في البعثة النبوية وشاعر اليمن الأوحد. نعم كان حسان أمير الشعراء المسلمين في كل أغراض الشعر العربي اللائقة بالإسلام: (الفخر والحماسة والمدح والهجاء والرثاء والوصف)! ففي شعره ضارع ابن كلثوم في الفخر بقومه والمباهاة بنفسه. بقي حسان بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – محبباً كما أسلفنا إلى خلفائه مرضياً عنه ، وعمّر وبقي أكثر حياته ممتعاً بحواسه وجوارحه وعقله حتى وهن جسمه في أواخر أيامه وكُف بصره ، ومات في خلافة معاوية سنة 54هـ. لقد ظلم حسان ظلماً كبيراً إذ كتبت الكتب الكثيرة عن صحابة فرسان كثيرين. وأما فارس الكلمة (حسان بن ثابت) فكتب عنه عن النذر اليسير من الكتب. وكان المدخل للكتابة عنه الأدب والكلمة. ومن عناوين الكتب ندرك ذلك: (رجال حول الرسول) ، (من سير الصحابة) ، (فرسان حول الرسول). ولم يكن من بين هؤلاء الفرسان والرجال والصحابة والأبطال (حسان) والذي هو فارس الكلمة وبطلها. وأسأل: لماذا؟ والجواب: لانشغال الرواة والمحققين والمؤلفين بالفروسية التي قوامها السيف والسنان مهملين الفروسية الأخرى فروسية الكلمة ، والتي قوامها الشعر والحكمة والبيان. إن جهاد حسان – رضي الله عنه ـ بالكلمة أعتى من جهاد سواه بالسيف ، وذلك بشهادة النبي – صلى الله عليه وسلم ـ نفسه ، إذ قال: لهو أمضى من نضح النبل عليهم. ومن هنا حلا لبعضهم أن يتهموا حسان بالجبن والخوف. وهذه فرية عظيمة. إنه من أشجع الأصحاب في جهاد الكلمة وسد فراغاً لم يستطيع سواه أن يسده ، وملأ فراغاً لم يكن يملأه سواه. وغاية ما في الأمر أنه كان يخاف من الحرب وضرب السيوف ورمي النبال. وفي ظني أن حسان بن ثابت الأنصاري لم ينصف! ولعل دراسات مستقبلية سوف تنصفه إن شاء الله وتسله من دعايات المستشرقين وأفراخهم وسدنة الباطل المعاصرين والغابرين كما تسل الشعرة من العجين ، كما كان يسل النبي صلى الله عليه وسلم – من دعايات المشركين بالأمس. * إنني إن عقتني أولادي السبعة فعندي قصائدي التي

فاقت اليوم 575 قصيدة ، فهن بناتي اللائي أفاخر بهن وأجد منهن البر والإحسان. ولذا لا يجب أن أحزن على عدم وجود البنات عندي وأشكر الله ما رزقني إذ كنت أريد بُنية. وكفاني حسان. * أسرت قبيلة مزينة (حسان بن ثابت) وكان قد هجاهم فقال في هجائه لهم معرضاً بهم:

مزينـــــة لا يـــرى فيهـــا خطيـــبُ ولا فلـــج يطـــاف بـــه خصـــيبُ

أنـــاس تهلـــك الأحســـاب فـــيهم يـــرون التـــيس يعدلـــه الحبيـــب

فأتاهم الخزرج قوم حسان يقتدونه منهم ، فقالت مزينة: نفاديه بتيس. فغضب أهل حسان لذلك غضباً شديداً ، ولما رأوهم يبخسون قدره ، وقاموا فقال لهم حسان: يا إخوتي خذوا أخاكم يعني نفسه ، وادفعوا أليهم أخاهم يعني التيس الذي طلبوه فداء لحسان. * ولقد حفظ الله - تعالى – اسم (حسان) على مر العصور وكر الدهور فلا أعلم أحداً تسمى به وكان منقوص القدر. فمثلاً:

1- حسان تبّع بن أسعد بن أبي كرب الحميري ، من أعاظم تبابعة اليمن في الجاهلية. ولعله أكثرهم غارات وأظفرهم كتائب ، كما ذكر في غير ما مرجع ودائرة معارف.

2 – حسان أبو رحاب ، من أسرة عوف بن الصوامعة بمصر وهو من رجالات التعليم الأوفياء العظماء. مات 1957م.

3 – حسان ابن أبي سنان بن أبي أوفى بن عوف التنوخي (مترجم معروف) كان يكتب بالعربية والفارسية والسريانية في غاية الدقة والجمال. مات 18هـ.

4 – حسان بن كلال الحميري من ملوك حمير الجاهليين.

5 – حسان بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم ، من حمير وهو ملك جاهلي من أقيال اليمن عرف بذي الشعبين وهو جبل نزله هو وولده وعاش فيه ودفن فيه.

6 – حسان بن عمرو بن تبع: من ملوك اليمن الحميريين.

7 – حسان بن مالك بن بحدل بن أنيف ، أبو سليمان الكلبي. أمير بادية الشام مات 685م.

8 – حسان بن مالك بن عبد الله بن جابر أو عبده. وزير عبد الرحمن الداخل (مؤسس الدولة الأموية في الأندلس) ، مات سنة 767م ، وكان قد عرف بتقواه وبعدالته وأمانته.

9 – حسان بن مالك بن أبي عبدة ، وزير من العلماء باللغة والأدب في الأندلس. مات 1029م.

10– حسان بن محمد بن أحمد بن هارون ، من نسل سعيد بن العاص القرشي الأموي (أبو الوليد) علامة بفقه السادة الشافعية ، وهو من حفاظ الحديث مات 960هـ.

11 – حسان بن معاوية بن ربيعة بن حرام العجوي من قحطان. وهو جد جاهلي من أجداد العرب.

12 – حسان بن مفرج بن دغفل بن جراح الطائي (أمير بادية الشام) مات 420هـ.

13 – حسان بن النعمان بن عدي الأزدي الغساني من أولاد ملوك غسان ، قائد من رجال السياسة والحرب. مات 705م.

14 – حسان بن نمير بن عجل الكلبي (أبو الندى عرقلة الأعور) ، وهو شاعر فذ مات 567هـ.

وأما اسم حسان في عالم الحديث ورجالاته ورواته فمنهم:

1 – حسان بن إبراهيم بن عبد الله الكرماني ، وهو قاضي كرمان ، روى له البخاري ومسلم والدرامي – رحمهم الله.

2 – حسان بن الأشرس (المنذر) بن عمار الكاهلي الألبي ، روى له النسائي - رحمه الله -.

3 – حسان بن حريث أبو السوار العدوي.
4 – حسان بن حسان البصري ، أبو على بن أبي عبادة وقد روى له البخاري - رحمة الله عليه.
5 – حسان بن أبي سنان البصري ، وهو أحد العباد التقاة الورعين ، روى له البخاري والترمذي.
6 – حسان بن الضمري بن عبد الله الشامي. روى له النسائي.
7 – حسان بن عبد الله بن سهل الكندي أبو علي الواسطي ، روى له البخاري - رحمة الله عليه -.
8 – حسان بن عطيه المحاربي.
9 – حسان بن كريب الحميري الرعيني أبو كريب المصري وقد روى له البخاري - رحمه الله.
1. – حسان بن نوح النصري أبو معاوية أبو أمية الشامي الحمصي ، وقد روى له النسائي.
11 – حسان بن أبي وجزة من قريش ، وقد روى له النسائي.
12 – حسان (غير منسوب) وقد روى له النسائي عن عبد الله بن مسعود (ما رأيت من ناقصات عقل ودين). حديث واحد فقط لا غير. وكتاب تهذيب الكمال في أسماء الرجال للإمام المزي حرف الحاء ، قد حوى الكثير والكثير.
هذا ، وقد اعترض واحد من أصحابنا على هذه التسمية التي عزمت عليها لولدي (حسان) قائلاً بأنه لم يكن من أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – بهذا الاسم (حسان). إلا ابن ثابت الأنصاري الشاعر. فقلت لصاحبي: عُد إلى كتاب (الإصابة) لابن حجر العسقلاني ، وكتاب (أسد الغابة) لابن الأثير وغيرهما من كتب التراجم والسير والرجال ، وسوف تعرف أنه لم يكن الصحابي الوحيد الذي تسمى بهذا الاسم. بل كان هناك من الصحابة حوالي سبعة خلاف ابن ثابت:
1 – حسان بن جابر السلمي ، والذي شهد مع النبي الطائف.
2 – حسان بن أبي حسان العبدي ، الذي قدم على النبي – صلى الله عليه وسلم – في وفد عبد القيس.
3 – حسان بن خوط الذهلي البكري ، الذي كان شريفاً وسيداً في قومه ، وكان وافد بكر بن وائل إلى النبي ، وقد عاش هذا الصحابي الجليل حتى شهد (الجمل) مع علي.
4 – حسان بن أبي سنان ، الصحابي المشهور - رضي الله عنه -.
5 – حسان بن شداد بن شهاب بن زهير بن ربيعة.
6 – حسان بن عبد الرحمن الضبعي - رضى الله عنه -.
7 – حسان بن قيس بن أبي أسود بن كلب بن عدي بن يربوع التميمي - عليه رضوان الله.
*** وعود إلى حسان بن ثابت الأنصاري في نماذج من شعره: يبكي حسان على الأطلال فيقول:**

أســألت رســم الــدار؟ أم لــم تســألِ بــين الجــوابي فالبُضــيع ، فحومــلِ

فــالمرج مــرج الصــفرين فجاســم فــديار ســلمى دُرّســا لــم تحلــل

دمـــنٌ تعاقبهـــا الريـــاحُ دوارسٌ والمــدجنات مــن الســماك الأعــزل

وبعد أن خاض في عرض عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - قال بعد حادث الإفك معتذراً:

حَصـــانٌ رزانٌ مـــا تـــزن بريبـــةٍ وتصـــبح غرثـــى مـــن لحـــوم الغوافـــلِ

حليلـــة خيـــر النـــاس دينـــاً ومنصـــباً نبـــي الهُـــدى والمَكرمـــات الفواضـــل

عقيلـــة حـــي مـــن لـــؤي بـــن غالـــب كـــرام المســـاعي مجهـــداً غيـــر زائـــل

مهذبـــة قـــد طيـــب الله خيمهـــا وطهرهـــا مـــن كـــل ســـوءٍ وباطـــل

فـــإن كنـــتُ قلـــتُ الـــذي زعمـــتمُ فـــلا رفعـــتْ ســـوطي إلـــيّ أنـــاملي

وقد روى أن عائشة قالت في التعليق على قوله: (وتصبح غرثى من لحوم الغوافل) ، ولكنك يا حسان ما تصبح غرثان أي جائع من لحومهن. هذا ، ومن شعره في القيم قبل إسلامه.

أصـــون عِرضـــي بمـــالي لا أدنســـهُ لا بـــارك اللهُ بعـــد العِـــرض فـــي المـــالِ

أحتـــال للمـــال إن أودى ، فأجمعـــه ولســـتُ للعِـــرض أن أودى بمحتـــال

والفقـــر يُـــزري بـــأقوام ذوي حســـب ويُقتـــدى بلئـــام الأصـــل أنـــذال

ومن شعر حسان في الفخر:

وكنـــا ملـــوك النـــاس قبـــل محمـــدٍ فلمـــا أتـــى الإســـلامُ كـــان لنـــا الفضـــلُ

وأكرمنـــا الله الـــذي لـــيس غيـــره إلـــهٌ بأيـــام مضـــت مـــا لهـــا شـــكل

ومن شعر حسان في المناظرة ، وذلك عندما أنشد الزبرقان بن بدر التميمي قوله:

نحـــن الكـــرام ، فـــلا حـــيٌ يُعادلنـــا منـــا الملـــوكُ ، وفينـــا يقســـم الربُـــع

فقال النبي - صلى الله عليه وسلم – قم يا حسان ، فأجب الرجل فيما قال. فأنشد حسان مناظراً:

إن الـــذوائب مـــن فهـــر وإخـــوتهم قـــد بينـــوا سُـــننا للنـــاس تتبـــعُ

يرضـــى بهـــا كـــل مـــن كانـــت ســـريرته تقـــوى الإلـــه ، وبـــالأمر الـــذين شـــرعوا

قـــــومٌ إذا حـــــاربوا ضـــــروا عـــــدوهمُ أو حـــاولوا النفـــع فـــي أشـــياعهم نفعـــوا

فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله ، قال الأقرع بن حابس (وهذا قبل إسلامه): وأبي (يقسم هنا بأبيه) إن هذا خطيبه (أي حسان) أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، وأصواتهم أعلى من أصواتنا. فلما فرغ القوم من المناظرة أسلموا وجوّزهم رسول الله (أي أعطاهم الجوائز). فأحسن جوائزهم – صلى الله عليه وسلم). ومن شعر حسان في مدح النبي - صلى الله عليه وسلم:

وأحســـنُ منـــك لـــم تـــر قـــط عينـــي وأجمـــلُ منـــك لـــم تلـــد النســـاءُ

خلقـــتَ مُبـــرأ مـــن كـــل عيـــب كأنـــك قـــد خلقـــتَ كمـــا تشـــاء

ومن شعر حسان في الذود عن النبي – عليه السلام –: عندما هجا أبو سفيان بن الحارث نبي الله:

ألا أبلـــغ أبـــا ســـفيان عنـــي فأنـــت مجـــوفٌ نخـــب هـــواءُ

بـــأن ســـيوفنا تركتـــك عبـــداً وعبـــد الـــدار ســـادتها الإمـــاء

هجـــوت محمـــداً فأجبـــت عنـــه وعنـــد الله فـــي ذاك الجـــزاء

أتهجـــوه ، ولســـت لـــه بكـــفءٍ؟ فشـــركما لخيركمـــا الفـــداء

هجـــوت مباركـــاً بـــراً حنيفـــاً أمـــين الله ، شـــيمته الوفـــاء

فمـــن يهجـــو رســـول الله مـــنكم ويمدحـــه وينصـــره ســـواء

فـــإن أبـــي ووالـــده وعِرضـــي لعِـــرض محمـــدٍ مـــنكم وقـــاء

* ولقد أجمع النقاد والمحققون والمنصفون من المستشرقين على أن شعر حسان في جملته كان على أربعة أنحاء ، اثنان منها في الجاهلية شعره القبلي ومدحه الغساسنة. وفي الإسلام مدحه للرسول – صلى الله عليه وسلم - وهجاؤه النضالي. فأما شعره الذي كان في الجاهلية فالقبلي منه انصرف فيه حسان للذود عن قومه بالمفاخرة بهم وبمآثرهم وبمناقبهم ، وذلك بسبب روح العداء المستحكم الذي ينشب من حين لآخر بين قبيلتي الاوس والخزرج. وأما شعره الغساني في مدح البلاط الغساني ، فمدح أمراءهم وحكامهم وملوكهم ، ومنه قوله:

يســـقون مـــن ورد البـــريص علـــيهمُ بـــردى يصـــفق بـــالرحيق السلســـلِ

بـــيض الوجـــوه كريمـــة أحســـابهم شـــم الأنـــوف ، مـــن الطـــراز الأول

وأما شعر حسان في الاسلام فمنه مدح النبي – صلى الله عليه وسلم – فجعل مشربيته في الذود عن الإسلام مدح النبي وآله الأطهار الأبرار. فانبثق مدحه عن عقيدة وتوحيد وحب للنبي لا عن رغبة في التكسب والارتزاق والعطايا. ويلحق بهذا الشعر رثاء النبي – صلى الله عليه – ومراثي أهل بيته. وديوان حسان ملئ بهذه المراثي. وأما هجاء حسان النضالي ، فقد هجا قريشاً وكل من يناوئ دعوة الرسول وينال منها. واتخذ اسلوب التشفي في المناوئ. حيث يفصل هذا الدعي عن الدوحة القرشية ويجعله دعيا لجأ إلى قريش كعبد ، ثم يذكر نسبه لأمه فيطعن به طعناً أشد ما يكون الطعن. ثم يصوب سهام الشعر إلى أخلاق هذا المناوئ ، فيمزقها تمزيقاً ويصفه بالبخل والجبن والفرار من لقاء خصومه وغير ذلك من مساوئ الأخلاق وعيوب الرجال ومثالبهم.

* ومن شعره في رثاء النبي – صلى الله عليه وسلم -:-

ما بال عينك لا تنام ، كأنما كحلت مآقيها بكحل الأرمدِ

جزعاً على المهدي ، أصبح ثاوياً يا خير من وطئ الحصى لا تبعد

فضللتُ بعد وفاته متلبداً متلدداً يا ليتني لم أولد

ومن شعر حسان أيضاً في رثاء النبي - عليه الصلاة والسلام -:

كان الضياء ، وكان النور يتبعه بعد الإله ، وكان السمعَ والبصرا

فليتنا يوم واروهُ بملحدهِ وغيّبوه ، وألقوا فوقه المدرا

لم يترك الله منا بعده أحداً ولم يُعشْ بعده أنثى ولا ذكرا

ومن رثاء حسان في أبي بكر الصديق – رضى الله عنه -:-

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقةٍ فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

التاليَ الثانيَ المحمود شيمته وأول الناس طراً صدق الرسلا

والثاني اثنين في الغار المنيف وقد طاف العدوُ به إذا صعد الجبلا

خير البرية أتقاها وأرأفها بعد النبي ، وأوفاها بما حملا

ومن شعر حسان في رثاء عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه -:

وفجعنا فيروز ، لا در دره بأبيض يتلو المُحْكمات منيبِ

رؤوف علـــى الأدنـــى غلـــيظ علـــى العِـــدا أخـــــي ثقـــةٍ فـــــي النائبـــــات نجيـــب

ومن رثائه في ذي النورين عثمان - رضى الله عنه تعالى - كذلك:

مـــن ســـره المـــوت صـــرفاً لا مـــزاج لـــه فليـــأتِ مأســـدة فـــي دار (عثمانـــا)

ضـــحوا بأشـــمط عنـــوانُ الســـجود لـــه يقطـــع الليـــل تســـبيحاً وقرآنـــا

لتســـمعن وشـــيكاً فـــي ديـــارهمُ الله أكبـــر ، يـــا ثـــارات عثمانـــا

ومن شعر حسان في رثاء علي - رضى الله تعالى عنه -:-

أبـــا حســـن تفـــديك نفســـي ومُهجتـــي وكـــل بطـــئ - فـــي الهُـــدى - ومســـارع

أيـــذهب مـــدحي والمحبـــين ضـــائعاً ومـــا المـــدحُ فـــي ذات الإلـــه بضـــائع

فأنـــت الـــذي أعطيـــت إذ أنـــت راكـــعٌ فـــدتك نفـــوسُ القـــوم يـــا خيـــر راكـــع

* وأكتفي إلى هذا الحد من الحديث عن شاعرنا القدير حسان بن ثابت. وأشير إلى أنه دفن بالبقيع فى المدينة المنورة ، وذلك في خلافة معاوية - رضي الله عنه – وليس الصحابي حسان مدفوناً في مصر كما طالعت في بعض الكتب. وإننا لنرجوالله أن يجعل ولدنا مثل حسان فيتبنى تراث أبيه من الشعر ، ويخلفه على هذا الشعر تنقيحاً ونشراً. وإن كنت وأمه قد رجونا بُنية بعد الأولاد الستة ، ولكنها إرادة الله ، والله غالب على أمره. وصدق الشاعر عباس محمود العقاد عندما قال مبكتاً:

صـــــغيرٌ يطلـــــب الكِبَـــــرا وشـــــيخ ودّ لـــــو صـــــغرا

وخـــــال يشـــــتهي عمـــــلاً وذو عمـــــل بـــــه ضـــــجرا

ورب المـــــال فـــــي تعـــــب! وفـــــي تعـــــب مـــــن افتقـــــرا

وذو الأولاد مهمـــــــــــــــومٌ وطـــــالبهم قـــــد انفطـــــرا

ومَـــــن فقـــــد الجمـــــال شـــــكى وقـــــد يشـــــكو الـــــذي بُهـــــرا

ويشـــــقى المـــــرء منهزمـــــاً ولا يرتـــــــاح منتصـــــــرا

ويبغـــــي المجـــــد فـــــي لهـــــفٍ فـــــإنْ يظفـــــرْ بـــــه فتـــــرا

شُـــــكاة مـــــا لهـــــم حَكَـــــمٌ ســـــوى الخصـــــمين إن حضـــــرا

فهـــــل حـــــاروا مـــــع الأقـــــدا رِ؟ أم هـــــم حيّـــــروا القـــــدرا؟!

وأكتفي رغم الإطالة التي أعتذر عنها. هذا ، وإنني لأسأل الله – عز وجل – أن يكون ولدنا حسان بن أحمد علي سليمان عبد الرحيم في مكانة حسان بن ثابت الأنصاري رضى الله عنه من أهل زمانه. أو يكون مثل شاعر آخر من شعراء الصحابة يدعى حسان كذلك وهو حسان بن عبد الله الجعدي العامري ، والذي يعتبر أحد القدماء المعمّرين المخضرمين ووصاف الخيل المشهورين ، وأحد أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – الغر المحجلين. والغريب أن هذا الشاعر عُرف بالنابغة الجعدي المكنى بأبي ليلى ، وأما اسمه فكما ذكرنا حسان . نبغ في الشعر في الجاهلية ، وأدرك الإسلام وحسن إسلامه واستمع منه النبي – صلى الله عليه وسلم – من قصيدةٍ له في الفخر: (بلغنا السما مجدنا وجدودنا وإنا لنرجو - فوق ذلك – مظهرا)!
فقال له النبي: فأين المظهر يا أبا ليلى؟ قال: الجنة. فقال له: إن شاء الله ، ولما أتم قصيدته تلك قال له الرسول: أجدت لا يَفضض اللهُ فاك. فأتت عليه مائة سنة وقيل مائة وثمانون وما نفضت من فيه سن. وذلك ببركة دعاء رسول الله. اللهم اجعل لولدنا (حسان) من شعر الإسلام والمسلمين نصيباً. ولكني أردت أن أعْلِم ولدي لماذا أسميته (حسان) وأعرّفه بحقائق عن حسان بن ثابت.)

42 - إله واحد ودين واحد يا أستاذ الجامعة!

(حكى يحيى بن أبي طالب: فقال سمعت أبا داود يقول: كنت يوما بباب شعبة ، وكان المسجد قد مُلأ ، فخرج شعبة فاتكأ عليّ وقال: يا سليمان ترى هؤلاء كلهم يخرجون محدثين. قلت: لا. قال: صدقت ، ولا خمسة ، يكتب أحدهم في صغره ثم إذا كبر تركه أو يشتغل بالفساد ، قال: ثم نظرت بعد ذلك فما خرج منهم خمسة. وقال سهل بن بشر: حدثنا سليم أنه كان في صغره بالري ، وله نحو من عشر سنين ، فحضر بعض الشيوخ وهو يلقن ، قال فقال لي: تقدم فاقرأ ، فجهدت أن أقرأ الفاتحة فلم أقدر على ذلك لانغلاق لساني ، فقال لك والدة. قلت: نعم ، قال: قل لها: تدعو لك أن يرزقك الله قراءة القرآن والعلم ، قلت: نعم ، فرجعت فسألتها الدعاء فدعت لي ، ثم إني كبرت ودخلت بغداد فقرأت بها العربية والفقه ثم عدت إلى الري ، فبينا أنا في الجامع أقابل مختصر المزني ، وإذا الشيخ قد حضر وسلم علينا وهو لا يعرفني فسمع مقابلتنا وهو لا يعلم ماذا نقول ، ثم قال: متى يُتعلم مثل هذا فأردت أن أقول إن كانت لك والدة ، فقل لها تدعو لك فاستحييت. ولقد كان أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خير معلمين لمن أراد التأسي والتعلم والاقتداء. قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - (من كان متأسياً فيتأس بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، وأقومها هدياً ، وأحسنها حالاً ، اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم في أثارهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم). وحبذا المعلم الصادق. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا). رواه مسلم. وعلى المعلم أن يكون قدوة في العمل الصالح. قال النبي صلى الله عليه وسلم: (... ورجل تعلم العلم وقرأ القرآن

، فأتي به ، فعرفه نعمه ، فعرفها فقال : ما عملت فيها ، قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن ، قال : كذبت ، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم ، وقرأت القرآن ليقال قارئ فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ... الحديث). أخرجه مسلم والنسائي وأحمد والترمذي. إنه في إحدى الجامعات العربية ، قرر أحد الأساتذة من غير المسلمين كتاباً على طلابه وطالباته يحتوى على فقرة مليئة بالسموم ، تذهب إلى أن الأديان كلها شيء واحد وأن الإله: (راما) هو عين الإله (الرحيم) ، وتعالى الله عما يقولون علوا كبيرا. وها أنذا أورد صفحة من كتابه وألخص محتواها والفكرة العامة بها! وذلك لئلا يكون لأحد استدراك:

" One Religion is as true as another! "

Down the ages men have preached and advocated the equality of all religions. The great Sufi poet Kabir preached similarity of purpose in Islam and Hinduism. He insisted that Rama and Rahim were same Akbar the great Mughal emperor، possessed the same wisdom and discussions with priests of all religions. In our time we had Gandhi who، like his predecessors، believed that all religions were merely different paths leading to one destination -The Almighty God who created this earth. But in spite of this، men have been unable to overcome their prejudices about others' religious beliefs. In ancient time bloody battles were fought in the name of religion and called crusades and Jihad. The intolerance and contempt for each other، religion continues and today there are riots between different religious communities injuring and killing many. Driven by religious fanaticism these men forget that the basic message of all religions in the same: peace، love and brother hood.

(إن الأديان كلها شيء واحد. وأن الإله راما لا يختلف كثيراً عن الإله الرحيم ، وأن الأديان المتعددة تذهب السلوك ، وتدعو معتنقيها إلى السلام والخير في الأرض. وإن كان يدعو إلى ذلك إله واحد للجميع ، وإن تعددت صوره. ويكون الدين كله شيء واحد ، مادام يدعو إلى شيء واحد. إن رسالة الأديان كلها إشاعة السلام والحب والأخوة ، فلا داعي للتفرقة والقول بالاختلاف.) واضح اعتقاد الأستاذ جداً. ورحت أرد عليه بقولي: إله واحد ودين واحد. وأسأل إلى متى هذا الصنف من الأساتذة الكفار (عرباً أو عجَماً) يدرسون ويدسّون سموم العلمانية في أبنائنا وبناتنا؟ والله أذكر أننا في كلية الآداب عانينا من مثل هذا في ثمانينات القرن الغابر المنصرم! وكنت أقول بحديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في مدرجات المحاضرات وقاعاتها ، وكأنني أفاجئ أساتذة وطلاباً بدين جديد ونبي جديد وقرآن جديد! وتحمّلنا وصبرنا ، حتى أنهينا فترة البلاء تلك. على أن الذين كانوا يدرسوننا الأدب الإنجليزي كان أغلبهم مصريين مسلمين ولو بالتسمي! وفي مسجد الكلية كنا نراهم يأتون للصلاة معنا! وإن عطس أحدنا وحمد لله ، كان جُل الأساتذة يبادرون بقولهم (يرحمكم الله). فواعجباً من مثل هذا الخلط والتخليط! إن أستاذ الجامعة يجب أن يُختار اختياراً دقيقاً حتى تثمر العملية التعليمية ، ويكون هناك كوادر بشرية يمكن لها أن تقود مسيرة الحياة في مختلف الأصعدة.)

43 - الهجرة النبوية نقطة تحول!

(في ذكرى الهجرية النبوية - على صاحبها أتم الصلوات وأزكى التسليم – وهنا في (المدرسة الوطنية بعجمان ، طلب مني الأستاذ محمد عبد الحكم من كِرام أهل (ظفر) ، معلم التربية الإسلامية بالمدرسة ، أن أنشد الشعر في ذكرى الهجرة النبوية. فاعتذرت بادئ ذي بدء لأنني لست شاعراً صانعاً يمتطي جواد شعره أينما أراد ووقتما شاء ، كما أنني لست شاعر احتفالات أو خطيب مناسبات كلما عنت مناسبة امتطى صهوة جوادها وركب موجتها لينشد أو ليخطب! وإلا فسيكون الشعر تقطيعاً وأوزاناً كما قال الشاعر. فألحّ الأستاذ عبد الحكم للمرة الثانية فاعتذرت! وفي المرة الثالثة غلبني بإلحاحه حيث أحرجني بقوله: (اكتب لخاطر النبي – صلى الله عليه وسلم -)! فأنشدت هذه المعلقة في ذكرى الهجرة المباركة إجلالاً لمقام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فداه أبي وأمي وولدي ومالي وشعري وما ملكت يدي! وكان أن ارتجلت أبيات عشرة فقط لأن موعد إذاعة الأستاذ بعد نصف يوم من كلامه معي! الأمر الذي لا يكاد يكفي حتى لتصفح الديوان للإتيان بقصيدة عن الهجرة! فاخترت لنفسي أن أمتحن قدرتي على الإنشاد بين يدي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبعد أن سلمت الأبيات العشرة للأستاذ استحيت من نفسي ، إذ إنني أنشدت الكثير والكثير ، فكيف بي لا أزيد على عشرة أبيات في هجرته – صلى الله عليه وسلم -؟ ثم مرّت أيام علي في هذا العتاب وذلك التأنيب ، حتى جاد الله عليّ بستين أخرى ليكتمل عدد أبيات القصيدة سبعين ، ولله الحمد والفضل والمنة ، ومنه السداد والتوفيق ، وأسأل الله أن يأجرني عليها شفاعة نبيه في وفي أهلي أجمعين يوم العرض الأكبر! إنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه. وتحت عنوان: (الهجرة دروس وعبر) يقول الأستاذ سامي بن خالد الحمود بتصرف بسيط: (ومن مكة تنطلق ركائب المهاجرين ، ملبيةً نداء ربها ، مهاجرةً بدينها ، مخلفةً وراءها ديارها وأموالها. ويهم أبو بكر بالهجرة فيستوقفه الرسول صلى الله عليه وسلم ويقول: لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً. وعلى الجانب الآخر تشعر قريش بالخطر الذي يهدد كيانها بهجرته عليه الصلاة والسلام إلى المدينة ، فتعقد مؤتمراً عاجلاً في دار الندوة (برلمان مكة) للقضاء على محمد قبل فوات الأوان. ويحضر الشيطان معهم على صورة شيخ نجدي! قال بعضهم: احبسوه في الحديد حتى يموت ، وقال بعضهم: أخرجوه وانفوه من البلاد ، وبعد أن قوبل هذان الاقتراحان بالرفض تقدّم فرعون هذه الأمة أبو جهل برأي خبيثٍ ماكر فقال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتىً شاباً جليداً نسيباً ثم نعطي كل فتىً منهم سيفاً صارماً ، فيضربون محمداً ضربة واحدة فيقتلوه ، فيتفرق دمه في القبائل. فأعجب القوم بهذا الرأي حتى إن الشيطان الذي لم يستطع الإتيان بمثله أيده وقال: القول ما قال الرجل هذا الرأي لا أرى غيره. ووافقت القبائل على هذا القرار الغاشم بالإجماع وبدأوا في التنفيذ. (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين). وينزل جبريل فيخبر النبي صلى الله عليه وسلم بتلك المؤامرة ويقول: يا محمد لا تبِت في فراشك الليلة. وفي بيت أبي بكر كان أبو بكر جالساً مع أهله في الظهيرة ، إذ أقبل النبي عليه الصلاة والسلام متقنعاً مغطياً رأسه ، ففزع أبو بكر لأنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يأتيهم في تلك الساعة. ويدخل النبي عليه الصلاة والسلام فيقول: يا أبا بكر أخرج من عندك. قال أبو بكر: إنما هم أهلك يا رسول الله. قال: فإني قد أذِن لي في الخروج. قال أبو بكر: الصحبة بأبي أنت يا رسول الله. فقال: نعم. فبكى أبو بكر. وروي عن عائشة أنها قالت: فما شعرتُ أن أحداً يبكي من الفرح ، حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ. قال أبو بكر: فخذ - بأبي أنت وأمي يا

رسول الله - إحدى راحلتي هاتين. فقال له صلى الله عليه وسلم: بالثمن. ثم يعود النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيته ويعرّف علياً بالأمانات التي عنده ليؤديها إلى أهلها. وفي ظلمة الليل يجتمع المجرمون ويطوقون منزله عليه الصلاة والسلام. وفي هذه الساعة الحرجة يأمر النبي صلى الله عليه وسلم علياً أن يبيت في فراشه وأن يغطي رأسه ببُرده الحضرمي. ويفتح النبي عليه الصلاة والسلام الباب ، ويخترق صفوف المجرمين ، ويمشي بين سيوفهم وهم مع هذا لا يرونه ، ثم يأخذ من تراب الأرض ، ويذرّه على رؤوسهم الواحد تلو الآخر ، ثم يمضي بحفظ الله ورعايته ، وبات علي - رضي الله عنه - في فراشه صلى الله عليه وسلم وغطى رأسه والمجرمون ينظرون من شق الباب ، يتهافتون أيهم يضرب صاحب الفراش بسيفه. وفي الصباح يكتشف المجرمون فشلهم ، فيعودون وهم ينفضون التراب عن رؤوسهم. وسمعت قريش بالخبر فجُن جنونها ، وثارت ثائرتها ، فوضعت جميع طرق مكة تحت المراقبة المشددة وأعلنت عن جائزة كبيرة قدرها مائة ناقة لمن يعيد محمداً أو أبا بكر حيين أو ميتين. وفي بيت أبي بكر كان آل أبي بكر على موعد مع حدثين. أما الحدث الأول فقد انطلق نفر من قريش إلى بيت أبي بكر فقرعوا الباب ، فخرجت إليهم أسماء فقالوا لها: أين أبوك؟ قالت: لا أدري. فرفع أبو جهل يده فلطم خدها لطمة شديدة حتى سقط قرطها من أذنها. وأما الحدث الثاني فقد كان أبو بكر خرج بكل ماله خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأقبل والده أبو قحافة ، وكان شيخاً قد ذهب بصره ، فدخل على أسماء وقال: والله إني لأراه فجعكم بماله مع نفسه (يعني ولده أبا بكر). فقالت أسماء: كلا يا أبت إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً ، وأخذت أحجاراً ثم وضعت عليها ثوباً ، ثم أخذت بيده وقالت: ضع يدك على هذا المال. فلما وضعها قال: إن كان ترك لكم هذا فقد أحسن. كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم أن قريشاً ستجدّ في الطلب شمالاً باتجاه المدينة. فاتجه هو وصاحبه جنوباً إلى غار ثور على طريق اليمن. ولما انتهيا إلى الغار روي أن أبا بكر دخل الغار وسد جحوره بإزاره حتى بقي منها اثنان فألقمهما رجليه. ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونام في حِجر أبي بكر. وبينما هو نائم إذ لُدغت رِجْلَ أبي بكر من الجحر فتصبّر ، ولم يتحرك مخافة أن ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم من نومه ، لكن دموعه غلبته ، فسقطت على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستيقظ ليرى صاحبه قد لدغ قال: يا أبا بكر مالك. قال: لدِغتُ فداك أبي وأم. فتفل صلى الله عليه وسلم على رجله فبرأت في الحال. وأما عن دور عبد الله بن أبي بكر فهو شاب ذكي نبيه بطل من أبطل الصحابة. كان يصبح مع قريش فيسمع أخبارها ومكائدها ، فإذا اختلط الظلام تسلل إلى الغار ، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم الخبر ، فإذا جاء السحَر رجع مصبحاً بمكة. وكانت عائشة وأسماء يصنعان لهما الطعام ، ثم تنطلق أسماء بالسُفرة إلى الغار ، ولما نسيت أن تربط السفرة شقت نطاقها فربطت به السفرة ، وانتطقت بالآخر فسميت بـ (ذات النطاقين). ولأبي بكر راعٍ اسمه عامر بن فهيرة ، فكان يرعى الغنم ، حتى يأتيهما في الغار فيشربان من اللبن ، فإذا كان آخر الليل مر بالغنم على طريق عبد الله بن أبي بكر عندما يعود إلى مكة ليخفي أثر أقدامه. واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً كافراً اسمه عبد الله بن أريقط وكان هادياً خرّيتاً ماهراً بالطريق ، وواعده في غار ثور بعد ثلاث ليال. وأعلنت قريش حالة الطوارئ وانتشر المطاردون في أرجاء مكة ، كلهم يسعى للحصول على الجائزة الكبيرة (مائة ناقة). وصل بعض المطاردين إلى الجبل وصعدوه ، حتى وقفوا على باب الغار ، فلما رآهم أبو بكر قال: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا. لو أن أحدهم طأطأ بصره لرآنا. فقال

له صلى الله عليه وسلم: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا). مكث عليه الصلاة والسلام وصاحبه في الغار ثلاثة أيام ولما خَمَدت نار الطلب جاءهما عبد الله بن أريقط في الموعد المحدد ، فارتحلوا وسلكوا الطريق الساحلي. وفي مشهد من مشاهد الحزن ، يقف عليه الصلاة والسلام بالحَزْوَرة على مشارف مكة ليلقي النظرة الأخيرة على أطلال البلد الحبيب. بلد الطفولة والذكريات. يخاطب مكة ويقول (على فرض صحة الحديث): أما والله إني لأعلم أنك أحب بلاد الله إليّ ، وأكرمها على الله ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت. وفي الطريق يمر عليه الصلاة والسلام بديار بني مدلج ، وإذا سُراقة بن مالك جالس في مجلس من مجالس قومه ، فيقول أحدهم: إني رأيت أَسودِة بالساحل أراها محمداً وأصحابه. ففطن سُراقة للأمر ، لكنه أراد أن يستأثر بالجائزة فقال للرجل: إنهم ليسوا هم ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً. ثم لبث سراقة قليلاً ، ثم قام إلى منزله ، ولبس سلاحه وانطلق مسرعاً في أثر الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه. ويبصر سراقة النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه ، فيدنو منهما ، ويسمع قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن ولا يلتفت. يلتفت أبو بكر فيرى سراقة فيقول: يا رسول الله أُتِينا. يرفعُ النبي صلى الله عليه وسلم يديه وهو ماضٍ في طريقه لا يلتفت ويقول: اللهم اكفناه بما شئت ، اللهم اصرعه. وكان سراقة يجري بفرسه على أرض صلبة فساخت قدما فرسِه في الأرض ، وكأنما هي تمشي على الطين ، فسقط عن فرسه ، ثم قام وحاول اللحاق بهما ، فسقط مرة أخرى ، فنادى بالأمان فتوقف عليه الصلاة والسلام ، وركب سراقة فرسه حتى أقبل عليه وأخبره خبر قريش ، وسأل النبي عليه الصلاة والسلام أن يكتب له كتاباً فأمر عامر بن فهيرة أن يكتب له وقال له: أَخفِ عنا. فرجع سراقة كلما لقي أحداً ردّه وقال: قد كفيتم ما ههنا. فكان أول النهار جاهداً على النبي صلى الله عليه وسلم وكان آخر النهار مدافعاً عنه! فسبحان مغير الأحوال. وفي الطريق يمر الركب المبارك بخيمتي أم معبد فيسألها النبي صلى الله عليه وسلم الطعام فتقول: والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى والشاء عازب والسنة شهباء! يلتفت عليه الصلاة والسلام وإذا شاة هزيلة في طرف الخيمة فيقول: ما هذه الشاة يا أم معبد؟ فتقول له: هذه شاة خلفها الجهد عن الغنم! قال: أتأذنين أن أحلبها. قالت: نعم إن رأيت بها حلباً. فدعا صلى الله عليه وسلم بالشاة ، فمسح على ضرعها ودعا فتفجرت العروق باللبن فسقى المرأة وأصحابه ثم شرب صلى الله عليه وسلم ، ثم حلب لها في الإناء وارتحل عنها. وفي المساء يرجع أبو معبد إلى زوجته ، وهو يسوق أمامه أعنزه الهزيلة. يدخل الخيمة وإذا اللبن أمامه ، فيتعجب ويقول: من أين لك هذا؟ فتقول له: إنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت. وفي المدينة سمع الأنصار بخروجه عليه الصلاة والسلام ، فكانوا لشدة تعظيمهم له وفرحهم به وشوقهم لرؤيته يترقبون قدومه ليستقبلوه عند مدخل المدينة ، فيخرجون بعد صلاة الفجر إلى الحرة على طريق مكة في أيام حارة ، فإذا اشتد حر الظهيرة عادوا إلى منازلهم. فخرجوا ذات يوم ثم رجعوا عند الظهيرة إلى بيوتهم. وكان أحد اليهود يطل في هذه الأثناء من أطم من آطامهم ، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مقبلين نحو المدينة ، فلم يملك اليهودي أن صاح بأعلى صوته: يا معشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرون. فثار المسلمون إلى السلاح وكان يوماً مشهوداً ، وسمعت الرجة والتكبير في بني عمرو بن عوف ، وكبر المسلمون فرحاً بقدومه وتلقوْه وحيوه بتحية النبوة وأحدقوا به مطيفين به ، والسكينة تغشاه والوحي ينزل عليه (فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير).هـ. لقد كانت هجرة النبي – صلى الله عليه وسلم نقطة تحول كبيرة في تاريخ الإسلام والمسلمين! وتم

بعدها تثبيت دعائم دار الإسلام ، وأعز الله الإسلام والمسلمين عزة كانوا يفتقدونها في عصر الاستضعاف المكي! وأرى أن الكتاب والأدباء والشعراء ما وفوها حقها من الكتابة عنها من منظور عقدي وتوحيدي ، بل كان جُل ما كتب عن هجرة خير الأنام – عليه الصلاة والسلام – من قبيل السرد التاريخي القصصي! وأرى أن يشمر هؤلاء عن سواعد الجد ويتناولوا الهجرة النبوية في مقالاتهم وكتاباتهم وقصائدهم من ناظرين إليها مشربية العقيدة والتوحيد! وليحتسبوا الأجر عند الله الذي لا يضيع أجر من أحسن عملاً! إن الاحتساب عمل قلبي ، لا محل له في اللسان ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا بأن النية محلها القلب... وأنت أيها الشاعر عندما تكتب تحتسب الأجر من الله ذلك يعني أنك تطلبه منه تعالى ، والله عز وجل لا يخفى عليه شيء قال الله تعالى: {قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ}. والعمل لا بد فيه من النية. فالذي يحتسب وينوي بعمله وجه الله فهو لله ، والذي ينوي بعمله الدنيا فهو للدنيا فالأمر خطير جداً. فإن نويت الله والدار الآخرة في أعمالك الشرعية حصل لك ذلك ، وإن نويت الدنيا فقد تحصل وقد لا تحصل. قال تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ}. وإذن فمن الناس من يعطى ما يريد من الدنيا ومنه من يعطى شيئاً منه ومنهم من لا يعطى شيئاً أبدا. وهذا معنى قوله تعالى: {عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ}. أما قوله تعالى: {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً}. فلا بد أن يجني هذا العمل الذي أراد به وجه الله والدار الآخرة. ولعل قصتي هذي تكون أول الغيث! وبعدها تكون انطلاقات الأدباء والكتاب والشعراء إن شاء الله تعالى!)

44 - الوجدانُ العقيم

(إن كل شاعر لا يعيش حقيقة واقعه ليس بشاعر. وكذلك من يتصنع إحساساً ليس له. ويعيش في دور ليس له ، إنما هو يرتدى جلباباً ليس له. الذى يصنع من ليلاه وثناً يتعبده ليل نهار ليس بشاعر ، وإن عج نتاجه الأدبي بالإيحاء ات والصور ، وإن كان له من الشعر المجلدات ، إنما الشاعر الحق الذى يربط شاعريته بواقعه ويعيش للقيم. وهذا الصنف من المستشعرين ، لا أقول الشعراء ، يذكرنا بسارقي المشاعر ، من الذين يسرقون قصائد الشعراء وينسبونها لأنفسهم! ويوماً كنتُ واحداً من الذين يكتبون القصائد ويعلقونها على جدران كلية الآداب بجامعة المنصورة في ركن الأدب! فإذا بي أجد من يسرقها ، وقد كتب اسمه عليها ، وبعث بها إلى مجلة من المجلات ، أو إلى جريدة من الجرائد أو علقها على جدار آخر في كلية أخرى! حتى ليحار القراء: هذه القصيدة لمن؟ للأول أم للثاني؟! ويقول الشيخ صالح الفوزان: (التعالم هو ادعاء العلم: أن يدعي الإنسان العلم. وهو ليس عالماً ولم يسبق له أن تلقى العلم عن العلماء ، وإنما تلقى العلم عن الكتب والمطالعة فقط. وليس عنده قواعد علمية يبني عليها وإنما يطالع في الكتب ويمشي على فهمه وقد يكون ما يخطئ فيه أكثر مما يصيب فيه هذا هو التعالم ! وهو خطر على نفسه وخطر على الناس لأنه يتلاعب بدين الله).هـ. وللشيخ بكر أبو زيد رسالة في ذلك عن التعالم يقول في بعض سطورها: (كم رأينا نزالاً في حلائب العلم ، من رائم للبروز قبل أن ينضج ، فراش قبل أن يبري ، وتزبب قبل أن يتحصرم ، وقد قيل (البداية مزلة) ، وقيل: (من البلية تشيخ الصحفية) ، ويؤثر عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قوله: (العلم نقطة كثرها الجاهلون) ، ولعظيم نفعها تناولها العلماء بالبيان في مؤلفات مفردة منها: (زيادة البسطة في بيان العلم نقطة) للنابلسي ، وللشيخ أحمد الجزائري. وهي

بمعنى قول الغزالي: (لو سكت من لا يعلم لسقط الخلاف). وما يراد بهم هنا إلا (المتعالمون) ، الذين ناموا عن العلم فما استيقظوا وبالغوا قبل أن يبلغوا ، فركبوا مطايا الخير للشر والذين عناهم الإمام الشافعي رحمه الله تعالى بقوله: (فالواجب على العالمين أن لا يقولوا ، إلا من حيث علموا وقد تكلم في العلم من لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه منه لكان الإمساك أولى به ، وأقرب إلى السلامة له بإذن الله).هـ. وإذن فوجدان من يسرقون عقيم!)

45 - الحذر الحذر من الوجدان العقيم

(خدعتْ نفسها تلك الزوجة عندما ادعتْ حب زوجها الذي يحملها على الحق ، وطال ذلك الخداع عليه. ولقد وضح الإِسْلاَمِ الطريق الأمثل إِلَى تَحْقِيقِ نِعْمَةِ الألفة الزوجية وَالأُخُوَّةِ بيْنَ الزوجين ، وَمِنْ ثَمَّ إِلَى تَحْقِيقِ التَّكَامُلِ وَالرُّشْدِ فِي المحافظة على البيوت والأسر. وبيّن الإسلام السبل التي تحقق المودة والرحمة والوحدة والتآلف بين كل زوجين مسلميْن اتبعا منهاجه! وذلك كله ثمرة من ثمرات الاعتصام بحبل الله لإقامة المودة والرحمة بكل ما تعني الكلمتان من معنى. قَالَ تَعَالَى: (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُون) ، وَقَالَ تَعَالَى: (وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ). وإن كان الخطاب في: (واعتصموا) للمسلمين أجمعين ، وفي: (وإن يريدوا) للنبي – صلى الله عليه وسلم - ، إلا أن الأزواج المسلمين لهم من هذه الآيات نصيب كبير. ذلك أن المجتمع المسلم هو في حقيقته مجموعة من الأسر المسلمة. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاَثًا ، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاَثًا ، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ولا تَفَرَّقُوا ، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ». إِنَّ وَحْدَةَ الزوجين والمودة بينهما رِبَاطٌ وَثِيقٌ ؛ لاَ تَنْفَصِمُ عُرَاهُ وَلاَ تَنْفَكُّ عُقْدَتُهُ ، قَامَ عَلَى مَبْدَأِ الدِّينِ والإيمان ، جَعَلَهُ اللهُ صَرْحًا شَامِخًا مُتَمَاسِكًا ؛ لَنْ يُوهِنَهُ بَرْقُ الْمَعَاوِلِ ، أَوْ يُهَدِّدَ أَوْصَالَهُ هُبُوبُ الأَعَاصِيرِ وَالرِّيَاحِ. وهذا متأمل في قوله تعالى: (وأخذن منكم ميثاقا غليظا). وَلَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ والمسلمات فِي الْعُصُورِ الذَّهَبِيَّةِ الأُولَى إِخْوَةً مُتَحَابِّينَ ، وَأَوْلِيَاءَ مُجْتَمِعِينَ ، قبل مسألة الزوجية ، فإذا بالزوجية تزيد الأمر قوة واعتصاما. فلاَ يَنْزِعُ أَحَدُهُمْ يَدَهُ مِنْ يَدِ زوجته ، أَوْ يُعْرِضُ عَنْهُا ، أَوْ يَنْأَى بِجَانِبِهِ ، لِيَعِيشَ وَحْدَهُ بعيداً عن مأوى الزوجية كما نلمس اليوم ؛ وكذلك الزوجة لا تستنكف عن طاعة زوجها ولا تغادر بيت زوجها دون إذنه ، ولا تستعين بأهلها على زوجها. وَإِنْ خَالَفَهُا وَعَارَضَهُا فِي رَأْيِ ارتأته ، بَلْ كَانُ كل من الزوجين مِثَالاً في المودة والرحمة ، وَلَوْ عَلَى حِسَابِ رَاحَتِهِما الشخصية ، ذلك أن كلا منهما يضحّي ويتنازل عن جزء كبير من حقه الشخصي ليتحقق الحق العام ، مُسْتَجِيبِينَ لِهَدْيِ سَيِّدِ الْخَلْقِ إِذْ يَقُولُ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» ؛ ولما كانت الأسر في الماضي هكذا ، لاَنَتْ لَهُمُ الدُّنْيَا ، يَجُوبُونَهَا نَشْرًا لِلْخَيْرِ وَالْقُوَّةِ وَالْحِكْمَةِ. وَإِذَا كَانَ هَذَا وَاقِعَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَزْهَى عُصُورِهِمْ ، فَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ فِي أَعْقَابِ الزَّمَنِ وَبِخَاصَّةٍ فِي زَمَانِنَا هَذَا ؛ وَقَدْ تَتَالَتْ عَلَيْهِمُ الْفِتَنُ وَالْمِحَنُ ، هُمْ فِي أَمَسِّ الْحَاجَةِ إِلَى تَشْيِيدِ مُجْتَمَعَاتِهِمْ ، وَبِنَاءِ صَرْحِ حياتهم عَلَى الأَمْثِلَةِ الرَّفِيعَةِ الرَّشِيدَةِ الَّتِي ضَرَبَهَا السَّلَفُ فِي التَّمَاسُكِ وَالتَّضَامُنِ وَالتَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ

وَالتَّقْوَى والخير. لاَ بُدَّ للزوجين من أن يعلما أن رِعَايَةِ شُؤُونِ الأبناء وَمَصَالِحِهِمْ ، يُفسدها التَّنَازُعَ وَالاخْتِلافَ وَفَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ ، تلك الطوام التي تضْعِفُ الأَقْوِيَاءَ ، وَتهْلِكُ الضَّعَفَةَ وَالفُقَرَاءِ ، بَيْنَمَا التَّعَاضُدُ وَالألفة والمودة والرحمة وَإِصْلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ يَصْنَعُ النَّصْرَ وَالْقُوَّةَ وَالتَّمْكِينَ. قَالَ تَعَالَى: (وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ). وَقَالَ رَسُولُ اللهِ: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ: إِصْلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ» [رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ - وَالتِّرْمِذِيُّ صَحِيحٌ]. ولقد يهدي الله قوماً يتدخلون للإصلاح بين زوجين ، أشرفا على الطلاق فيقول أحدهم: الزم عباءتها ، واسمع كلامها مادام في طاعة الله ورسوله ، وتنازل عن الكثير من حقك ، لحماية البيت وصيانة الأبناء السبعة خشية أن تفشل وتنفصم عُرى الزوجية وتذهب المودة والرحمة بينكما أدراج الرياح! ويزيد ذلك الطرف الأمر وضوحاً فيقول مخاطباً الزوج الرجل وهو ابنه: يا بُني ، حياة مهرجلة خير لك ولأبنائك من طلاق وخراب وفشل! على حين يُحرَم أحدهم التوفيق والرشد ، وهو صهر الزوج ، فيقول في ذات الموقف: (نحن جاهزون للطلاق ، فهل أنت جاهز؟). إن هذه المواقف تحتاج إلى رويَّة وتوأدة وحكمة وبُعد نظر! حتى إن أحد فقهاء العربية من أهل الصعيد هنا في تعليمية رأس الخيمة كان من نصيحته لزوجين أشرفا على الطلاق ، فلما علم بذلك وقرأ علامات الحيرة والاضطراب على وجه الزوج أبي الأبناء السبعة: (يا بُني ، إذا استبعرت امرأتك فاستنوق لها! فيرد عليه الزوج الذي أوشك أن يطلق امرأته: أصعيدي تنبض النخوة في عروقه دم أصالة يقول هذا؟ أليس من حل سوى هذا يا أستاذنا؟ فيرد العبقري: لا! فلم يجد الزوج كبير فرق بين ما قال أبوه بالعامية الدارجة ، وما قاله موجه اللغة العربية بالفصحى! فيستكين لصوت الحكمة مؤثراً البيت والزوجة والأبناء! ويتذكر ضرب الفاروق عمر بن الخطاب – رضي الله تعالى عنه – للحكمين بدِرته قائلاً لهما وقد جاءا من التحكيم بين زوجين بخفي حنين يقولان: والله يا أمير المؤمنين لم يصطلحا! فقال الفاروق: صدق الله وكذبتما (إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما). ومن هنا علم الزوج ببصيرته الفذة أن الداخلين بين الزوجين يمكن أن يفسدا العلاقة فقطع على الكل السبيل وأدرك أن أباه ناصح أمين! فأخذ بكلامه واعتمد على الله!)

46 - الوحدة بر الأمان

(تجاذبتْ مجموعة من الفتيات العربيات أطراف الحديث حول البادية والحاضرة. وأخذ كل فريق يُدلي بدَلوه ، ويقرع الحجة بالحجة ، ويضرب الرأي بالرأي ، ويحاول إفحام الخصم بكل وسيلةٍ ممكنة. فحاول فريق البادية الانتصار لما في البادية من قيم ومبادئ وعادات وتقاليد وأعراف عربية أصيلة. ولكن كان ذلك على حساب رفض الحضارة والرقي والعمران والتقدم بصورة مطلقة. بينما حاول فريق المدينة الانتصار للعمران والرقي والتقنية. ولكن غلب ذلك الفريق القبول بما جاءت به الحضارة من الانحطاط والسفول والسقوط ، باعتبار ذلك انعكاساً وإفرازاً لتلك الحضارة وجزءًا لا يتجزأ منها. ثم دارت رحى الحرب بين الفريقين بين مدٍ وجزر حتى جاءت فتاة موفقة للتوسط بين الفريقين بمبادرة مبدعة وحل وسط يتمحور حول قبول كل خير في البادية وكل خير في الحضارة ، شريطة أن تقرّ الشريعة الربانية ذلك الخير. وذلك في محاولة لإعمار الأرض وفق المنهج الرباني كتاباً وسُنة فيكون الدين منهج حياة وتكون الحضارة خادماً له. وجاءت فكرة الفتاة حلقة وصل بين الفريقين فهتف الجميع مثنين عليه

ومؤيدين لها وأنشدن ذلك إقراراً بإعجابهن بتلك الفكرة العظيمة. فخرجت هذه المسرحية الشعرية ذات الفصل الواحد لتعبّر عن كل الذي دار بين الفريقين ، وصغته شعراً لسمو غايته وجمال هدفه وعذوبة محوره. سائلاً المولى العلي القدير أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، لا مجاملة فيه لأحدٍ ولا مفاخرة ولا سُمعة ولا تدشين. وأن يجعله في ميزان كاتبه يوم يلقاه سبحانـه. إنه ولـي ذلك والقادر عليـه.)

47 - الوصِية الخالدة

(مهما حاول المرء أن يقنع نفسه بالرضا عن نفسه فما هو. وإن جد واجتهد في تحقيق ذلك فما هو بمستطيع! وإن لوم النفس دائم الطرق على سندان الضمير. وقد طالبتنا شريعة رب الأرض والسماء تبارك وتعالى بالمحافظة على الضرورات الخمس! قال ابن أمير الحاج: ويقدم حفظ الدين من الضروريات على ما عداه عند المعارضة لأنه المقصود الأعظم ، قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ} ، وغيره مقصود من أجله ، ولأن ثمرته أكمل الثمرات وهي نيل السعادة الأبدية في جوار ربّ العالمين ، ثم يقدم حفظ النفس على حفظ النسب والعقل والمال لتضمنه المصالح الدينية لأنها إنما تحصل بالعبادات ، وحصولها موقوف على بقاء النفس ، ثم يقدم حفظ النسب لأنه لبقاء نفس الولد إذ بتحريم الزنا لا يحصل اختلاط النسب ، فينسب إلى شخص واحد فيهتم بتربيته وحفظ نفسه ، وإلا أهمل فتفوت نفسه لعدم قدرته على حفظها ، ثم يقدم حفظ العقل على حفظ المال لفوات النفس بفواته حتى إن الإنسان بفواته يلتحق بالحيوانات ويسقط عنه التكليف ، ومن ثمة وجب بتفويته ما وجب بتفويت النفس وهي الدية الكاملة ، ثم حفظ المال. قال الشاطبي: فقد اتفقت الأمة بل سائر الملل على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس وهي: الدين والنفس والنسل والمال والعقل ، وعلمها عند الأمة كالضروري ، ولم يثبت لنا ذلك بدليل معين ولا شهد لنا أصل معين يمتاز برجوعها إليه ، بل علمت ملاءمتها للشريعة بمجموع أدلة لا تنحصر في باب واحد. قال عبد الله قادري: وقد سمى صلى الله عليه وسلم الاعتداء على هذه الأمور موبقاً أي مهلكاً ، ولا يكون مهلكاً إلا إذا كان حفظ الأمر المعتدى عليه ضرورة من ضرورات الحياة. فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اجتنبوا السبع الموبقات) قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: (الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات). وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله عصابة من أصحابه: (بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه) فبايعناه على ذلك. والوضوح مع النفس أنقى من الغموض. وجوهر النفس القلب. وهو المضغة التي إن صلحت صلح الجسد كله ، بما في ذلك النفس ، وإن فسدت فسد الجسد كله. بما في ذلك النفس. والحياة من أجل القيم أغلى حياة. ومن هذا المنطلق وجبَ زجر النفس من حين إلى آخر وردعها حتى تستقيم على منهج الله تعالى!)

48 - الوعد الملتهب

(وعدٌ قطعته على نفسي منذ زمن بعيد. ويلتهب العمل به في نفسى كثيراً. هذا الوعد هو عدم النظر لما خوله الله لغيري وخصه به – سبحانه وتعالى – وحده. وأن اهتم بشأني وأمري فقط. وذلك امتثالاً لقوله تعالى: (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى) ، وقوله: (ولا تتمنوا ما فضل اللهُ به بعضكم على بعض ، للرجال نصيب مما كسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ، واسألوا الله من فضله) ، وأيضاً ترغيب نبيه - صلى الله عليه وسلم – في الرضا بالقليل ، وفي الرضا بما قسم الله وفي الرضا بقضاء الله وقدره ، وفي النظر إلى ما هو دوننا ، وليس بالنظر إلى ما هو أعلى منا ، فإن هذا يساعدنا على أن لا نزدري نعمة الله علينا. وعموماً هذا الكلام - نظرياً - يسير للغاية. وأما من الناحية العلمية فهو في غاية الصعوبة إلا أن يعين عليه الله - عز وجل –. قال الله تعالى: (وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ * لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ * وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ * إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا). جاء في تفسير الجلالين ما نصه: (ولا تتمنَّوا ما فضَّل الله به بعضكم على بعض): من جهة الدنيا أو الدين لئلا يؤدى إلى التحاسد والتباغض. «للرجال نصيب»: ثواب «مما اكتسبوا»: بسبب ما عملوا من الجهاد وغيره! «وللنساء نصيب مما اكتسبن»: من طاعة أزواجهن وحفظ فروجهن. نزلت لما قالت أم سلمة: ليتنا كنا رجالاً فجاهدنا ، وكان لنا مثل أجر الرجال. «واسألوا» بهمزة ودونها «الله من فضله» ما احتجتم إليه يُعطكم. «إن الله كان بكل شيء عليماً» ومنه محل الفضل). هـ. وجاء في التفسير الميسر ما نصه: (ولا تتمنوا ما فضَّل الله به بعضكم على بعض ، في المواهب والأرزاق وغير ذلك ، فقد جعل الله للرجال نصيبًا مقدَّرًا من الجزاء بحسب عملهم ، وجعل للنساء نصيبًا مما عملن ، واسألوا الله الكريم الوهاب يُعْطِكم من فضله بدلاً من التمني. إن الله كان بكل شيء عليمًا ، وهو أعلم بما يصلح عباده فيما قسمه لهم من خير). هـ. والمثل القائل: القناعة كنز لا يفنى ، وإن كان مثلاً تردده الألسنة ، وقد تفقهه العقول أو لا تفقهه ، إلا إنني أراه قولاً فصلاً في هذا الباب. وإن كل قانع بالعيش ليس له أن يتطلع إلى ما فيه الناس من بسطة في الرزق ، بل ينشد حقاً ما عند الله سبحانه وتعالى ، فهو خير وأبقى. (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد ، متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد ، لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، نزلاً من عند الله ، وما عند الله خير للأبرار) ، (زيّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) ، (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين ، نسارع لهم في الخيرات؟ بل لا يشعرون). ولقد يكون البسط في الرزق قرينة غضب الله تعالى! فإن الله أعطى فرعون ملكاً وأعطى هامان وزارة وأعطى قارون مالاً ، وأعطى بني إسرائيل ما لم يعط أحداً من العالمين ، فهل كان ذلك منه قرينة رضاه؟! بالطبع كلا وألف كلا. وحرَم الله بعض أنبيائه ورسله وأوليائه وأصفيائه ، يبتليهم ويمتحنهم ، ويرفع درجاتهم ، فهل كان ذلك قرينة غضبه؟! بالطبع كلا وألف كلا. ومن هنا وجب التنبه إلى أن الإغداق بالنعم على عبدٍ ما ليس دليلاً على رضا الله عنه! بل قد يكون كذلك فعلاً ، وقد يكون استدراجاً من الله للعبد!)

49 ـ الوقت كالسيف

(كان علماؤنا يدركون قيمة الوقت ، فهذا ابن حجر يشرح البخاري ، وهذا النووي يشرح مسلماً ، وهذا ابن كثير بمؤلفاته سواء التفسير أو البداية والنهاية. وهذا الإمام فخر الدين الرازي يؤلف كتبا منها التفسير الذي يقع في 30 مجلدا. والإمام النووي مات وعمره 45 سنة وقد ترك من المؤلفات ما لو قسّم على أيام حياته لكان لكل يوم أربع كراريس. والإمام ابن تيمية ترك 300 مجلداً. والإمام الذهبي وكتبه العملاقة التي منها سِيَر أعلام النبلاء. والإمام السرخسي بمؤلفاته الكثيرة. والإمام ابن رجب الذي لا تكاد مؤلفاته تعد أو تحصى. وابن القيم ومكتبته العملاقة. والحافظ ابن أبي الدنيا الذي ألف 1000 كتاب. وابن عساكر الذي ألف التاريخ في 80 مجلداً. وابن حزم الذي ألف 400 مجلدا تشتمل على قريب من 80000 ورقة. قال إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني : (أنا لا أنام و لا أكل عادة ، وإنما أنام إذا غلبني النوم ليلاً كان أو نهاراً ، وآكل إذا اشتهيت الطعام أيّ وقتٍ كان). وكانت لذته ولهوه ونزهته في مذاكرة العلم ، وطلب الفائدة من أي نوع كان. وقال ابن القيّم عن شيخه: "وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية في سننه وكلامه وإقدامه وكتابته أمراً عجيباً ، فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعة"! وقال الذهبي: "إن تصانيفه تبلغ خمسمائة مُجلّداً" ، هذا مع ما يقوم به من تعليم ودعوة وجهاد! وعند الترمذي بسند حسن أن النبي قال: (من خاف أَدْلَجَ ، ومن أَدْلَجَ بلغ المَنْزِل ، ألا إنّ سِلْعَة الله غالية ، ألا إنّ سِلْعَة الله الجنة). وذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء عن عمار بن رجاء قال: سمعت عبيد بن يعيش يقول: أقمت ثلاثين سنة ما أكلت بيدي بالليل ، بل كانت أختي تلقمني وأنا أكتب الحديث. وقيل عن عامر بن عبد قيس أحد التابعين الزهاد: أن رجلاً قال له: كلمني ، فقال له عامر بن عبد قيس: أمسك الشمس. وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه ، نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي. وقال ابن مسعود أيضاً: "إني لأمقت الرجل أن أراه فارغاً ليس في شيء من عمل الدنيا ولا عمل الآخرة". وقال أبو هلال العسكري في كتابه الحث على طلب العلم والاجتهاد في جَمْعه: كان الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري أحد أذكياء العالم ، المولود سنة 100 ، والمتوفى سنة 170 رحمه الله تعالى يقول: أثقل الساعات عليّ: ساعة آكل فيها. وقال العلامة طاشكبري زاده في مفتاح السعادة ومصباح السيادة: كان محمد بن الحسن الشيباني الكوفي البغدادي الإمام الفقيه المجتهد المحدّث تلميذ أبي حنيفة ، المولود سنة 132هـ والمتوفى سنة 189هـ رحمه الله لا ينام الليل ، وكان يضع عنده دفاتر- يعني كتبا ـ فإذا ملّ من نوع نظر في آخر ، وكان يُزيل نومه بالماء ويقول: إن النوم من الحرارة. وهذا محمد بن سلام البيكندي شيخ البخاري المتوفى سنة 227هـ ، كان في حال الطلب جالساً في مجلس الإملاء ، والشيخ يُحَدّث ويُمْلي ، فانكسر قلم محمد بن سلام فأمر أن ينادى: قلم بدينار ، فتطايرت إليه الأقلام. ذكره العيني في عمدة القاري. وقال عمر بن عبد العزيز الخليفة الصالح: إن الليل والنهار يعملان فيك ، فاعمل فيهما. وقال الحسن البصري رحمه الله: يا ابن آدم ، إنما أنت أيام ، فإذا ذهب يوم ذهب بعضك. وقال: أدركتُ أقواماً كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصاً على دراهمكم ودنانيركم. ونقل الذهبي في تذكرة الحفاظ في ترجمة الإمام المحدث حماد بن سلمة البصري البزاز الخرقي عن موسى بن إسماعيل التبوذكي: لو قلت لكم: إني ما رأيت حماد بن سلمة ضاحكاً لصدقت ، كان مشغولاً: إما أن يُحَدّث أو يقرأ أو يُسبح أو يُصلي ، وقد قسّم النهار على ذلك. قال يونس المؤدب: مات حماد بن

سلمة وهو في الصلاة. وجاء في ترتيب المدارك للقاضي عياض في ترجمة الفقيه المالكي المحدث الإمام محمد سحنون القيرواني المولود سنة 202هـ والمتوفى سنة 256هـ رحمه الله ، قال المالكي: كانت لمحمد بن سحنون سُرّيّة - أي جارية مملوكة - يقال لها أم مدام ، فكان عندها يوماً ، وقد شغل في تأليف كتاب إلى الليل ، فحضر الطعام فاستأذنته فقال لها: أنا مشغول عنه الساعة. فلما طال عليها الانتظار جعلت تلقمه الطعام حتى أتى عليه ، وتمادى هو على ما هو فيه إلى أن أذن لصلاة الصبح ، فقال: شغلنا عنكِ الليلة يا أم مدام ، هات ما عندك من طعام ، فقالت: قد والله يا سيدي ألقمته لك ، فقال: ما شعرتُ بذلك. وذكر الذهبي في تذكرة الحفاظ عن أحمد بن مردويه قال: كان أبو نعيم في وقته مرحولاً إليه ، لم يكن في أفق من الآفاق أحدٌ أحفظ منه ، ولا أسند منه ، كان حفاظ الدنيا قد اجتمعوا عنده ، وكل يوم نوبة أحد منهم ، يقرأ ما يريد إلى قريب الظهر ، فإذا قام إلى داره ربما يقرأ عليه في الطريق جزء ، وكان لا يضجر ، لم يكن له غذاء سوى التسميع والتصنيف. وذكر الإمام الذهبي في تذكرة الحفاظ في ترجمة الخطيب البغدادي المولود سنة 392 هـ والمتوفى سنة 463 هـ ، قال: كان الخطيب يمشي وفي يده جزء يطالعه. وأما أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي فيقول: إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري ، حتى إذا تعطل لساني عن مذاكرة أو مناظرة ، وبصري عن مطالعة ، أعملتُ فكري في حال راحتي وأنا منطرح ، فلا أنهض إلا وقد خطر لي ما أسطره ، وإني لأجد من حرصي على العلم وأنا في عشر الثمانين أشد مما كنت أجده وأنا ابن عشرين. قال: وأنا أقصر بغاية جهدي أوقات أكلي ، حتى أختار سف الكعك وتحسّيه بالماء لأجل ما بينهما من تفاوت المضغ توفراً على مُطالعة أو تسطير فائدة لم أدركها فيه. وهو صاحب كتاب الفنون وهو في ثمانمائة مجلد ، قال فيه: أما بعد فإن خير ما قطع به الوقت وشغلت به النفس فتقرب به إلى الرب جلت عظمته: طلبُ علم أخرج من ظلمة الجهل إلى نور الشرع ، وذلك الذي شغلتُ به نفسي وقطعتُ به وقتي. فما أزال أعلق ما أستفيده من ألفاظ العلماء ، ومن بطون الصحائف ، ومن صيد الخواطر التي تنثرها المناظرات والمقابسات في مجالس العلماء ومجامع الفضلاء ، طمعا أن يعلق بي طرف من الفضل أبعد به عن الجهل ، لعلي أصل إلى بعض ما وصل إليه الرجال قبلي. ولو لم يكن من فائدته عاجلاً إلا تنظيف الوقت عن الاشتغال برُعونات الطباع ، التي تنقطع بها أوقات الرّعاع ، لكفى ، وعلى الله قصد السبيل ، وهو حسبي ونعم الوكيل. وقال أبو هلال العسكري في كتابه الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه: وحكي عن ثعلب - أحمد بن يحي الشيباني الكوفي البغدادي - ، أحد أئمة النحو واللغة والأدب والحديث الشريف والقراءات ، المولود سنة 200هـ والمتوفى سنة291 هـ رحمه الله أنه كان لا يفارقه كتابٌ يدرسه ، فإذا دعاه رجل إلى دعوة شرَط عليه أن يوسّع له مقدار مِسْورة - وهي المتكأ من الجلد – يضع فيها كتابا ويقرأ. وفي معجم الأدباء لياقوت الحموي وتاريخ بغداد للحافظ الخطيب البغدادي أن أبا جعفر الطري قال لأصحابه: أتنشطون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره؟ قال: ثلاثون ألف ورقة ، فقالوا: هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه ، فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة ، وأملاه في سبع سنين. ثم قال لهم: أتنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا؟ قالوا: كم قدره؟ فذكر نحوا مما ذكره في التفسير ، فأجابوا بمثل ذلك ، فقال: ماتت الهمم ، فاختصره في نحو مما اختصر التفسير. قال الخطيب: وسمعتُ السمسِمي يحكي أن ابن جرير مكث أربعين سنة ، يكتب في كل يوم منها أربعين ورقة. قال ابن الجوزي رحمه الله: ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه وقدر وقته ، فلا يضيّع منه لحظة في غير قربة ، ويقدم

فيه الأفضل فالأفضل من القول والعمل ، ولتكن نيته في الخير قائمة من غير فتور ، بما لا يعجز عنه البدن من العمل ، كما جاء في الحديث الشريف: نية المؤمن خير من عمله. وقال رحمه الله في رسالة نصح بها ولده سماها: لفتة الكبد في نصيحة الولد ، قال: واعلم يا بني أن الأيام تبسط ساعات ، والساعات تبسط أنفاساً ، وكل نفس خزانة ، فاحذر أن يذهب نفس بغير شيء فترى في القيامة خزانة فارغة فتندم. وانظر كل ساعة من ساعاتك بماذا تذهب ، فلا تودّعها إلا إلى أشرف ما يمكن ، ولا تهمل نفسك ، وعوّدْها أشرف ما يكون من العمل وأحسنه ، وابعث إلى صندوق القبر ما يسرك يوم الوصول إليه. وهذا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه - يواصل ليله بنهاره يقول: (إن نمت الليل ضيّعت نفسي ، وإن نمت النهار ضيّعت رَعِيّتي) ، فكيف النوم بين هذين؟ وابن شاهين الذي صنف 330 صنفاً منها التفسير في 1000 جزء والمسند في 1500 جزء. وسيد قطب بظلاله ومعالمه وخصائص تصوراته وغيرها الكثير ناهيك عن الذي ضاع وافتقد. وأحمد شلبي وأنور الجندي ، وعلي الصلابي الذي اعوجّت أصابعُ يمينه من الكتابة بالقلم ، وهذا علمته من أحد تلاميذي الثقات في مدرسة أم القرى هنا (حذيفة أشرف). ولذلك فإنها لحكمة جميلة: (الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك). والأمر كما يقولون: الوقت من ذهب إن لم تدركه ذهب. والوقت كنز إن ضيعته ضعت. والوقت أجدر بأن يصادق لا يقاتل. والوقت هو المادة الخام للحياة. والوقت عدوٌ مجتهدٌ لا يقتله إلا كل مجتهد. والوقت كالجمل في بُطئه وصبره ، بطئ في مِشيته ولكنه قد يطوف بك العالم بأسره لو أردت. والوقت كالمال إذا كنزته زادك فقراً ، ونقصان الوقت كالمال كلاهما قيم في جودته وحسن إنفاقه واستخدامه. فالدنيا ساعة اجعلها طاعة. وصدق قوم إذ قالوا: الوقت المنظم الجيد هو البرهان الأكيد على العقل المنظم الجيد. وبعض السعادات لا تنبت من جديد مهما منحتها مزيداً من الوقت. والوقت الذي يتوقف فيه الإنسان عن القراءة ، هو الوقت الذي يموت فيه. وإن الوقت من ذهب ووقتك لا يقل شأناً عن وقت الآخرين. والحقيقة أن الوقت لا يسعفنا لنعبر عن أنفسنا. والأمور لا تتحسن مع الوقت ، بل نحن الذين نعتاد سوءها. والوقت كالسكين إن لم تمسكه من مقبضه قطع يدك بقطعته. والوقت كالبحر إن لم تسر فيه بسفينة مصنوعة من العِلم وحسن الصنعة فلا تظن أنك سوف تمشي على الماء مثل مجاذيب الأساطير ولا تلومن إلا نفسك. والوقت كالماء إن لم تشربه ، ابتلعك وأغرقك وأتلف حياتك. لقد كان علماؤنا الأولون يدركون ما للوقت من قيمة فأحسنوا استغلاله والاستفادة منه. وسار على ذات المنوال علماؤنا المعاصرون في مبدأ الاستفادة من الوقت واستثماره أفضل استثمار. ولقد فطنتُ إلى هذا وفعلاً أحاول جاهداً أن لا يقطعني سيف الوقت بل أقطع أنا سيف الوقت بسيف الانتفاع به والاستفادة منه. وكنت قد حرصتُ على استثمار وقتي واستغلاله! ودواويني الخمسة والعشرون التي حوت ألفاً وسبعمائة وخمسين قصيدة وكتبي الخمسة في مجال النقد الأدبي الأسلوبي وقصصي القصيرة الثلاثة آلاف خير دليل على ما أقول! ومن هنا رحتُ أسجّل هذه الوصية الذهبية شعراً لكل من سيأتي بعدنا من الأجيال! وربما تعرضتُ لانتقاداتٍ كثيرة ن القاصي والداني ، من القريب والبعيد ، من العقلاء والسفهاء في الانشغال الدائم بالكتابة والتأليف! ولقد اجتهدتُ على كل حال في استثمار الوقت قدر المستطاع! ونقلتُ تجربتي لتنفع الآخرين بعد موتي! وأعرف معرفة يقينية أنني راجل عن هذه الحياة لا محالة! فأبقيتُ من بعدي رصيد تجربتي الحياتية والواقعية للأجيال اللاحقة لتستفيد منها!)

50 - الوهم

(كانت هذه الزوجة الغبية تتوهم عشق زوجها المؤمن لابنتها المراهقة (هبة). إذ إنها تزوجتْ بعد وفاة زوجها ، وكانت لها من الأول هذه الابنة. فكان وهْماً شيطانياً مُدمراً يدفع بالجميع: الزوج وزوجته وربيبته إلى الهاوية. كلنا نغار! ولكنْ أن تتحول الغيْرة إلى شبح يهدد الحياة الأسرية ، فهذا أمرٌ مرفوض جملة وتفصيلاً! ونقلت صحيفة "دي فيلت" الألمانية عن المعالج النفسي الألماني فولفغانغ كروغر قوله: (إن الخوف على ضياع العلاقة العاطفية هو أساس الغيرة. وينتج هذا الشعور بالتهديد نتيجة للإحساس بوجود طرف آخر في حياة الشريك).هـ. ويتفق كروغر مع المقولة السائدة الشائعة بأن الغيرة دليل قويٌ على الحب ، ويرى أن الغيرة الطفيفة هي تعبير عن الحب والاهتمام بشريك الحياة. ولكنني أدعو إلى ترشيد الغيرة! فرحتُ أنصحُ لها!)

51 - رسالة إلى عبد الله بن سبأ

(استحق عبد الله بن سبأ ابن السوداء ، ذلك اليهودي الذي أسلم في خلافة عثمان وهو من أهل صنعاء. أسلم ليس رغبة في الإسلام ، ولكن ليغر المسلمين بإسلامه ويفسد بكل كيد أمورهم ويغري بينهم إلى أن حمل أهل مصر والشام على الاجتماع على قتل عثمان. وضرب العقيدة الإسلامية بأفكار هي الكفر بعينه إذ قال: إن علياً بن أبي طالب أولى بالنبوة من محمد وأن جبريل أخطأ. وقال برجعة محمد كرجعة المسيح المنتظرة. وحرّف الأسماء والصفات وقال بالتشبيه والتجسيم فذهب - لعنه الله – إلى أن الله – عز وجل – جسمٌ يتلألأ ، وغالى في على بن أبي طالب وقال بألوهيته وأن له جانباً بشرياً (ناسوت) وأن له جانباً إلهياً (لاهوت) كما ادعت النصارى في المسيح ، ومن هنا ندرك التشابه بين من اتبعه والنصارى. فهو إذن شخصية مختلف في حقيقة وجودها ؛ يقول المؤمنون بها أنها ظهرت في فترة خلافة عثمان بن عفان وتنسب إليه روايات تاريخية بأنه هو مشعل الاضطرابات والاحتجاجات ضد الخليفة الثالث عثمان بن عفان في الخفاء ، وكان من الغلاة بحب علي بن أبي طالب ومدعٍ لألوهيته ، ويقال أنه أصل هذه الفكرة ومؤسس فكرة التشيع. ويعتبر البعض ابن سبأ أول من نادى بولاية علي بن أبي طالب وبأن لكل نبي وصياً وأن وصي الأمة هو علي بن أبي طالب ، وهو أول من أظهر الطعن والشتم في الصحابة وخصوصاً أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعائشة. يعده العديد من المؤرخين مُشعل الثورة على عثمان بن عفان ، والسبب في وقوع معركة الجمل بعد ذلك. وينسب له أنه أول من غالى في علي وأضفى عليه صفات غير بشرية ، مما اضطر علياً إلى التبرؤ منه. يرى بعض المؤرخين المحْدثين ابن سبأ أصل التشيع بصفة عامة ، وأصل الفتن الإسلامية الأولى ، كفتنة مقتل عثمان وحرب الجمل ، ويرجعونه لأصول يهودية بحيث أن تشتت المسلمين كان نتيجة مؤامرة يهودية. من جهةٍ أخرى ، ينفي الشيعة وجود ابن سبأ من الأساس ، ويعتبروه مجرد قصة اختلقها أعداؤهم للطعن في أصول التشيع من خلال إيهام عامة الناس بنظرية المؤامرة ، ويحاجج البعض بإمكانية أن يكون شخص واحد قد أحدث هذا التأثير الكبير على مجرى تاريخ أمة بكاملها ، فمثل هذه الأزمات في رأيهم تكون نتيجة عوامل كثيرة سياسية واقتصادية واجتماعية ، قد يكون ابن سبأ بما زعم عنه من تأثير عقائدي أحدها ، لكنه لا يستطيع أن يختصرها جميعاً. اختلف أصحاب المقالات والتاريخ في هوية عبد الله بن سبأ ،

بسبب السرية التي كان يحيط بها دعوته. وذهب عامة المؤرخين أن ابن سبأ من صنعاء في اليمن ، لكن الخلاف إن كان من حِميَر أم من همدان؟ ولأنه من أم حبشية فكثيراً ما يطلق عليه "ابن السوداء". والذي اتفق عليه الذين قالوا بوجوده أن أصله يهودي أسلم زمن عثمان بن عفان ، وأخذ يتنقل في بلاد المسلمين. فبدأ بالحجاز ثم البصرة سنة 33 هـ ، ثم الكوفة ، ثم أتى الشام ثم مصر سنة 34 هـ واستقر بها ، ووضع عقيدتي الوصية والرجعة ، وكوّن له في مصر أنصاراً. استمر في مراسلة أتباعه في الكوفة والبصرة. وفي النهاية نجح في تجميع جميع الساخطين على عثمان فتجمعوا في المدينة وقاموا بقتل عثمان. لعب عبد الله بن سبأ دوراً هاماً في بدء معركة الجمل ، وإفشال المفاوضات بين علي بن أبي طالب وبين طلحة والزبير. كما أنه أول من أظهر الغلوّ وادعى الألوهية لعلي. فقام علي بإحراق بعض أتباعه ، ثم قام بنفي ابن سبأ إلى المدائن. وبعد استشهاد علي ، رفض ابن سبأ الاعتراف بذلك ، وادعى غيبته بعد وفاته. ويسمى أتباع ابن سبأ بالسبئية. ويرى معظم علماء السنة أن ابن سبأ يهودي دخل الإسلام نفاقاً ليكيد بالإسلام وأهله ، ثم أخذ يتنقل بين البلدان الإسلامية مدعياً أن علي بن أبي طالب أحق بالخلافة من عثمان بن عفان ، وبالفعل أثار الشبهات ، وجمع من حوله الأنصار وزحفوا من البصرة والكوفة ومصر إلى المدينة المنورة ، ولكن علي تصدى لهم وأوضح أن أي اعتداء على الخليفة إنما هو إضعاف للإسلام وتفريق للمسلمين ، فأقنع المتمردين وقفلوا راجعين. حينها أدرك ابن سبأ أنه على وشك الرجوع خائباً وأن الفرصة أوشكت أن تضيع ، لذلك دبر مؤامرة جعلت المتمردين يرجعون ويحيطون ببيت عثمان ويحاصروه ، ثم تسلق بعضهم الدار ، وقتلوا عثمان وهو يقرأ القرآن سنة 35 هـ ، وبمقتل الخليفة عثمان بن عفان كان ابن سبأ قد فتح باباً لفتن أخرى طال أمدها بين المسلمين. ومن المتوقع أن تكون هذه الفتنة هي التي عناها النبي حين بشر عثمان بالجنة على بلوى تصيبه. ومن المؤيدين لفكرة وجود شخصية ابن سبأ من أهل السنة: (أعشى همدان (ت 84 هـ): وقد هجا المختار الثقفي وأنصاره من أهل الكوفة لقوله: شهدت عليكم أنكم سبئية وأني بكم يا شرطة الكفر عارف. والحسن بن محمد بن الحنفية (ت 95هـ). والعدني (150 - 243هـ). والشعبي (ت 103هـ). والفرزدق (ت 116هـ). وقتادة (ت 117هـ). وابن سعد (ت 230هـ). وابن حبيب البغدادي (ت 245هـ). وأبو عاصم (ت 253هـ). والجوزجاني (ت 259هـ). وابن قتيبة (276هـ): (السبئية من الرافضة ينسبون إلى عبد الله بن سبأ). والبلاذري (ت 279هـ). وهؤلاء إما أثبتوا وجود ابن سبأ وإما تكلموا عن فرقته كفرقة دينية. وكلهم قبل الطبري ، أما بعده فأكثر مما يحصر أو يُعَد. والطبري (عام 224 هـ - 310 هـ)، بينما صاحب مصنف ابن أبي الشيبة (153هـ - 235هـ) ، أورد في رواية ما يهمنا منها: « فقال عبيد الله بن عتبة (توفي عام 94هـ وقيل 98هـ): إني لست بسبئي ولا حروري» ، والمقصود أنه ليس سبائي (أي ليس من أتباع عبد الله بن سبأ) وليس بحروري (والحرورية هي إحدى فرق الخوارج) ، وفي السند لا يوجد سيف بن عمر. والجعفي الكوفي المتوفى عام (80 هـ): «أنه دخل على علي بن أبي طالب في إمارته فقال: إني مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر ، يرون أنك تضمر لهما مثل ذلك ، منهم عبد الله بن سبأ ، فقال علي: ما لي ولهذا الخبيث الأسود ، ثم قال: معاذ الله أن أضمر لهما إلا الحسن الجميل ، ثم أرسل إلى ابن سبأ فسيّره إلى المدائن ، ونهض إلى المنبر حتى إذا اجتمع الناس أثنى عليهما خيراً ثم قال: أو لا يبلغني عن أحد يفضلني عليهما إلا جلدته حد المفتري» ، وفي السند لا يوجد سيف بن عمر. لم ينفرد الطبري وحده بروايات سيف ، بل هناك روايات لسيف

تتحدث عن ابن سبأ لا توجد عند الطبري. ولقد جاءت عدة روايات مقبولة حتى على شروط رواية الحديث. فمثلاً قال ابن عساكر في تاريخ دمشق أخبرنا أبو محمد بن طاوس وأبو يعلى حمزة بن الحسن بن المفرج ، قالا: نا أبو القاسم بن أبي العلاء ، نا أبو محمد بن أبي نصر ، نا خيثمة بن سليمان ، نا أحمد بن زهير بن حرب ، نا عمرو بن مرزوق نا شعبة ، عن سلمة بن كهيل عن زيد قال: "قال علي بن أبي طالب: ما لي ولهذا الحميت الأسود؟ يعني عبد الله ابن سبأ ، وكان يقع في أبي بكر وعمر". وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات. وقال ابن حجر قال الحافظ في لسان الميزان: قال أبو إسحاق الفزاري (يعني في كتابه السيرة) عن شعبة عن سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء عن زيد بن وهب: أن سويد بن غفلة دخل على علي في غمارته فقال: إني مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر يرون أنك تضمر لهما مثل ذلك منهم عبد الله بن سبأ ، وكان عبد الله أول من أظهر ذلك. فقال علي: ما لي ولهذا الخبيث الأسود؟ ثم قال: معاذ الله أن أضمر لهما إلا الحسن الجميل. ثم أرسل إلى عبد الله بن سبأ ، فسيره إلى المدائن وقال: "لا يساكنني في بلدة أبداً". ثم نهض إلى المنبر حتى اجتمع الناس فذكر القصة في ثنائه عليهما بطوله وفي آخره: "ألا ولا يبلغني عن أحد يفضلني عليهما إلا جلدته حد المفتري". ورجاله ثقات. وعموماً عبد الله بن سبأ لم يكن يعمل وحده ، بل كان زعيماً لفرقة سرية تسمى بالسبئية ، استمرت بعده بهذا الاسم لفترة طويلة. فمثلاً قال يزيد بن زريع: رأيت الكلبي يضرب يده على صدره ويقول: "أنا سبئي ، أنا سبئي". وأما موقف الشيعة فإن بعضهم ينكرون حقيقة وجود شخصية عبدالله بن سبأ ، ويقر بوجودها البعض الآخر: للتعرف على هوية عبد الله بن سبأ سوف أبدأ بالمنبع الأساس وهو تاريخ الطبري وأعقبه بباقي المصادر عنه ، وسأنقل قول الطبري من خلال ما نقله أبو زهرة ، قال: كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء أمه سوداء فأسلم أيام عثمان ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول إضلالهم فبدأ ببلاد الحجاز ثم البصرة ثم الشام ، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام فأخرجوه حتى أتى مصر فقال لهم فيما يقول: العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمداً يرجع وقد قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ). ثم أن محمداً أحق بالرجعة من عيسى ثم قال بعد ذلك إنه كان ألف نبي ولكل نبي وصي وعلي وصي محمد ، ومحمد خاتم النبيين وعلي خاتم الأوصياء. وهنا نقاط ذكرها أريد أن أؤكد عليها للمقارنة مع غيرها وهي: أولا أنه ابن السوداء وثانياً أنه من أهل صنعاء ، وثالثة أنه يؤكد رجوع النبي (صلى الله عليه وسلم) للدنيا ورابعاً أنه ذكر أن علياً وصي النبي ، وخامساً أنه أسلم أيام عثمان ، وبعد ذلك نعود لأبي زهرة وفي نفس كتابه المذكور أي تاريخ المذاهب الإسلامية قال في مورد آخر: عبد الله بن سبأ كان يهودياً من أهل الحيرة ، أظهر الإسلام وأخذ ينشر بين الناس أنه وجد في التوراة أن لكل نبي وصياً وأن عليا وصي محمد ، وأن علياً أراد قتله ولكن نهاه عبد الله بن عباس فنفاه للمدائن بدل قتله. وبين هذين المقتطفتين الفروق التالية ألفت النظر إليها وهي: أنه في الأولى من أهل صنعاء ، وفي الثانية من أهل الحيرة ، وأنه في الأولى أسلم أيام عثمان وفي الثانية أظهر الإسلام ولم يحدد وقت إسلامه ، وأن الإمام أراد قتله كما ذكر في الثانية في حين لم يذكر ذلك في الأولى ، وأنه من المقتطفة الثانية قرأ فكرة الوصاية في التوراة في حين في الأولى لم يذكر مصدر فكرة الوصاية فلنحفظ هذا لنرى ما بين المقتطفات. فروق وخصائص قد تتضارب. والأستاذ محمد فريد وجدي في دائرة المعارف قال: (السبئية أتباع عبد الله بن سبأ الذي غلا في الانتصار لعلي وزعم أنه كان نبياً ثم غلا فزعم أنه الله ودعا إلى ذلك قوماً من أهل الكوفة فاتصل

خبرهم بعلي فأمر بإحراق قوم منهم، ثم خاف من إحراق الباقين أن ينتقض عليه قوم فنفى ابن سبأ للمدائن فلما قتل علي زعم ابن سبأ أنه ليس المقتول علياً وإنما هو شيطان صور على صورته وهذه الطائفة تزعم أن المهدي المنتظر إنما هو علي ، وكان ابن السوداء في الأصل يهودياً من أهل الحيرة فأظهر الإسلام وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق ورياسة ، فذكر لهم أنه وجد في التوراة أن لكل نبي وصياً وأن علياً وصي محمد (صلى الله عليه وسلم) فلما سمعوا ذلك قالوا لعلي إنه من محبيك فرفع علي قدره وأجلسه تحت درجة منبره ثم بلغه عنه غلوه فيه فهم بقتله فنهاه عبد الله بن عباس فنفاه إلى المدائن).هـ. وفي هذه المقتطفة: أنه من أهل الحيرة لا صنعاء ، وأنه ابن السوداء وأن الإمام علياً خدع به ، وأنه ادعى النبوة لعلي ثم ادعى له الألوهية وإلى هنا يمكن الجمع بين هذا الخلط العجيب ولكن كيف يمكن بعد ذلك أن نجمع بين كونه ينسب له الألوهية ثم يجعله وصياً لمحمد: أترك تقدير هذا إلى العقول الجبارة كمحمد فريد وجدي ونظائره ممن يقود خطى الجماهير في دروب الثقافة والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه. وأما أحمد عطية الله فقال: (ابن سبأ رأس الفرقة السبئية من الشيعة وهو عبد الله بن سبأ كان من يهود صنعاء وأظهر إسلامه في خلافة عثمان يعرف بابن السوداء انتقل إلى المدينة وبث فيها أقوالاً وآراء منافية لروح الإسلام ونابعة من يهوديته ومن معتقدات فارسية كانت شائعة في اليمن ، برز في صورة المنتصر لحق علي ، وادعى أن لكل نبي وصياً ، وأن علياً وصي محمد ، كما ادعى أن في علي جزءاً إلهياً ، طاف بأنحاء العراق ناشراً دعوته فطرده عبد الله بن عامر من البصرة فنزل الكوفة وأوغر صدور الناس على عثمان ، وانتقل إلى دمشق في ولاية معاوية وفيها التقى بأبي ذر الغفاري وحرضه على الثورة مدعياً أنه ليس من حق الأغنياء أن يقتنوا مالاً ، وأخرج من الشام فنزل مصر فالتف حوله الناقمون على عثمان وفيهم محمد بن أبي بكر وأبو حذيفة ، ووضع على لسان علي أقوالاً لم يقلها كادعاء علم الغيب وبعد استشهاد علي قال إنه لم يقتل وسيرجع وبذلك وضع فكرة الرجعة بين الشيعة).هـ. وفي هذه المقتطفة التي رواها عطية الله أمور منها: أن ابن سبأ جمع إلى عقائده اليهودية معتقدات أخرى فنقلها للتشيع ومنها الرجعة ولكن الرجعة هنا لعلي وليست لمحمد كما هي عند أبي زهرة ، ومنها أنه أعطى لعلي جزءاً من الألوهية لا كلها ، حتى يمكن الجمع بين كونه جزء إله وبين كونه وصياً للنبي (صلى الله عليه وسلم) ، ومنها الكشف عن هذه الطاقات الهائلة عند ابن سبأ بحيث أن كل الثورات على عثمان ومعاوية كانت من فعله. وهو في بعض هذه الروايات يدعي الرجعة للنبي ، وفي بعضها الآخر يدعي الرجعة لعلي وهو تارة يدعي بأن في علي جزءاً من الألوهية وأخرى أنه إله كامل ، وفي هذه الروايات نجد علياً مرة يحرق الغلاة ولا يخاف وأخزى يخاف أن يحرق ابن السوداء مع أنه يهودي بسيط لا يأبه له أحد ، وهكذا نقع في هذا الخليط المضطرب ، وأهم هذه الأمور في نظرنا هو أنه مرة يكون داعياً لفضل علي فقط وأخرى يكون محرضاً على عثمان وواضعاً لأهم عقائد الشيعة من وصية وعلم غيب للأئمة وقول بالرجعة! وهذان الأمران هما روح الموضوع فإن من صنع فرية عبد الله بن سبأ رمى فيها عصفورين بحجر واحد وأراد هذين الأمرين: * الأول: أن عثمان قتل بتحريض من السبئية لا أنه صنع أشياء نقم فيها عليه المسلمون واشتركوا في قتله وفيهم صحابة النبي مما ذكره التاريخ مفصلا بل كل ما في الأمر أن يهودياً حاقداً حرك المسلمين فانساقوا معه بغباء وبدون تفكير حتى ارتكبوا هذه الجناية وقتلوا الخليفة بدون أن يصدر منه ذنب. * والثاني: أن عقائد الشيعة لا سند لها من الإسلام وإنما هي من هذا اليهودي العبقري عبد الله بن سبأ فالشيعة إذا يهود لا صلة لهم بالمسلمين. أقول: استحق ابن سبأ أن يكون في أمة ـ محمد – عليه السلام ـ مَن يردّ عليه ويوقفه عند حده. فقد لعب ذات الدور الذي لعبه بولس! وها أنذا أقوم بإرسال رسالة له وأعلم جيداً أنه تأخر زمانها ، ولكنْ أن تأتي متأخراً خير من ألّا تأتي.)

52 - انحدار إلى عالم (الأغاني)

(كان محباً للقرآن والسنة. ثم مع أول ابتلاء استغنى وانحدر إلى حضيض الغناء ، فرُحتُ أشد من أزره وأثبت له أنها فتنة وستزول ، وأنه ابتلاء يجب الصبر عليه والاعتصام بالكتاب والسنة والرجوع إلى العقيدة الصافية والتوحيد الخالص من أجل التغلب عليه! ولمّا ألفيته لا يُبالي بتذكيري ، وإنما يزداد في انحداره إلى عالم الغناء ، رُحتُ أقرّعُه أشدّ التقريع ، وألومُه أشد اللوْم ، وأبين له أصل العلة من ضعف الإيمان والاستسلام للشيطان اللعين الرجيم ، وأن عليه أن يستعيذ بالله من أربع هن السبب في السفول الذي هبط إليه: الدنيا – الهوي – الشيطان – النفس. وما هو إلا أن أعرض ونأى بجانبه ، وأشاح بوجهه عني وأنكر ما كان منه من الالتزام في الزمان الأول يوم كان وكان وكان! فأنشدت أعزيه بهذه القصة التي إن قرأها بقلبه يتب إلى الله عز وجل.)

53 - رسالة إلى المتاجرين بالقيم

(لم يشهد ديننا عصراً يُباع فيه مثل عصرنا المُر. إن المتاجرين بالقيم من الطابور الخامس من المنافقين لا يضرون إلا انفسهم ولا يهلكون إلا أنفسهم. والنفاق في عالم الكتابة نفاق عجيب لأن الفتنة به أشد وأنكى. خاصة بعد هذا التطور الرهيب في عالم تقنية المعلومات الذي نعيش. إن الكلمة التي تقال في الهواء لا يكاد يستمع إليها إلا من حضرها. بعكس الكلمة المكتوبة أو المسجلة بالصوت والصورة تنتقل إلى كل مكان في الدنيا بأقصى سرعة. فإذا كانت الكلمة صالحة مُصلحة نفع الله بها وكتب أجرها لقائلها أو كاتبها ، وأما إذا كانت غير صالحة بل باطلة مخزية باء كاتبها أو قائلها بخزي الدنيا وعذاب الآخرة وأضل نفسه وغيره. وهذه رسالة شعرية أرسلها لكل الكتاب والشعراء المنحرفين المتاجرين بالقيم – عليهم من الله الجبار ما يستحقون – وكان الباعث على القصيدة ابتداءً الرواية الملعونة الحقيرة التي كان قد كتبها (حيدر حيدر) وعنوانها (وليمة لأعشاب البحر). وقد تناولها وبين خبثها وضلالها الدكتور جابر قميحة في كتابه! فإلى كل كاتب رخيص وإلى كل شاعر حقير يعمل لحساب آل صهيون أكتب هذه القصيدة لأعلمهم ان أعمالهم إلى زوال. في محاضرة له بعنوان: (وصايا من الله للدعاة) يقول محمد المنجد ما نصه: (وهذه وقفات مع قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان). إن هذا القرآن يشتمل على توجيهات كثيرة جداً للدعاة وغير الدعاة ، وفيه لطائف وحكم وأحكام ، فتأمل مثلاً قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ). إذاً: يُحمى عليها بالمنافيخ وغيرها ؛ مما يضاعف حرها ، فإذا اشتد العذاب جاءت مرحلة الكي ، فيكوى في جبهته وجنبه وظهره ويكون في هذه المواضع ، لأنه كما قال العلماء: إذا جاءه الفقير السائل صعّر وجهه ، ثم إذا أعاد السائل عليه ولاه جنبه ، فإذا ألح عليه ، ولاه ظهره وأعرض ، فلذلك جعل الكي في هذه المواضع الثلاثة: الوجه والجنب والظهر ، الكي في هذه المواضع أشد على الإنسان من غيرها ، والكي في الجنب والوجه والظهر هو الكي في الجهات الأربع: الأمام في الجبهة ، والخلف في الظهر ، واليمين والشمال في الجنبين ، فجاءه الكي في المواضع التي فيها شدة ، ثم التي حصل بها الإعراض ، فجوزي على عمله ، والجزاء من جنس العمل. تأمل قول الله تعالى: (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً).

قال الله: وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ، بمعنى أرادوها وصارت هي همهم ، ولم يقل: إنهم تناولوا منها ؛ لأن الشهوات منها ما يكون حلالاً ، فتناول الشهوة الحلال مباح ، لكن تأمل السر في قوله: اتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ صارت متبوعاً ، وقائداً وهم منقادون ، صارت مطاعة وهم مطيعون اتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ، فالشهوات هي مقصودهم ، والغربيون عندهم مبدأ اللذة هي الهدف الكلي ؛ لذلك فسعيهم للذة المال ، والمتعة ، والجنس ، وغير ذلك من اللذات إلا لذة الإيمان واليقين).هـ.)

44 - رسالة إلى المرتزقة

(عندما لا يجد الداعي الحق إلا العقيدة ليُضحّي بها حتى يأكل ، فقد وجبتْ له المسألة. إذ العقيدة لا يؤكل بها ولا يساوم عليها! وعندما يقف الطعام والشراب حائلاً دون قول كلمة الحق وصنماً تبذل عند قاعدته العقيدة الحقة والتوحيد الخالص ، ووثناً يتقرب إليه الدعاة ، فيحرقون القرآن والسنة ليشعلوا البخور لسدنته ، فليضح الداعي الموحد القانت المؤمن بروحه وماله وولده وقوته والدنيا بأسرها في سبيل عقيدته. ولا يُحتج بالمرتزقة الذين يأكلون على كل مائدة ويعرفون من أين تؤكل الكتف المسمومة. ولكن أيها المرتزقة ، هذه الكتف مسمومة ، وتوشك أن تذهب بلاحقكم كما ذهبت بسابقكم. ويوشك لهيب نار فتنتها أن يذهب بآخركم كما ذهب بأولكم. أيها المرتزقة ، ما قيمة الأموال إن أنفق الإنسان في سبيلها آدميته ونفسه وضميره وذاته وكل ما يملك؟ إن عبودية الله لا تعدلها عبودية. وإن الذل له – سبحانه – عِزٌ لا يدرك حقيقته إلا أهل التوحيد والعقيدة. فتوبوا إلى الله ، واتقوه واستغفروه ، وعودوا إليه يغفر لكم ما قد سلف. وإنني أكتب هذه القصيدة لجوقة من المرتزقة أتباع كل ناعق وذيول كل طاغ وسدنة كل متفرعن وخدم كل متجبر لا يؤمن بيوم الحساب! نعم جوقة من المرتزقة: إن حضروا فلا هم في العِير ولا هم في النفير ، فليس يؤبه بهم قط ، وإن غابوا فليسوا يفتقدون ، ويصدق فيهم قول الشاعر:

إذا ذهـــــب الحمـــــار بـــــأم عمـــــرو فـــــلا رجعـــــتْ ، ولا رجـــــع الحمـــــار!

ذلك أنهم حفنة من قارعي الطبول وحارقي البخور وهتافة التهريج وقارئي الكفوف وضاربي الرمل ومقلبي القواقع والأصداف والودع. والذين هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ، حِفنة من القطيع السادر في الغي ، ممن يلبسون للناس مسوح الضأن وعباءات الرهبان ، وقلوبهم أمرّ من الصبر ، وألسنتهم أحلى من العسل! يلقاك أحدهم بوجه أبي ذر ، وحياء عثمان ، وحكمة علي ، وفقه معاذ بن جبل ، ولين أبي بكر ، وقلب أبي لهب ، ونفاق ابن سلول ، وغدر عتبة وشيبة ، وجدل الوليد بن المغيرة ، وبأس الحجاج بن يوسف! لا همّ لأحدهم إلا جمع الأموال وشراء المتاع الزائل الزائف فقط. لم يروا الدجال ، وإنما يمهدون لمَقدِمِه. وفتنتهم به قبل ظهوره ليست ببعيدة. فإلى دهاقنة الارتزاق ، ودجاجلة الكلالة ، من الذين يُضفون الشرعية على انحراف الطواغيت ويؤخرون الدعوة إلى الله ، أهدي هذه الصورة الشعرية ، عسى الله أن يتوب عليهم ليتوبوا عن العمالة والخيانة والارتزاق بالحق! ومن هنا فإن ترك موالاة من بدت عليه مظاهر النفاق وصدرت عنه أعمال المنافقين وأقوالهم واجبٌ شرعي. والله تعالى يقول: (فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا * ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله). ومقاطعة المنافقين واجتناب مجالسهم التي يخوضون فيها فيما لا

يرضي الله عز وجل أيضاً واجبٌ شرعي! قال تعالى: (بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة؟ فإن العزة لله جميعا * وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً).

55 - عرفتُ الطريق إلى عالم الوهم

(كان يرجو من وراء زواجه منها عالماً حالماً مليئاً بالسعادة. فراح يدعو ويبتهل إلى الله أن يُحقق له ذلك. فلما تزوجها أدرك أن عالمها مليء بالشقاء والوهم ليس إلا. وفرق كبير بين النظرية والتطبيق ، وبين الأمل والواقع. ولعل هذا المسكين كان يُغلب الخيال على الواقع الذي يعيشه. وساعده على ذلك أن هذه الزوجة مَنتهُ بالكثير من هذه الأمنيات الحالمة العِذاب. والأصل أن يكون الإنسان واقعياً ، لا يجري وراء السراب ، ولا يبني بيوتاً من نسج خيالاته وأوهامه. قد يكون ذلك من سمت الشعراء والأدباء ، عندما يعمدون إلى كتابة أي نص أدبي. أما أن يكون واقعاً يعيشه المرء ودرباً يسلكه الفرد ، فكلا وألف كلا! فتخيلت إياه يحكي لنا تجربته القاسية المريرة ، بكل ما اعتورها من العذابات والكوارث والعثرات والدغاول والبليات فأنشدتُ ـ حكاية على لسانه كانت هذه القصة.)

56 - إلى أمة الإسلام

(في مَجلة البيان الصادرة عن المنتدى الإسلامي – لندن العدد (66) الصفحات من (51) إلى (57) كانت قصيدة غاية في الإبداع للشاعر / عبدالرحمن العشماوي ، بعنوان: (واأمّتاه) مطلعها:

مـــاذا أقـــول لأمـــةٍ قـــد خيبـــتْ ... ظنّـــي ، وصـــارت فـــي المكـــارم تزهـــدُ؟

ســـأقول فـــي وضـــح النهـــار وإن طغـــى ... طـــاغ ، وإن كـــره المقالـــة مُلحـــد

إنـــي أرى فـــي جيـــل صـــحوتنا مُنـــىً ... مُخْضـــلة ، عنهـــا سينكشـــف الغـــد

إنـــي ـ بـــرغم الحـــزن ـ لســـت بيـــائس ... فـــالفجر مِـــن رحـــم الضـــلال ســـيولد

وفي نفس عدد البيان المذكور كان الشاعر القدير / محمود السيد الدغيم ، يعارض الفذ العشماوي بقصيدة أخرى عصماء لا تقل عن الأولى جمالاً ، ولا جلالاً ، ولا كمالاً ، يقول مطلعها:

مـــا للمعـــارك ـ ضـــدنا ـ تتصـــعدُ ... والضـــد يغتـــال المُنـــى ، ويُبـــددُ

وقيـــادة حيـــرى تخـــبّط رأيُهـــا ... لعـــدونا وعـــدوها تتـــودد

وأما خاتمة قصيدة الشاعر الدغيم فكانت تستجيش همم رجال الأمة وعزائمهم ، فتقول:

يـــا أمـــة الإســـلام : ثـــوري واثـــأري ... لا تجزعـــي إن أبرقـــوا ، أو أرعـــدوا

ولما طالعت القصيدتين سُررتُ بهما جداً وعارضتهما لفرط إعجابي بهما ، ولإحياء سُنة ماتت في أدبنا العربي المعاصر وهي فن المعارضة الشعرية! والحقيقة المُرة أن أمتنا الحبيبة تعيش مرحلة اختلال الموازيين واضطراب المعايير في آن واحد ، يرافقه ضياع الهوية والانبطاح للغرب والفتنة به في كل المجالات! يقول الأستاذ علي مصطفي الدنف واصفاً اختلال الموازين الذي تعيشه أمتنا في مقال يحمل ذات العنوان ، ونقطف منه هذه الزهرة اليانعة التي نصها: (وإذن فما هو الميزان عند الله؟ ما هو المنظار الذي يجب علينا أن ننظر إلى الناس من خلاله؟ إنه حديث المصطفي صلى الله عليه وسلم إذ قال: {إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم}! هذا هو الميزان الرباني (قلوبكم وأعمالكم) ، إذاً ليس الأمر بالمظاهر والملابس والهيئة رغم أهميتها. مسألة الدنيا عندنا هي أموال وعمارة وقصور وبساتين وزروع وثمار وذهب وفضة وسيارات ، وهي تعني عندنا أشياء عظيمة ولهذا تثقل في نفوسنا ، وهذا معروف ومشاهد في الواقع ولا يحتاج إلى شرح وتفسير وهذا تصديق لقول الله عز وجل: {زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا}! هذا ميزان البشر للدنيا أما الميزان عند الله يختلف تماماً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء}! لو كانت الدنيا تساوي عند الله شيئاً ما أعطى الكافر منها شيئاً ، تأمل كل هذه الدنيا وزخارفها وبريقها لا تساوي في ميزان الله جناح بعوضة وعندنا كم تساوي؟!).هـ. ومن هذا المنطلق كانت الدنيا عرضاً زائلاً يأكل منه البر والفاجر ، فأعطاها الله لمن يحب ولمن لا يحب! وتحت عنوان: (أمة لن تموت) يقول الأستاذ خالد بن ثامر السبيعي ما نصه: (نحن أمة لا تيأس ولا تلين ولا تستكين! لقد مرت بديار الإسلام في تاريخها الطويل أزماتٌ وأزمات ، وحلت بها بلايا ونكبات ، وزلزلت الأرض زلزالها وفي كل مرة تخرج هذه الأمة من مآزق كبرى أصلب عوداً ، وأشدُ إيماناً ، وفي كل مرة يظن أهل الكيد أنهم قدروا عليها (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون). أيها العالم: اسمع هذه الحقيقة المدوية. أمتنا قد تمرض ، ولكنها أبداً لن تموت! وإليك هذه الحقائق التي سطرها التاريخ: * لو قدّر لهذه الأمة أن تموت لماتت يوم حوصر النبي صلى الله عليه وسلم في الغار. يوم أن انطلق مشركو مكة في آثار المهاجرين يرصدون الطرق ويفتشون كل مهرب ، وراحوا ينقبون في جبال مكة ، وكهوفها ، حتى وصلوا في دأبهم قريباً من غار ثور ، وأنصت الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه إلى أقدام المطاردين تخفق إلى جوارهم ، فأخذ الروع أبا بكر ، وهمس يُحدّث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا) فقال عليه الصلاة والسلام: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما. (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه: لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه ، وأيده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا ، والله عزيز حكيم). * لو قدّر لهذه الأمة أن تموت لماتت يوم بدر ، يوم أن انطلق سواد مكة وهو يغلي يمتطي الصعب والذلول ، فكانوا تسعمائة وخمسين مقاتلاً ، معهم مائتا فرس يقودونها ومعهم القيان يضربن الدفوف ويغنين بهجاء المسلمين. لقد ظنت قريش بجهلها وحماقتها أن باستطاعتها أن تصد النور عن الأرض كلها ، تريد أن تمنع الخير عن العصور القادمة التي ستتلقى النور. ولكن هيهات هيهات. والتقى الجمعان. فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على

الناس فقال: (هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها). وانكشف وجه الجد في الأمر كله ، إن اللقاء المرتقب سوف يكون مُر المذاق! لقد أقبلت قريش تخب في خيلائها ، تريد أن تعمل العمل الذي يرويه القصيد ، وتذرع المطايا به البطاح ، وتحسم به صراع خمسة عشر عاماً مع الإسلام ، لتفرد بعدها الوثنيين بالحكم النافذ. وفي مشهد آخر: وقف أبو بكر إلى جوار الرسول عليه الصلاة والسلام وهو يكثر الابتهال والتضرع ويقول فيما يدعو به: (اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد بعدها في الأرض) ، وجعل يهتف بربه عز وجل ويقول: (اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم نصرك) ، ويرفع يديه إلى السماء حتى سقط رداؤه عن منكبيه. وجعل أبو بكر يلتزمه من ورائه ، ويسوي عليه رداءه ويقول مشفقاً عليه من كثرة الابتهال: يا رسول الله ، بعض مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك. وفي أثناء المعركة خفق النبي صلى الله عليه وسلم خفقة في العريش ، ثم انتبه فقال: (ابشر يا أبا بكر أتاك نصر الله ، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثنايا النقع!) (إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب ، فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان). ووهت صفوف المشركين تحت مطارق هذا الإيمان الزاهد في متاع الحياة الدنيا ، وصاح النبي عليه الصلاة والسلام وهو يرى كبرياء الكفر تمرغ في التراب: (شاهت الوجوه). وسقط فرعون هذه الأمة أبو جهل يسبح في دمائه على أيدي فتية الإسلام. ولقي مثل هذا المصير الفاجع! سبعون صنديداً من رؤوس الكفر بمكة دارت عليهم كؤوس الردى فتجرعوها صاغرين ، وسقط في الأسر سبعون كذلك ، وفر بقية الجيش يروون لمن خلفهم أن الظلم مرتعه وخيم ، وأن البطر يجر في أعقابه الخزي والعار. وفتح المسلمون عيونهم على بشاشة الفوز تضحك لهم خلال الأرض والسماء. (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون). *لو قدّر لهذه الأمة أن تموت لماتت يوم الخندق. إن معركة الأحزاب لم تكن معركة خسائر ، بل معركة أعصاب! إنها من أحسم المعارك في تاريخ الإسلام ، إذ إن مصير هذه الرسالة العظمى كان فيها أشبه بمصير رجل يمشي على حافة قمة سامقة ، أو حبل ممدود محفوف بالمخاطر. لقد أمسى المسلمون وأصبحوا فإذا هم كالجزيرة المنقطعة وسط طوفان يتهددها بالغرق ليلاً أو نهاراً. (إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا. هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً). لقد حفظ الله تلك العصبة في يوم محنتها. وخاب الكفار وخسروا ، ودارت الدائرة على أعداء الله (وما يعلم جنود ربك إلا هو ، وما هي إلا ذكرى للبشر). اجتمع الأحزاب وهم ينتظرون لحظة الانقضاض على المسلمين ليخسروا المعركة. فإذا بالجو قد أغبرت أرجاؤه ، وترادفت أنواؤه ، وهبت الرياح نكباء موحشة الصفير ، تكاد في هبوبها تطوي الخيام المبعثرة وتطير بها في الآفاق. وطلع النهار فإذا ظاهر المدينة خلاء! ارتحلت الأحزاب ، وانفك الحصار وعاد الأمن ونجح الإيمان في المحنة. وهتف رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول: (لا إله إلا الله وحده صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، فلا شيء بعده)! رجعت الطمأنينة إلى النفوس ، وظهرت صلابة المسلمين في مواجهة الأزمات المرهقة. ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه النتيجة الفذة الباهرة: (الآن نغزوهم ولا يغزوننا). * لو قدّر لهذه الأمة أن تموت لماتت يوم الردة. نقل ابن كثير في البداية والنهاية حديث القاسم بين محمد بن أبي بكر وعمرة بنت سعيد الأنصارية عن عائشة قالت لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب قاطبة ، وأشربت النفاق! والله لقد نزل بي ما لوا نزل بالجبال الراسيات لهاضها ، وصار

أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كأنهم معزى في حش في ليلة مطيرة بأرض مسبعة ، فوالله ما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي بخاطمها وعنانها وفصلها. قال له بعض الصحابة في حال المرتدين: إذا منعك العرب الزكاة فاصبر عليهم. فقال في حزم: والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه ، والله لأقاتلن من فرق بين الزكاة والصلاة. وصدق الصديق – رضي الله عنه -. إن الأمر لن يقف عند الزكاة! * لو قدّر لهذه الأمة أن تموت لماتت يوم فتنة خلق القرآن. حينما نصب المعتصم آلة التعذيب للإمام أحمد ، حتى إذا ضربوه الضربة الأولى ، انخلعت كتفه وانبثق من ظهره الدم ، فقام إليه المعتصم يقول: يا أحمد قل هذه الكلمة ، وأنا أفك عنك بيدي وأعطيك وأعطيك وأحمد يقول: هاتوا آية أو حديثاً. جاءه رجل يقال له أبو سعيد يقنعه بأن يجيب المعتصم ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها فقال: إن كان هذا عقلك يا أبا سعيد فقد استرحت. فما أكثر المستريحين في هذا الزمان. * لو قدر لهذه الأمة أن تموت لماتت يوم اجتاح التتار بلاد المسلمين. لقد هجم التتار على بغداد وظلوا يذبحون ويقتلون أربعين يوماً ، حتى جرت الدماء في شوارع بغداد ، وأسرفوا في المسلمين أيما إسراف ، حتى قيض الله المظفر قطز القائد المسلم الذي جعل نحره فداءً للإسلام! وأطلق صيحته الشهيرة الجهيرة في عين جالوت ، حينما أوشك التتار على الانتصار ، حيث قال بأعلى صوته: (واإسلاماه)! فهب الجيش المسلم مستجيباً النداء ، وقضوا على التتار وانتصر الإسلام. * لو قدر لهذه الأمة أن تموت لماتت يوم فساد القرامطة واقتلاعهم الحجر الأسود من الكعبة. لقد هجم القرامطة على المسلمين في بيت الله ، وذبحوا الطائفين حول بيت الله ، واقتلع أبو طاهر القرمطي الخبيث الحجر الأسود من الكعبة ، وظل يصرخ بأعلى صوته في صحن الكعبة وهو يقول: "أين الطير الأبابيل؟ أين الحجارة من سجيل؟ وكان يرمي المسلمين في بئر زمزم ويقول: (أنا بالله ، وبالله أنا *** يخلق الخلق وأفنيهم أنا). وظل الحجر الأسود بعيداً عن بيت الله ما يزيد عن عشرين عاماً ، ومع ذلك كله ردّ الله الحجر على أيد الصادقين ، وانتصر الإسلام وشاهت وجوه القرامطة. وكان نصراً مؤزراً مبيناً سجله التاريخ وحكته الأجيال كلها! * لو قدر لهذه الأمة أن تموت لماتت في الجزائر على أيدي الفرنسيين ، ولماتت في البوسنة على أيدي الصرب المجرمين ، ولماتت في الشيشان على أيدي الروس الحاقدين. ولكننا أمة لا تموت. هكذا إذن! الإسلام صخرة يتكسر عليها كل من حادّ الله ورسوله. وهكذا إذن! أمة الإسلام أمة أراد الله لها أن تبقى ما بقى الخير في هذه الدنيا! لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خالفهم إلى قيام الساعة! صحيح أن الإسلام علمنا السماحة والرحمة ، والشفق والرفق ومحبة الخير للعالمين. ولكننا لا نعطي الدنيّة في ديننا! وإن أرواحنا فداء لدين الله سبحانه وتعالى. إن فنون المُتع التي استوردناها من الغرب خلال الخمسين سنة الأخيرة ، تكفي لتدمير أمة ناهضة فكيف بأمة عليلة. وإذن فنحن نحتاج إلى جهد مضاعف ، إلى همم كالجبال الشامخات! من أجل ماذا يا ترى؟ من أجل استعادة المجد السليب!).هـ. فهل معنى توالي النكبات وكثرة الهزائم أن الأمة المسلمة قد ماتت ، وأنه لا سبيل إلى إحيائها؟ أم أنها خلقت للبقاء وللشهادة على باقي الأمم ، كما وصفها ربها تبارك وتعالى ونبيها – صلى الله عليه وسلم -؟ وتحت عنوان: (الأمة الإسلامية لن تموت ولن تهزم) يقول الدكتور عبد الله عطا محمد عمر ، ما نصه: (تعرضت الأمة الإسلامية في تاريخها الطويل إلى العديد من المصاعب والنكبات بل والقواصم ، ولكنها في كل مرة تخرج أقوى مما كانت ، وقل أن تجد أمة من الأمم واجهت ما وجهته هذه الأمة من النكبات وبقيت صامدة ، تعرضت

الأمة الإسلامية في تاريخها الطويل إلى العديد من المصاعب بل والقواصم ، ولكنها في كل مرة تخرج أقوى مما كانت ، وقل أن تجد أمة من الأمم واجهت ما وجهته هذه الأمة من النكبات وبقيت صامدة ، ولكن الأمة الإسلامية رغم كل ما لاقته فلم ولن تؤثر فيها الأحداث ، مهما تنوعت الأحوال ومهما اشتدت ظروف الزمان والمكان. إن أعظم ما يمكن أن يصيب الأمة الإسلامية أو ما أصابها فعلاً هو ما نراه في أيامنا سيطرة روح الانهزام عليها أمام أعدائها ، مما أدى إلى ضعف همتها ، وعجزها عن مجرد التفكير في عوامل نهضتها ، نعم لقد بلغت الأمة الإسلامية مبلغاً من التقهقر والهوان جعلها تتنقل من نكبة إلى نكبة ، وتهوي من نكسة إلى أخرى. ولكن من مصائبنا في هذا الزمان أن هذه الأمة التي أراد الله لها أن تكون خير أمة أخرجت للناس ، امتثالاً لأمره سبحانه حيث يقول: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) وقوله: سبحانه: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) أبت إلا أن تكون في ذيل القافلة ، ويأبى القائمون عليها إلا أن تكون مكسورة الجناح ، بانغماسهم في الترف الذي غرقوا في أوحاله ، وبكونهم يحملون روح الانهزام بعد أن كان أجدادهم وأسلافهم يحملون مشاعل النور ، ومصابيح الهدى ، عندما كانوا يتبعون قدوتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جعله الله رحمة للعالمين! من هنا فإن حاجة الأمة أصبحت ماسة لأن تعرف كنه المرض الذي أصابها وحقيقته ، وأن تقف على التشخيص الصحيح لحالتها التي باتت لا تسر أحداً من أبنائها. نعم قد تنهزم هذه الأمة ، وقد تضعف ، ويصل بها الضعف إلى المستوى الذي نحن فيه ، ولكنها بإذن الله تعالى لن تموت ، ولن تنهزم أبداً ، فإن حصل أن انهزمت في ميدان المعركة ، فليس معنى هذا أنها تنهزم في كل الميادين الأخرى ، نعم قد تخسر جولة من الجولات ، وقد تتيه حقبة من الزمان ، وقد ينتصر عليها أعداؤها في ميدان معركة نفسية ، أو فكرية ، ولكنها ستبقى دائما أمة متجددة ، بكون رسالتها خاتمة الرسالات ، وستبقى تمثل الظاهرة الفريدة في تاريخ الإنسانية ، فكل الأمم والامبراطوريات كانت تصعد وتقوى ، حتى تصل إلى درجة معينة ثم سرعان ما تعود إلى ما كانت عليه ، وقد تندثر ، كما حصل هذا مع دولة الفرس ، ودولة الروم ، ومع الحضارات كلها ، إلا هذه الأمة الإسلامية ، فهي أمة الثبات والصمود ، استطاعت أن تؤثر على المتغلب عليها ، فقد حولت المغول المتوحشين إلى مسلمين ، وكانت تجربتها معهم ومع التتار تجربة فريدة ، تأثر فيها الغالب من المغلوب ، ودخل المنتصر في دين المنهزم حين دخلوا في لإسلام طواعية. انقسمت هذه الأمة وتفرقت في عقيدتها إلى عشرات الفرق ، ودخل عليها عبر تاريخها العديد من الأفكار والآراء الباطلة ، وكان منها العديد من الحركات الباطنية التي نعرفها والتي ظهرت في فترات الضعف ، ولكن هذه الأمة بقيت وستبقى شامخة بإذن الله تعالى ، بقيت تعتز وتحتفظ بكتاب الله تعالى (القرآن الكريم) ، لم تبدّله ولم تقبل أن يتغير منه حرف واحد ، وحافظت على السنة النبوية الصحيحة ، وحفظ علماؤها لها الصحيح من أحاديث المصطفي صلى الله عليه وسلم ، وبقيت سيرته العطرة ، مرجعاً ومنبعاً لكل من يريد أن يتأسى به صلى الله عليه سلم ، وظلت هذه الأمة وستبقى أمة حية ، قادرة على العطاء في كل ميادين الحياة ، لكل من ينشد الصفاء والنور في جميع مجالات الحياة ، في الفكر والقيم والأخلاق ، وفي شتى ميادين الحياة. تعرضت هذه الأمة العظيمة إلى كافة أنواع الغزو ، الغزو الفكري ، والعسكري ، والثقافي ، والاقتصادي ، وشن عليها الأعداء من أنواع التشويه والتضليل ما لا يحصى ، ورموْهم بكل ما أمكنهم من سهام الغدر والخديعة وحاربوهم بكل أنواع الأسلحة التي استهدفت دينهم وثقافتهم

قبل تستهدف أجسادهم وأبدانهم ، ولكن هذا التضليل السياسي والفكري الذي مارسوه ويمارسونه ليل نهار في عالم المسلمين سيكون في نهاية المطاف لمصلحة الإسلام والمسلمين ، يصدق فيه قول الله سبحانه وتعالى: (إِنَّ الَّذِينَ جَاؤوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ). فرغم كل هذا التشويه والتضليل ، ورغم قسوة العداء الذي يمارسونه ، فإن أبناء هذه الأمة ما زالوا ثابتين لم يستسلموا ، ولم يهنوا ، إنما القلة القليلة هم من استسلم وخنع ، ولم يتعد هذا الخنوع أفراداً من أبناء هذه الأمة ، قد يكثرون في بعض الأوقات ، ولكنهم مهما ازداد عددهم فهم شرذمة ، أما الكثرة الكاثرة فكانت ولا تزال عصيّة عن الخضوع ، وستبقى تتلمس طرق الخلاص ، وتبحث عن سبل النهوض ، وعن المخارج التي يمكن من خلالها أن تحقق ما تصبو إليه من عمليات الإنقاذ لهذه الأمة ، مما تواجهه من غزو في شتى المجالات. ولا شك أن أنجع الطرق وأسلها للخروج من هذا التيه الذي تعيشه هذه الأمة ، بل وأسرعها على الإطلاق هو بالرجوع إلى تعاليم ديننا الحنيف ، بأن ندور مع القرآن الكريم حيث دار ، وأن نستقي منه ومن السنة الصحيحة ومن سيرة المصطفي صلى الله عليه وسلم ، ومن تجارب العظماء في تاريخنا العظيم ، ومن سجل حضارتنا القويم ، وأن نستلهم من جميع ذلك أنواع الهداية وطرق الرشاد ، ونأخذ منه العبر التي نستنير بها في مثل هذه الظروف العصيبة التي نمر بها ، أملاً في الخروج منه ، في محاولة لتجديد الحقائق التي عايشها أسلافنا ، بأسلوب يتماشى مع معطيات هذا الواقع الجديد. إن مهمة هذه الأمة مهمة عظيمة ، فهي الأمة التي اختارها الله لقيادة الإنسانية وتوجيه البشرية نحو النور والخير ، فعليها أن تُعطي الحياة دفعة قوية من معين خزائنها المليئة بأنواع الشموخ والانتصارات ، وأن تضيء لهم من منارات الهدى ، وأن تسير بهم إلى مدارج النهوض والرقي الحسي والمعنوي ، دفعة تحقق للبشرية كلها النفع والخير في مجال الأخلاق والسلوك ، قبل أن تحقق لهم نهضة في مجال المصنع والآلة ، نهضة تعنى الإنسان جسماً وروحاً ، نهضة تسهم بكل ما حباها الله تعالى في حل مشاكل هذا العالم المتأزم ، لأنها هي الأمة الوحيدة التي تملك هذا النصاب من مثل هذه القيم والتعاليم ، فهي الأمة الوحيدة القادرة على إحداث مثل هذه النهضة ، نهضة لا تستقل بالأدوات بعيداً عن عالم الروح والأخلاق ، ذلك لأن أي نهضة يمكن أن تحصل للبشرية لا تعنى بالأخلاق والقيم إنما هي نكسة على الإنسان ، وستكون طريقاً يوصل البشر إلى التنازع والاقتتال بلا شك ، إن ما تحتاج إليه البشرية في أيامنا هذه هو نهضة تقوم على الأخلاق قبل أن تقوم على المصانع والآلات ، نهضة تسعى إلى تحقيق إنسانية الإنسان قبل كل شيء ، نهضة تستجيب إلى دواعي الفطرة السليمة. لا شك أن مثل هذه الحضارة التي تقوم على مثل هذه المعاني والقيم لا يمكن أن تقوم إلا باسم الإسلام ، ولا يملك زمامها وأدوات إنتاجها إلى تعاليم القرآن المتمثلة في قيمه وأحكامه ، والمنطلقة من قول الله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) ، وقوله صلى الله عليه وسلم: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) [متفق عليه]. هذه الأمة فقط هي الوحيدة التي تملك مثل هذا التصور ، ولا شك أن هذا المعنى هو عنوان النصر الذي لا يمكن أن يهزم ، النصر الذي يدخل في بنية الحياة وأهدافها ، النصر الذي يغيّر ويعدّل مجرى التاريخ ويبقى يتجدد مع تجدد الزمان والمكان. مخطئ كل الخطأ من توهم أو يتوهم أن بإمكانه أن يلحق الهزيمة بأمة هذه مواصفاتها ، أمة ذات حضارة وقيم إنسانية سامية ، أمة لعبت وما زال بإمكانها أن تلعب دوراً كبيراً ورائداً في بناء حضارة جديدة ، يمكنها أن تخلص الإنسانية كل الإنسانية من أشكال الضياع والتيه الذي تعيشه في ظل حضارة المادة ، تلك الحضارة التي

أفقدت الإنسان قيمته ، وما زالت تسعى بكل قوة إلى أن تفقد أمنه واستقراره واطمئنانه ، لأنها لا تركض إلا خلف المال وتوابعه ، من أشكال المادة المحسوسة. ويبقى السؤال الكبير: كيف يمكن أن تعود الأمة الإسلامية إلى ما كانت عليه؟ أو إلى ما ينبغي أن تكون عليه ، لا شك أن هذه الأمة الإسلامية تملك خصائص رئيسية تتمثل في فكرها الإسلامي ، بأنواعه الثقافية والاقتصادية وغيرها ، ما يمكنها أن تستخدمه كسلاح ضد التحديات الفكرية الأيديولوجية ، ذلك أن النموذج الإسلامي يتصف بالنظرة الكلية والتوازن وبتحقيق مصلحة المجتمع ، ومصلحة الفرد معاً. ومما ينبغي التنبيه إليه في هذا المقام أن التدافع والصراع الحضاري هو سنة من سنن الحياة ، وهو أمر لازم لنمو الحياة وامتدادها ، واستمرار التاريخ ، لذلك كان لا بد منه ليتميز البشر بعضهم من بعض ، ويظهر الحق على الباطل ، وتختبر وجهة الإنسان وصبره وجلده واختياره ، قال تعالى: (كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ، وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ). ولهذا فإن المطلوب اليوم أكثر من أي وقت مضى أن يعود القائمون على قضايا الإسلام من الرواد والعلماء إلى عملية التعبئة العامة للمسلمين في كافة الميادين ، وذلك لمواجهة الهجمة الشرسة التي تتعرض لها أمتنا هذه الأيام ، وأن ندرك أبعاد وسائل الغزو بأنواعه ، التي يعمل بها في بلاد المسلمين ، في حقبة الاستكبار الصهيوني العالمي ، وذلك في محاولة منا إلى تحقيق النهوض الحضاري ، والوصول إلى الحصانة الحضارية ، والمناعة الفكرية للأمة ، والحيلولة دون سقوطها ، بما يراد لها في هذا الزمان العجيب ، وهو الخطر الذي يتعاظم يوماً بعد يوم ، والله تعالى نسأل أن يوفق القائمين على أمر هذه الأمة من العلماء الصادقين الذين تعنيهم مكانة هذه الأمة ويسعون إلى أسباب نهضتها وعلو مكانتها ، بأن يلهمهم الرشد ويهديهم ويوفقهم إلى سواء السبيل).هـ. وصدق الدكتور راغب السرجاني حيث يشخص أمراض الأمة وطرق العلاج فيقول ما نصه: (إن الناظر إلي بلاد المسلمين يجد أن كثيراً من أبناء المسلمين قد أصابهم الإحباط من واقع المسلمين ، ويئسوا من أن تقوم لأمة الإسلام قائمة من جديد. كثير من أبناء المسلمين يعتقدون أن سيادة المسلمين للعالم كانت تاريخاً مضى ، وأن المستقبل قد يكون للشرق أو للغرب ، ولكن حتماً ـ أو غالباً ـ ليس للمسلمين ، وأكثر هذه الطائفة تفاؤلاً من يعتقد أنه لو كان الإسلام سيعود من جديد لصدارة الأمم ، فإن هذا لن يكون إلا بعد عمر مديد ، وأجل بعيد ، لا نراه نحن ولا أبناؤنا ، ولا حتى أحفادنا. في هذا الجو من الإحباط واليأس ، يستحيل علي المسلمين أن يفكروا في حل القضايا وعودة المجد! نحن بحاجة إلى زرع الأمل في نفوس المسلمين ، ومحو الإحباط الذي سيطر على طوائف شتى من الأمة الإسلامية ، وبالذات الشباب منهم. لماذا أحبط المسلمون؟ إنه لمن العجب حقاً أن تحبط أمة تملك كتاباً مثل القرآن ، وحديثاً مثل حديث رسول الله صلي الله عليه وسلم. وإنه لمن العجب حقاً أن ييأس شعب له تاريخ مثل تاريخ المسلمين ، وله رجال أمثال رجال المسلمين. وإنه لمن العجب حقاً أن يقنط قوم يملكون مقدرات كمقدرات المسلمين ، وكنوزاً مثل كنوز المسلمين. عجيب حقا أن تقنط هذه الأمة ، وقد قال ربها في كتابه: "قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون". لكنها حقيقة مشاهدة ، وواقع لا ينكر. والواقع أن غياب الأمل ، وضياع الحلم ، وانحطاط الهدف ، كارثة مروعة حلت على المسلمين ، ومصيبة مهولة لا يرجى في وجودها نجاة. لا بد أن الذي زرع اليأس في قلوب بعض المسلمين أمر تعاظم في النفوس الواهنة ، وحدثٌ أكبرته القلوب الضعيفة فخضعتْ خضوعاً مُذلاً حين كان يرجى لها الانتفاض ، وركعت ركوعاً مخزياً حين كان يرجى لها القيام. لا بد أن نقف وقفات

ووقفات ، لنحلل وندرس ونفقه: لماذا صرنا إلى ما صرنا إليه؟! وكيف السبيل لقيام وسيادة وصدارة ومجد؟ أما لماذا صرنا إلى هذا الوضع ، فهذا يرجع إلى عوامل عديدة ، وتراكمات مختلفة نستطيع أن نقسمها إلى قسمين كبيرين: * القسم الأول هو واقع صنعه المسلمون بأيديهم لما فرطوا في دين الله ، وابتعدوا عن منهج الله ، واستهانوا – وأحياناً تحالفوا!- مع أعداء الله. * القسم الثاني فهو مؤامرة بشعة ، نسجت خيوطها على مدار أعوام طويلة ، وتعاون على التخطيط لها طوائف مختلفة من أعداء الأمة. * الواقع الذي يعيشه المسلمون من خيانات مستمرة في أطراف كثيرة متفرقة من العالم الإسلامي ، أدت إلى ضياع البلاد والعباد ، وأدت إلى غياب القدوة ، وفقد الثقة في كل من يقود. * الواقع الذي يعيشه المسلمون من إباحية في وسائل الإعلام الرسمية وغير الرسمية ، ومجاهرة بكل فسق ومجون وانحلال ، وافتخار بكثير من الموبقات ، وإهمال لمشاعر أمة كاملة عاشت قروناً وهي تحترم كل قانون إسلامي ، وكل أدب إسلامي ، وكل عُرف إسلامي. * الواقع الذي يعيشه المسلمون من سرقات واحتيالات ، ورشوة وفساد ، وهروب بمليارات من أموال المسلمين ، بينما يتضور بعضهم – أو كثير منهم – جوعاً. * الواقع الذي يعيشه المسلمون من انهيار للاقتصاد ، وديون متراكمة وإفلاسات مشهرة ، وسيطرة هائلة للاقتصاد الأجنبي على معظم مقاليد الأمور في البلاد الإسلامية ، واتساع مهول للفجوة بين طائفة الأغنياء القليلة جداً وبين طائفة الفقراء - أو المعدمين – عظيمة الاتساع. * الواقع الذي يعيشه المسلمون من فرقة وتناحر وتشاحن بين المسلمين ، حتى قل أن تجد قطرين متجاورين لا يتنازعان على الحدود والأفكار و أحياناً على العقائد. بل وقد يمتد الصراع أحياناً – أو كثيراً - بين المتمسكين بهذا الدين من أبناء المسلمين. هذا الواقع يورث في نفوس بعض المسلمين - أو في نفوس كثير من المسلمين - إحباطاً ويأساً يشعرون معه أن القيام من جديد - إن لم يكن صعباً - فهو من ضروب المستحيل. * والمؤامرة على الإسلام قديمة جداً وطويلة جداً وذات أبعاد كثيرة ، وليس المجال متسعاً لشرح أبعاد المؤامرة بالكامل ، ولكن ما يهمنا في هذا المقام هو الحديث – بإيجاز - عن أحد أبعاد هذه المؤامرة وهو البعد الفكري منها. لقد دأبت طوائف شتى من أعداء الأمة على العمل على انحراف أفكار الأمة عن الفكر الإسلامي الصحيح ، ومن ثم تفقد الأمة المقياس السليم للحكم على الأمور. وكان أحد الأهداف الواضحة والمحددة لهذه المؤامرة هو زرع بذور اليأس في قلوب المسلمين ، وإقناعهم باستحالة النهوض من هذه الكبوة العاتية التي وقعوا فيها. * ومع كآبة الواقع ، وضخامة المؤامرة ، وبشاعة الكيد ، فإني أعود من جديد وأتعجب. كيف يمكن أن تحبط أمة تمسك في يديها بكتاب القرآن ، وبحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! لقد حفل القرآن العظيم والحديث الشريف بالعشرات – بل المئات - من الحقائق المبشرة التي تؤكد حتمية عودة هذه الأمة لصدارة العالمين. هذا أمر لا ينكره من يدرك طبيعة هذا الدين ، وطبيعة هذه الأمة. كل ما نرجوه أن يعود المسلمون لدينهم ، وأن يأخذوه من مصادره الصحيحة لا من مصادر المستشرقين أو المستغربين. وأن يستمعوا وينصتوا لكلام ربهم وكلام نبيهم ، ولكلام من يثقون بدينهم ويعرفون إسلامهم وأخلاقهم لا لدعاة العلمانية والتحرر من قيود الدين كما يدعون! * إن هؤلاء الذين قنطوا لم يدركوا طبيعة سنن الله في الأرض ، فالله سبحانه وتعالى شاء أن يجعل الأيام دولاً بين الناس. قال تعالى: "إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الأيام نداولها بين الناس". فكما تعاني أمة المسلمين من القرح اليوم ، فقد كان هناك أيام عانى فيها الآخرون من القرح ، بينما كانت أمة المسلمين في سلامة وعافية. كل الأمم تسود

فترة وتتبع غيرها فترات. كل الأمم تقود زمنا وتنقاد لغيرها أزماناً. بل إن كل الأمم تعيش مرة وتموت وتندثر وتختفي مرات ، إلا أمة واحدة ، قد تنقاد لغيرها فترة من الفترات ، وقد تتبع غيرها زماناً من الأزمان ، لكنها لا تموت أبداً. تلك هي أمة الإسلام! أين حضارة الرومان؟! لم يبق منها إلا أطلال وأبنية. أين حضارة الإغريق؟! لم يبقي منها إلا فلسفة فارغة ، ومعابد وثنية. أين حضارة الفرس؟! ماتت ولم تترك ميراثاً. أين حضارة الفراعنة؟! بقيت منها جمادات وديار كديار عاد وثمود ، وبقيت جثث محنطة وأوراق بالية ، لكن أين الفراعنة؟ إما في بطون القبور ، أو في جوف البحر ، حيث ينتظر جنود فرعون الساعة! أين التتار وجيوشهم؟! لم يبق لهم أثر واحد. أين إنجلترا الإمبراطورية التي لا تغرب عنها الشمس؟! إنها اليوم تابع ذليل. أين الإمبراطورية الروسية القيصرية ثم الشيوعية؟! سقطت سقوطاً مروعاً. وسيأخذ غيرهم دورات ودورات ثم يسقطون ، وسيعلو نجمهم فترة ثم يهبطون ، فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين. ومن ثم فلا عجب أن ترى أمة ظالمة قد ارتفعت وتكبرت وتجبرت. إنها في دورة ارتفاع ، ولكنها حتماً لن تخرج عن سنة الله في أرضه وخلقه. إن مصيرها إلى زوال. حتماً إلى زوال. فلن تجد لسنة الله تبديلاً ، ولن تجد لسنة الله تحويلاً. وإذا كان من سنة الله أن كل الأمم تموت وتندثر ، فإن من سننه كذلك أن أمة الإسلام لها طبيعة مغايرة. إنها ما سقطت إلا وكان لها بعد السقوط قيام ، وما ضعفت إلا وكان لها بعد الضعف قوة ، وما ذلت إلا وكان لها بعد الذل عزة! لماذا؟! لأن طبيعة أمة الإسلام أنها أمة شاهدة على غيرها من الأمم "وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ، لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً". حتى الأمم الغابرة ـ قبل أمة الإسلام ـ نشهد عليها بما جاء في كتابنا القرآن ، والأمم المعاصرة نشهد عليها بما رأيناه بأعيننا ، وقومناه بمنهجنا وأحكامنا وشرعنا ، وسنظل نشهد على الأمم إلى يوم القيامة ، فنحن باقون ما دامت الحياة ، وغيرنا لا شك مندثر وذاهب. طبيعة هذه الأمة أنها تحمل الرسالة الخاتمة ، والكلمة الأخيرة من الله إلى خلقه ، وليس هناك رسول بعد رسولنا صلي الله عليه وسلم ، وليست هناك رسالة بعد الإسلام ، فلا بد وأن يحفظ الله المسلمين لأجل أهل الأرض جميعاً. طبيعة هذه الأمة أنها الأمة الوحيدة التي كان من همها أن تعلم غيرها دون ثمن ولا أجر ، بل قد يدفع المعلمون المسلمون مالاً ، ويبذلون جهداً وعرقاً ووقتاً بل ونفساً حتى يعلموا غيرهم. مَن مِن الأمم يفعل ذلك غير أمة الإسلام؟! ألم تكن الشعوب تغير علي الشعوب لتأخذ خيرها ، وتنهب أرضها ، وتقتل أهلها ، بينما كان المسلمون يضحون بأرواحهم ليستنقذوا الناس من جحيم الكفر والضلال إلى جنة الإيمان والهدي؟ ألم يقل ربعي بن عامر رضي الله عنه قولاً ما تكرر في التاريخ على ألسنة المتحضرين من الأمم غير أمة الإسلام يوضح فيه الرسالة الإسلامية بإيجاز فيقول": لقد ابتعثنا الله لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن جور الأديان إلي عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة". هكذا، لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً. هذه هي طبيعة الأمة الإسلامية. بقاؤها هو خير الأرض ، وذهابها فناء الأرض! "كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله". إذا كانت هذه هي طبيعة الأمة الإسلامية ، فلماذا الإحباط واليأس؟ يقول الله سبحانه وتعالى: "ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين". إن كل ما ذكرناه من جرائم ومكائد ومؤامرات وتزوير وتشويه وخيانات وعمالات ونفاق وكذب ـ كل هذا ـ يدخل تحت كلمة "ويمكرون". لكن انظر إلى الجانب الآخر من المقابلة: "ويمكر الله والله خير الماكرين". أيها المسلمون: إن كان أصابكم شئ من الإحباط فلكونكم لم تفهموا المعركة

على حقيقتها ، ولم تدركوا الصدام بكامل أبعاده. إنها ليست حرباً بين المسلمين والكافرين ، وإن كان ظاهرها كذلك. إنما هي في حقيقتها حرب بين الله وبين من مرق عن طريقه ، وكفر بعبادته ، وارتضى غيره حكماً ، وقبل غير كتابه شرعاً. هي حرب بين الله ، وبين طرف صغير حقير من مخلوقاته سبحانه. لكن الله من رحمته بالمؤمنين ، ومن كرمه عليهم ، منّ عليهم بأن جعلهم جنده وحزبه وأولياءه. فالمؤمنون يقفون أمام الكافرين ، ملتزمين بمنهج ربهم سبحانه في وقوفهم ، كما أمرهم يفعلون ، لا يترددون ولا يفرون ، واثقين بوعده ، راغبين في جنته ، راهبين لناره مخلصين له ، معتمدين عليه ، لاجئين إليه. إن فعلوا ذلك كان هو ـ سبحانه جلت قدرته وتعاظمت أسماءه ـ كان المدافع عنهم ، الحامي لهم ، المؤيد لقوتهم ، الناصر لجيشهم ، الناشر لفكرتهم ، المنتقم من عدوهم. واسمعوا وأنصتوا أيها المسلمون لقوله سبحانه وتعالى حتى تفهموا حقيقة المعركة: "فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى". "إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً". "ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون ، فانظر كيف كان عاقبة مكرهم ، أنّا دمرناهم وقومهم أجمعين". أيها المسلمون المعتزون بإسلامهم: هل تعلمون لمن تعملون؟! وإلى أي ركن تأوون؟! إنكم تعملون لله وتأوون إلي ركنه الشديد سبحانه! هل إذا جلس المتآمرون في جنح الظلام يدبرون ويخططون ، أهم بعيدون عن عينه سبحانه؟ "يا بُني إنها إن تك مثقال حبة من خردل ، فتكن في صخرة أو في السماوات أو الأرض ، يأتي بها الله ، إن الله لطيف خبير". هل إذا أطلق المتآمرون صاروخاً أو رصاصة ، أتسقط بغير علمه سبحانه؟! إذا كان يعلم بسقوط أوراق الشجر عبر الزمان والمكان ، فكيف بسقوط الصواريخ؟! اقرأ هذه الآيات بقلبك وجوارحك وتدبرها بعناية فائقة: "وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ، وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ، ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ، ثم إليه مرجعكم ، ثم ينبئكم بما كنتم تعملون ، وهو القاهر فوق عباده ، ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ، ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ، ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين ، قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية ، لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين ، قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ، ثم أنتم تشركون ، قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض ، انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون ، وكذب به قومك وهو الحق ، قل لست عليكم بوكيل ، لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون". هذا الإله العظيم الجليل الكبير ، هذا الإله الرحيم الكريم الودود ، يبشركم (أيها المؤمنون) في كتابه. يقول صاحب العزة والجبروت: "وكان حقاً علينا نصر المؤمنين". هكذا بهذه الصياغة العجيبة المعجزة! والله لو تنزل من آيات البشرى غيرها لكفت! هذا الإله القادر المقتدر يتعهد بنصر المؤمنين ، ويجعله حقاً عليه سبحانه. ليس هذا نصراً في الآخرة فقط بدخول الجنة ، ولكنه نصر في الدنيا كذلك. قال سبحانه: "إنّا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد". هكذا الوعد: نصر في الدارين ، في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد. إن كان هناك مؤمنون فلا بد لهم من نصر ، هكذا وعد الله ، وهو سبحانه لا يخلف الميعاد. استمعوا إلى قوله تعالى: "وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم

الفاسقون". فإذا توفر الإيمان والعمل الصالح والعبادة الخالصة دون الشرك به سبحانه ، كان الاستخلاف في الأرض ، وكان التمكين للدين ، وكان الأمن بعد الخوف. من الذي وعد بذلك؟ إنه جبار السماوات والأرض ، مالك الملك ذو الجلال والإكرام. انظروا إلى هذه الصورة الرائعة الجليلة في غزوة بني النضير يقول سبحانه وتعالى: "هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ، ما ظننتم أن يخرجوا). (أنتم أيها المؤمنون المقاتلون المجاهدون لما رأيتم مناعة الحصون وبأسها ظننتم أن اليهود لن يهزموا)" وظنوا(أي اليهود) أنهم مانعتهم حصونهم من الله (ماذا حدث؟) فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف في قلوبهم الرعب ، يُخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين (ثم ما هو التعليق على الحدث؟) فاعتبروا يا أولي الأبصار". الغاية من القصة أن نعتبر. القرآن ليس تأريخاً لما سبق لمجرد التأريخ والحكاية والسرد. القرآن كتاب عظيم ، ينبض بالحياة ، ويهدي إلي صراط مستقيم. أيها المسلمون المعتزون برسولهم صلي الله عليه وسلم: ألم تسمعوا إلى قول رسولكم وحبيبكم محمد صلى الله عليه وسلم وهو يقول في الحديث الذي رواه الإمام مسلم رحمه الله عن ثوبان رضي الله عنه: "إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها". نعم يا إخواني ، سيبلغ ملك المسلمين مشارق الأرض ومغاربها ، بكل ما تحمله الكلمة من معاني. ألم تسمعوا إلي قول قدوتكم محمد صلي الله عليه وسلم وهو يقول في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والطبراني وابن حبان وصححه الألباني عن تميم الداري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلي الله عليه سلم يقول: "ليبلغن هذا الأمر (يعني الإسلام) ما بلغ الليل والنهار (أي كل الأرض) ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين (المدر هو الحجر أي بيوت المدن ، والوبر هو الشعر أي بيوت البادية أي كل بيوت الأرض: بيوت المدن وبيوت البادية سيدخلها الإسلام) بعز عزيز أو بذل ذليل عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر". وعد من الصادق المصدوق صلى الله عليه سلم. "وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى". بل اسمع وتأمل إلى ما رواه الإمام أحمد وصححه الألباني عن أبي قبيل رحمه الله قال: "كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وسُئل: أي المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أو رومية؟ فدعا بصندوق له حلق ، قال: فأخرج منه كتاباً قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله نكتب إذ سئل رسول الله صلي الله عليه وسلم: أي المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أو رومية؟ فقال مدينة هرقل (أي القسطنطينية) تفتح أولاً". والقسطنطينية هي عاصمة الدولة الرومانية الشرقية آنذاك وهي استانبول الآن ، ورومية هي روما ، وكانت عاصمة الدولة الرومانية الغربية ، وكانتا معاقل النصرانية في العالم ، ويفهم من الحديث أن الصحابة كانوا يعلمون منه صلى الله عليه سلم أن هاتين المدينتين ستفتحان ، لكن يسألون أي المدينتين تفتح أولاً فبشر رسول الله صلى الله عليه سلم بفتح القسطنطينية أولاً ، وقد كان ، وتحققت البشارة النبوية بعد أكثر من ثمانمائة سنة! وبالضبط في 20 جماد الأولى سنة 857 هجرية ، على يد الفارس العثماني المجاهد محمد الفاتح رحمه الله ، وستحدث البشارة الثانية لا محالة ، وسيدخل الإسلام روما عاصمة إيطاليا إن شاء الله تعالى. وليس وعْد رسول الله صلى الله عليه سلم بمدينتين فقط: القسطنطينية ورومية ، فقد وعد كما ذكرنا بفتح الأرض جميعاً ، ووعد ربنا بنصر المؤمنين ، ولقد رأينا ذلك كثيراً في صفحات تاريخنا لا أقول أياماً أو شهوراً أو سنوات ، بل رأيناه قروناً عديدة. لقد كان المسلمون ينتصرون دائماً وهم أقل عدداً وعدة: * انتصر المسلمون علي عدوهم في بدر ، مع فارق العدد والعدة ، انظروا إلى وصفه سبحانه:

"ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ، فاتقوا الله لعلكم تشكرون". * انتصر المسلمون في موقعة اليمامة باثني عشر ألفاً من المجاهدين على أربعين ألفاً (على الأقل) من المرتدين. * فتح خالد بن الوليد رضي الله عنه العراق بثمانية عشر ألفاً من الرجال الأبطال ، فدك حصون الفرس في خمس عشرة موقعة متتالية دون هزيمة ، وكان أقل جيوش الفرس تبلغ ستين ألفاً ، ووصلت إلى مائة وعشرين ألفاً في موقعة الفراض. * انتصر المسلمون المجاهدون في موقعة القادسية باثنين وثلاثين ألفاً من الرجال الأفذاذ على مائتين وأربعين ألفاً من الفرس ، وكانت موقعة فاصلة كسرت فيها شوكة الفرس ، وقتل فيها معظم قادة الجيش الفارسي. * انتصر المسلمون المؤمنون في موقعة نهاوند بثلاثين ألفاً على مائة وخمسين ألفاً من الفرس. * انتصر المسلمون الصابرون في حصار تُستُر بثلاثين ألفاً على مائة وخمسين ألفاً من الفرس ، وقد تكرر القتال أثناء ذلك الحصار ثمانين مرة ، وانتصر فيها المسلمون جميعاً دون هزيمة واحدة! * انتصر المسلمون الموحدون في اليرموك بتسعة وثلاثين ألفاً على مائتي ألفاً من الرومان. * انتصر المسلمون في معركة وادي برباط في فتح الأندلس باثني عشر ألف رجل على مائة ألف قوطي أسباني. لقد رأينا ذلك وأمثاله مئات - بل آلاف - من المرات. وما هذا الذي ذكرته إلا مقتطفات يسيرة من سفر الإسلام الضخم! اقرأوا التاريخ يا إخوتي. فوالله الذي لا إله إلا هو ، لا يوجد تاريخ في الأرض مثل تاريخ المسلمين ولا يوجد دين مثل دين المسلمين ، ولا يوجد رجال مثل رجال المسلمين. أيها المؤمنون: من تقاتلون؟ وأي الأقوام تحاربون؟ أليسوا اليهود ومن عاونهم؟! أليسوا الذين قال عنهم ربنا: "ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا؟" أليسوا الذين قال عنهم ربنا: "لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرىً محصنة أو من وراء جدر"؟ أليسوا الذين قال عنهم ربنا: "ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا"؟ هؤلاء هم اليهود! "أتخشونهم؟ فالله أحق أن تخشَوْه إن كنتم مؤمنين ، "قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ، ويذهب غيظ قلوبهم ، ويتوب الله على من يشاء ، والله عليم حكيم". إن كان اليهود أو كانت الأرض جميعاً معهم: * أتخشون كثرتهم وأحزابهم وتجمعهم؟ ألم يخاطبهم الله وأمثالهم بقوله: "ولن تغني عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت ، وأن الله مع المؤمنين"؟ * أتخشون عدتهم؟ ألم يقل ربنا: "قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد"؟ * أتخشون أموالهم؟ ألم يقل ربنا: "إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ، فسينفقونها ، ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ، والذين كفروا إلى جهنم يحشرون"؟ * أتخشون عقولهم وجوارحهم؟ ألم يصفهم ربنا بقوله: "لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ،أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون". * وهل رأيتم هذا المجتمع من داخله؟! لقد شاهدنا مجتمعاً مهلهلاً مفككاً منحطاً ، يعيش على الرذيلة ، ولا يهتم بالفضيحة. أهواءه تسيره ، ورغباته تحركه ، وشهواته تسيطر عليه وتدمره. انظروا معي إلى هذه الأرقام تصف حال المراهقين الأمريكان الذين لم يبلغوا بعد ثمانية عشر عام من العمر ، والذين سيحكمون بلدهم بعد عشر سنوات: • 55٪ من هؤلاء الشباب ارتكبوا جريمة الزنا ، وترتفع النسبة إلى 80٪ في المدن الكبرى وتنخفض إلى 33٪ في المناطق الريفية. أي أن أشرف مناطق أمريكا يرتكب فيها الزنا بنسبة 33٪! هذا تحت الثامنة عشرة من العمر ، فإذا صعدنا فوق ذلك قليلاً قاربت النسبة 90٪! • ثلاثمائة وخمسون ألف حالة حمل بدون زواج كل عام في البنات الأصغر من 18 سنة ، وهذا عدد أقل بكثير من الحقيقي ، وذلك لكثرة الإجهاض! • 24٪ من العائلات الأمريكية ليس فيها

أب ، إما لأن الأم لا تعرف الأب لأنها ارتكبت الزنا مع أكثر من رجل ، وإما بسبب الطلاق! • 40 ٪ من الشباب المراهق يجربون المخدرات! أما الخمور فحدث ولا حرج فالرقم أكبر بكثير من أن يُحصى. • الجرائم زادت في مدينة دالاس الأمريكية بنسبة 70٪ في عام واحد! (من سنة 1998 إلى سنة 1999). • السبب الثالث للوفاة في المراهقين هو الانتحار! أي أن الانتحار هو السبب الثالث في الوفاة في المراهقين الذين سيحكمون أمريكا بعد ذلك. أمريكا وحدها تسجل 32000 حالة انتحار كل عام! • عدد المرضى بالقمار الإجباري (أي إدمان القمار) واحد من كل سبعة من المراهقين. هذه هي أمريكا من الداخل! هذا هو مجتمع أمريكا المهلهل الذي نخشاه! أخي: أتشك في نصر على قوم كهؤلاء؟ أتشك في نصر على جيش غالبيته من الزناة والشواذ؟ أتشك في نصر على جيش أشرب في قلبه حب الخمور والمنكرات؟ "لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد ، متاع قليل ، ثم مأواهم جهنم ، وبئس المهاد". "ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون". إن النصر لا يأتي إلا بعد أشد لحظات المجاهدة. أخي يا من تظن أن النصر قد تأخر: اعلم أن النصر لا يأتي إلا بعد أشد لحظات المجاهدة. ألم تسمع إلى قوله تعالى: "حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا ، جاءهم نصرنا ، فنجي من نشاء ، ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين". في هذه اللحظة التي ظن فيها الجميع ـ الرسول وقومه ـ أن الأمر قد وصل إلى نهايته في التكذيب والظلم والإعراض والشك في هذه اللحظة التي وصل فيها الأذى للدعاة إلى مداه ، وقد ثبت الدعاة على مبادئهم. هنا في هذه اللحظة فقط "جاءهم نصرنا". اسمع أيضاً إلى قوله تعالى: "أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا ، حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه ، متى نصر الله". في هذه اللحظة التي بلغ فيها السيل الزبى ، والصبر إلى نهايته ، في هذه اللحظة المجيدة يقول سبحانه: "ألا إن نصر الله قريب". ألم تلاحظ في السيرة النبوية أن أشد لحظات الابتلاء للمؤمنين كانت في غزوة الأحزاب ، حيث وصفها ربنا في كتابه فقال: "وإذ زاغت الأبصار ، وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً". ألم تلحظ أنه بعد غزوة الأحزاب كان المسلمون في فتح يتلوه فتح؟ بعد أشد لحظات المجاهدة ، جاءت الحديبية ، ثم مكة ، ثم الطائف ، ثم جزيرة العرب بكاملها. أمجاد تعقبها أمجاد ، وأيام نصر وفرح وتمكين. أنتم الأعلون أحبابي: أحمل لكم آية عجيبة ، وكل آيات الله عجيبة. آية هي كنز من كنوز المنان ، وعطية من عطايا الرحمن: "ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين". أتعلمون أيها المسلمون: متى نزلت هذه الآية؟ لقد نزلت بعد غزوة أحد! بعد الهزيمة! وذلك ليعلم الله المؤمنين أن العزة والعلو لا يتأثران بهزيمة مرحلية ، ولا يرتبطان بنصر مرئي ، ولا يعتمدان على تمكين مشاهد. وليُعلم الله المؤمنين أن الأيام دول ، وأن للتاريخ دورات ، فلهذا دورة ، ولهذا دورة ، أما الدورة الأخيرة فللمؤمنين إن شاء الله. • أنتم الأعلون ، لأن إلهكم الله الذي لا إله إلا هو سبحانه ، وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً. • أنتم الأعلون ، لأنكم أتباع النبي الخاتم محمد صلي الله عليه وسلم ، خير الخلق ، وسيد الرسل والماحي الذي يمحو الله به الكفر ، والحاشر الذي يحشر الناس على قدمه ، والعاقب الذي ليس بعده نبي صلى الله عليه وسلم. • أنتم الأعلون لأن كتابكم القرآن فيه نبأ من قبلكم ، ونبأ ما يأتي بعدكم ، وحكم ما بينكم ، من خالفه من الجبابرة قسمه الله عز وجل ، ومن ابتغى العلم في غيره أضله الله عز وجل ، وهو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، وشفاؤه النافع عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه ، لا يعوج فيقوم ، ولا يزيغ

فيستقيم ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلقه كثرة الترديد. • أنتم الأعلون ، لأن شريعتكم الإسلام ، دين ودنياً جسد وروح ، عقل وقلب ، ما ترك الله في شريعته من شئ إلا وضحه وبينه: "اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً". • أنتم الأعلون ، لأنكم الأكمل أخلاقاً. "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق". • أنتم الأعلون لأنكم الأقوى رابطة: "لو أنفقت ما في الأرض جميعًا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم". • أنتم الأعلون ، لأن الملائكة الطيبين تثبتكم. "إذ يوحي ربك للملائكة أني معكم ، فثبتوا الذين آمنوا". • أنتم الأعلون ، لأن الطمأنينة في قلوبكم "وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله ، إن الله عزيز حكيم". • أنتم الأعلون ، لأن الجنة موعدكم. "إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا ، وأنت خير الراحمين ، فاتخذتموهم سخرياً ، حتى أنسوكم ذكري ، وكنتم منهم تضحكون إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون").هـ. وإذن فأمة الإسلام والمسلمين هي الأعلى ، ولن تموت هذه الأمة ، ولن تندثر. إن الذي تعيشه أمتنا هو حالة من التردي والتراخي لا تزيد! وسيعقبها بإذن الله تعالى نصر مؤزر مبين ولا شك! ونحن قد سُقنا من الآيات والأحاديث ما يثبت ذلك ويجليه لنا كالشمس. ولكل عالم هفوة ، فلعل هذه هفوة أمتنا! ولكل جواد كبوة ، فلعل هذه كبوة أمتنا. ولله الأمر من قبل ومن بعد. نعم لله الأمر كله ، وإليه يرجع الأمر كله. "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين"! وأعيش مع نصح أمة الإسلام مشخصاً الداء ، وواصفاً الدواء ومشخصاً لأمراض الأمة عسى الله أن يؤيدها ، ويعيدها لسالف مجدها التليد!)

57 - من الهاوية إلى بر الأمان

(في جريدة عكاظ (السعودية) العدد 8641 يحكي هذا المدمن قصته ، فيقول: (كان المنعطف الأول في حياتي في سن مبكر جداً حيث كان عمري آن ذاك ست سنوات لا غير ، وقبل أن أعي الحياة وأدركها كما ينبغي صحوت على (مأساة عائلية). لقد طلق والدي أمي ، وانفصلتْ عنه ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل ازداد الأمر تعقيداً حينما قررتْ أمي أن تتزوّج ، واختار أبي زوجة أخرى ، فأصبحت تائهاً مشتتاً ضائعاً بين الاثنين ، وكما يقولون: (أمران أحلاهما مُر) ، فعند أبي كنت أقابل بمقالب زوجة أبي ، أما عند أمي فكان زوج أمي يكشر عن أنيابه دائماً في وجهي ، ومن الطريف أنني كنت دائماً حاضراً عند كليهما ، فكنت الحاضر الغائب ، والموجود المفقود. ومع هذه الظروف العائلية غير الطبيعية ، ومع التفكك والاضمحلال الأسري ، سقطتُ في هوّة الإدمان مع رفقاء السوء ، ووجدت معهم الملاذ الذي افتقدته ، والعطف والاهتمام الذين حرمت منهما ، طبعاً لم يكن عطفاً واهتماماً خالصاً لوجه الله إنما كان من أجل الوصول إلى أغراضهم الخبيثة. أصبحت أقضى معظم وقتي مع أولئك الأشرار ما بين شرب وتعاطٍ وإدمان ، وحينما يسألني أبي أين كنت؟ أقول له عند أمي ، وحينما تستفسر أمي عن غيابي ، أقول لها: كنت عند أبي ، وهكذا يظن كلاهما أنني موجود ، وكنت مفقوداً. ويعتقد كلاهما أنني حاضر ، وكنت في تلك الأثناء الغائب الوحيد عن الحياة الساقط في التيه والضياع. كان هذا هو المنعطف الذي ألقى بي في هاوية الإدمان ، ولكن كيف خرجت إلى شط الأمان؟ تلك قصة أخرى سأرويها لكم: ففي ليلة من الليالي ، وبعد سهرة تطايرت فيها الرؤوس وتلاعبت بها المخدرات ، خرجنا من (الوكر) لكي نتنفس الهواء العليل ليزيدنا طربا على طرب! ونشوة إلى نشوة! وبينما كنا في سعادة وهمية غامرة ، وغيابات كاذبة ، إذ بالسيارة

تنقلب عدة مرات. كنا أربعة من الشياطين داخل السيارة ، ولم يبق إلا أنا نجوت بأعجوبة. بفضل الله تعالى. ومكثت في المستشفى عشرة أيام كاملة ما بين الحياة والموت ، غيبوبة كاملة تماماً ، كتلك التي كنت أحياها من قبل. وأفقت من الغيبوبة الصغرى عقب الحادث ، على حقيقة الغيبوبة الكبرى التي كنت أحياها ، واكتشفت نفسي من جديد ، وشعرت بالإيمان بعد أن مات الإحساس لديّ ، وعدت إلى الله ضارعاً مستغفراً حامداً شاكراً ، لأنه تولاني وأنقذني من موتتين: موت السيارة ، وموت الإدمان ، وخرجتُ من المستشفى إلى المسجد مباشرة ، وقطعتُ كل صِلتي بالماضي ، وأحمد الله أنني دخلت المسجد بدلاً من السجن ، والقرآن الكريم هو أوفى صديق لي ، لأنه يلازمني وألازمه. هذه قصتي باختصار ، وأنصحُ إخواني الشباب وغيرهم بالحذر من رفقاء السوء ، الذين يلبسون للناس جلود الضأن من اللين ، ألسنتهم أحلى من العسل ، وقلوبهم قلوب الذئاب ، كما أنصحُهم بالبعد عن المخدّرات فإنها رأس كل خطيئة! والله الموفق).هـ. وقال الحسن البصري: للمؤمن أربع علامات: كلامه ذكر ، وصمته تفكر ، ونظره عبرة ، وعلمه بر ، وكان بعض الصالحين يقول: إني لأخرج من منزلي ، فما يقع بصري على شيء إلا رأيت لله علي فيه نعمة ، ولي فيه عبرة. فهنيئاً لمن تفكر واعتبر ، وتذكر واتعظ. والحكاية على ألسنة الحيوانات والنباتات كانت سبيلاً إلى التعبير في مرحلة من المراحل! فهيا بنا ندرك من حكاية الأسد مع الثعلب والأرنب والضبع! خرج الأسد بصحبة ثعلب وضبع في رحلة صيدٍ فاصطادوا حماراً وظبياً وأرنباً! فقال الأسد للضبع: اقسم بيننا! فقال: الأمر هين ، الحمار لك ، والظبي لي ، والأرنب للثعلب! فضربه الأسد ضربة قضت عليه ، ثم أقبل على الثعلب وقال له: إن هذا الخائن لم يحسن القسمة فاقسم أنت! فقال: يا أبا الحارث الأمر بيّن ، الحمار لغذائك والظبي لعشائك وكل الأرنب فيما بين ذلك! فقال الأسد: ما أحسن قضاءك؟ مَن عَلمك هذا؟ فقال: علمنيه موتُ هذا الخائن ، والعاقل من وعظ بغيره! ترى ما أحوجنا هذه الأيام لأن نتعظ من غيرنا وبغيرنا! وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لمّا كان ليلة من الليالي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي» ، قلت: والله إني لأحب قربك ، وأحب ما سرك ، قالت: فقام فتطهر ثم قام يصلي ، فلم يزل يبكي حتى بل حِجره - أي ثوبه - ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل لِحيته ، ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بلّ الأرض ، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة ، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟ لقد نزلت علي الليلة آية ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر فيها: (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب). والحق أن العاقل من وعظ بغيره والشقي من وعظ به غيره! وكان ابن مسعود يقولها في آخر خطبة الحاجة كما في لفظ الطبراني في المعجم الأوسط: "فَأَحْسَنُ الْهُدَيَ هُدَيَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَصْدَقُ الْحَدَيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ ضَلَالَةٌ أَلَا إِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ، وَإِنَّ السَّعِيدَ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ". ويقول الحسن البصري: الفكرة مرآة تريك حسناتك وسيئاتك ، فالعاقل في تفكر دائم ، للرقي بالنفس ، والاستزادة من الخيرات وفعل الصالحات ، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون). وقال جل وعلا: (فاعتبروا يا أولي الأبصار). أي: اتعظوا يا أصحاب العقول النيرة والألباب الفذة المتوقدة. وضرب الله تعالى لنا الأمثال في القرآن الكريم لتكون ذكرى للذاكرين وموعظة للمتقين! وقص علينا سبحانه من نبأ المرسلين ، وأحداث السابقين الأولين للعبرة والعظة ، فقال الله تعالى: (لقد كان في قصصهم عِبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً

يُفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون). وعندما طالعتُ قصة المدمن التائب رحتُ أحكي شعراً على لسان ذلك التائب العائد ، وأتخيله يحكي للمدمنين والمنحرفين قصته لعلهم يعتبرون بها في حياتهم ، ويلتمسون فيها النصيحة ، والعرب تقول: (العاقل من وعظ بغيره ، والمجنون من وعظته نفسه) أي كان حال غيره سبيلاً إلى انتصاحه ورجوعه عن الغي!)

58 - إلى صاحب القلم النزيه

(أستاذنا أحمد خليل جمعة ، صاحب قلم نزيه ورؤيةٍ صادقةٍ ثاقبةٍ وبصيرةٍ متقدة. كتب موسوعات في السيرة منها: (رجال مبشرون بالجنة – نساء مبشرات بالجنة – المبشرون بالنار – نساء الأنبياء – رجال من عصر النبوة – رجال من عصر التابعين – نساء من عصر التابعين). كتبها بأسوب رائع وشيق. وقل أن يُورد أثراً إلا ويشير من قريب أو من بعيد إلى مصداقيته ودرجة صحته ، أو على أقل تقدير يورد المصدر الذي استقى منه المعلومة ، وذلك في محاولةٍ منه ليجنبنا عنت البحث والتحري! فحفظ الله الكاتب الكبير المحترم الفاضل أحمد خليل جمعة. وأراه بعد أن استولى على إعجابي لهذا الحد قد استحق مني تحية شعرية على البحر الطويل ، تقديراً لجهوده في إحياء السيرة والتاريخ الإسلامي. وكما قلت وأكرر بأن تحايا الشعراء يجب أن تكون شعراً ينشدونه بقلوبهم قبل تسطيره بأقلامهم! ولذا حييته من قلبي!)

59 - إلى صديق حزين

(هذه القصة نقشتها وعمري أربع وعشرون سنة. وأستميح القارئ عذراً إن هو لم يلمس فيها من الجودة ما كان يأمل ويتوقع. والكتابة إلى الأصدقاء أو عنهم تجعلني في حيرة من أمري خاصة إن كنت أواسيهم في حزن قد ألمّ بهم. وهذا أحدهم صديق حزين كئيب قلما رأيته يضحك أو يبتسم ، ومن هنا رحت أواسيه ، وعند مواساتي أدركتُ أن الجميع في حزن ، فهي إذن قضية عامة! ومما يظهر الأمر ما ابتلي الله به عباده في الدنيا من السراء والضراء قال سبحانه: (فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول: ربي أكرمن ، وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول: ربي أهانن! كلا). يقول الله سبحانه ليس الأمر كذلك! ليس إذا ما ابتلاه فأكرمه ونعّمه يكون ذلك إكراماً مطلقاً ، وليس إذا ما قدر عليه رزقه يكون ذلك إهانة بل هو ابتلاء في الموضعين وهو الاختبار والامتحان! فإن شكر الله على الرخاء وصبر على الشدة ، كان كل واحد من الحالين خيراً له كما قال النبي: (لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء فشكر كان خيراً له ، وإن أصابته ضراء فصبر كان خيراً له! وإن لم يشكر ولم يصبر كان كل واحد من الحالين شراً له)! فإلى كل صديق براه الحزن ، وألجمه الوجد وأخذ منه الألم مأخذه ، وأكل على أناته العذاب وشرب أهدي هذه القصة.)

60 - إلى عالم الدنس تذهبون!

(عائلة واحدة ، ودربان متباينان. والذي يوضّح هذا للعيان أن نصف أفرادها - عند حلول العطلة الدراسية - يذهبون إلى مكة للعمرة. وأما النصف الثاني فيعتمر في بانكوك! إنها معركة الإنسان مع غريزته المستترة في أغوار نفسه ، والهالكون في أغوار هذه المعركة من البشر

كثيرون ، والناجون قليلون ، يجتمع للمنتصر في معركته إقامة المروءة وصون العرض وحفظ الجاه وراحة البدن وقوة القلب وطيب النفس وإقامة الفؤاد على الدين وانشراح الصدر وقلة الهم والغم والحُزن وعز المكانة ونضرة الوجه ومهابة في قلوب العباد وزوال الوحشة وقرب الملائكة وبعد الشياطين وذوق حلاوة الطاعة وطعم حلاوة الإيمان وزيادة في العقل والفهم ، حاكياً عن الفريق المعتمر في مكة ينصح عبيد بـانكـوك!)

61 - رسالة إلى فنانةٍ معتزلة

(تابت وأنابت إلى الله – عز وجل - مما كانت فيه من الجاهلية والبُعد عن الشرع البريء المطهر. وهذا هو تعبيرها الذي استخدمته بعد التوبة ، تقول: (لقد كنتُ في جاهلية جهلاء. وكنت أعايش السفول والانحطاط ، وأزعم أنني كنت على الحق!) ، وأرادت من أعماقها أن تنصح وتبين وتدعو ، فاتجهت إلى الكتابة ، ودخلت عالم التأليف! فكانت عناوين كتاباتها الأولى تتناول الجنس من منظور إسلامي. وأرى أن الأحرى بل الأولى والأليق ، هو أن تتناول قضايا التوحيد والعقيدة. وخاصة أنها كانت من رقيعات أهل الفن يوماً ما في جاهليتها ، على حد تعبيرها الصادق. فأنشدتُ شعراً أنصح لها بأن تتريث ، بل وتركز دعوتها على أصول الشريعة ، وأظن أن هذا أفضل. إذ إن السلوكيات الشائنة والانحرافات لم تأتها إلا من انحرفت عنده العقيدة. وإذن فصلاح العقيدة يعنى صلاح السلوك. وأما الجنس وقضاياه فقد كفاها غيرها. ثم إن كتابتها فيه من منظور إسلامي قد لا يقبله الناس منها لِما كان منها من انحراف ، إذ كانت يوماً من رؤوس الانحراف الجنسي الفني. فماذا تعني نصيحتها اليوم في ذات ما كانت سبباً في ترويجه بالأمس؟ التوحيد أولى وأجدر بأن لا يثير حولها الكثير من الجدل والتساؤلات ولا القليل. وعلى قافلة التائبين والتائبات أن تعطى لنفسها الفرصة حتى تدرس الإسلام والإيمان حتى يتسنى لها فعلاً أن تدعو إلى الله بكل وضوح وبصيرة واعتدال. ذلك أن أهل السفول والانحطاط لم يتخذوا الرذيلة منهجاً في الحياة باسم الفن ، ولا اتجه الآخرون لمشاهدة هذا السفول وذلك الانحطاط والتعري البهيمي العجماوي والاستمتاع به إلا بعد أن وهنت عقيدة لا إله إلا الله في القلوب والضمائر والنفوس والمشاعر! وأيما قوم كانت العقيدة عندهم صافية واضحة خالية من غبش التصورات ووسوسة الشياطين الإنسية والجنيّة ، فإنهم لا شك بعيدون عن الانحطاط والسفول ، بريئون ممن يمارسه أو يشاهده أو يجيزه أو يستمتع به! وإذا ما افترضنا أن وقعوا لحظة أو لحيظات في حبائل إبليس اللعين ، فإنهم سرعان ما يتوبون إلى الله تعالى. (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون). وإنني أسطر هذه الرسالة لتلك الفنانة المعتزلة من هذا الباب. وخاصة أن استوديوهات المحطات الفضائية الجاهلية الملعونة لا تكف عن نشر وإذاعة هذا السفول وذلك الانحطاط لذات الفنانة ومن تاب مثلها! وكأنها حرب ضد من اعتزل الجاهلية! على الرغم من أنهم لم يعدموا المطايا والعجماوات العارية المنفلتة من إسار الآدمية ورباط الكرامة الحوائية! ومن هنا أقول لها: دعي الناس تقرأ عن الجنس من منظور إسلامي لغيرك من الذين لم يتدنس ماضي حياتهم بما تدنس به ماضيك! ولا أقول ذلك تشفياً فيك معاذ الله. ولكن لو كان ولا بد من الكتابة فلتكن من الباب الذي دفعك إلى الانحراف والتعري باسم الفن ، وهو ذاته الباب الذي يجعل الجماهير الجاهلية كالكلاب العاوية التي تلهث وراء أفلامك وسفولك وانحطاطك وعريك. إنه غياب التوحيد وضياع العقيدة. فإذا أشبعت ذلك الباب بحثاً ودراسة ودعوة ، فإنه يمكن أن تكتبي فيما شئت بعد ذلك لا قبله! وأعط لنفسك فرصة في دراسة الحق ومعرفته! ألا ترين أن السيناريو الخاص بالفيلم يحتاج إلى وقت طويل في دراسته وحفظه! وهو باطل ولا شك ، والله يُعين عليه من اتجه إليه. (قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً) ، (نسوا الله فأنساهم أنفسهم) ، (فنسوا حظاً مما ذكروا به ففتحنا عليهم أبواب كل شيء). وكذلك الحق وأهله ، فإن العبد إذا اتجه إلى الله وأراد أن يتبع سبيل المؤمنين وطريق الهداية الحقة ، فإن الله يعينه عليه: (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) ، (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين). وأكتفي بهذا المقدار!)

62 - إلى مظلوم مقهور

(أجعل حديث النبي – صلى الله عليه وسلم – الظلم ظلمات يوم القيامة ، مقدمة ومعنى عنوان هذه القصة ويكفي ، إذ إنه – صلوات ربي وتسليماته عليه أوتي جوامع الكلم. وأصَبّر بهذه القصيدة الحزينة كل مظلوم. وأوصيه بالاحتساب والتصبّر حتى يأتي الله بأمره. وأذكّره بأن الظلم والظالمين في جلد على امتداد التاريخ الإنساني كله. في كتابه (وماذا بعد الظلم؟) يقول الأستاذ عبد الحميد السحيباني ما نصه: (إن الناظرَ في أحوال الأمم والشُّعوب قبلنا - وبخاصة الظالمين منهم - ممَّن أهلكه الله – تعالى - لَيَأْخذ من ذلك عظاتٍ وعبرًا ؛ كيف لا وقد قال - سبحانه: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُون). إنَّ في تأمُّل مصير الظالمين وما جرى عليهم من الإهلاك عبرةً لكلِّ جبَّار عنيد ؛ نعم ؛ الجبَّارُ الذي ما كان يَهْدَأُ له بال في الدُّنيا إلَّا وهو يرى بأمِّ عينيه دماءَ الأبرياء من المؤمنين تنـزف على يد زبانيته المجرمين ، فما يحرك له ذلك ساكناً ؛ بل وكأنَّ شيئًا لم يكن! وهو – زيادة على ذلك - قد أطلق لنفسه العنان ، فأغرقها في الشَّهَوات والشُّبُهات ؛ منتهكًا بذلك الحرمات ، ضاربًا بالشَّرع المطهَّر عرضَ الحائط: (وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ). ما المصيرُ الذي صار إليه أولئك الطُّغاة الذين ملكوا القوَّةَ والمالَ وأسبابَ البقاء والغَلَبة؟! ألم يأخذهم الله جميعًا بعدما فَتَنوا النَّاسَ وآذَوهم طويلًا! (فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ). وهكذا يكون مصيرُ كلِّ ظالم ومتجبِّر على مَرِّ الأزمان والدُّهور ، ولا يَبْقى إلَّا حماية الله – تعالى - وركنه القويّ الرَّكين. إنَّها حقيقةٌ ضخمة عُني بها القرآن الكريم ؛ حيث قرَّرها في نفوس الفئة المؤمنة ، فكانت بذلك أقوى من جميع القوى التي وَقَفَتْ في طريقها ، وداست بها على كبرياء الجبابرة في الأرض ، ودكَّت بها المعاقلَ والحصونَ. لقد استقرَّتْ هذه الحقيقةُ الضَّخمةُ في كلِّ نفس وعمَّرت كلَّ قلب ، واختلطت بالدم ، وجرت معه في العروق ، ولم تَعُدْ كلمة تقال باللِّسان ، ولا قضية تحتاج إلى جدل ؛ بل بديهة مستقرة في النَّفس لا يجول غيرها في حسٍّ أو خيال. قوَّةُ الله هي القوة ، وولاية الله هي الولاية ، وما عداها فهو واهنٌ ضئيلٌ هزيلٌ مهما علا واستطال ، ومهما تَجَبَّرَ وطَغَى ، ومهما مَلَكَ من وسائل البَطْش والطُّغيان والتَّنكيل. إن ابن كثير– رحمه الله - في كتابه (البداية والنهاية) تناول نهاية كثير من الطُّغاة والظالمين ؛ بدءاً بفرعون وقومه حتى العصر الذي عاش فيه ابن كثير).هـ. فهو إذن الصراع المستمر المتواصل إلى يوم القيامة. وعزائي أن الله يرفع دعوة كل مظلوم فوق الغمام ويقول: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين. وعزائي أن الله يسمع ويرى! وعزائي أن ظلم الظالمين يحدث لحكمة ، وهذا يكفي.)

63 - إلى من يهمه الأمر

(دُعِيتُ إلى سلسلة محاضرات تربوية في أم القيوين ، وذلك في دار غربتي ، وكانت هذه المحاضرات عن التربية وكيفية النهوض بها. وكنت سعيداً أيما سعادة. ولكن إرادة الله أن أجد فيها ما يعكّر الصفو نسبياً ، حيث احتوتْ الملتقيات التربوية العلمية أساتذة لنا أفاضل نفتخر بأستاذيتهم! كما احتوتْ أراذل يتطاولون على اللغة العربية وينالون منها بغير الحق ، فحزنتُ

على اللغة العربية. وكان من قدر الله تعالى أنني أخذتُ أنافح عنها قدر استطاعتي. وبعد الفراغ من الملتقيات التربوية تلك ، أخذت أنسجُ هذه القصيدة بيتاً بيتاً إلى أن أتمّها الله علي. وأهديتها إلى من يهمه أمر اللغة العربية في الأرض اليوم. وموجهاً إياها إلى هذا المرتزق بها بيننا ، وأهديتها إلى كل متطاول عليها مهما كانت منزلته! قال الأستاذ أنور الجندي في محاضرة له عن المؤامرة على اللغة الفصحى ما نصه: (ما تزال المؤامرة على اللغة العربية الفصحى مستمرة لم تتوقف. لها خيوطها المرتبطة بالاستعمار والاستشراق والتبشير والتغريب. ثم تضاعفت الدعوة إليها وتنوعت مرتبطة بالصهيونية والماركسية. وهي مؤامرة تلبس في بعض حلقاتها ومراحلها ثوب البحث العلمي. وتحاول أن تدّعي أنها تستهدف الخير والتقدم. والصورة المعروضة اليوم تخدع الكثيرين. وربما تجد لها من بعض الشباب الذي لم يلم إلماماً كافيا بخطوات المؤامرة ، استجابة ساذجة. وقد كانت المؤامرة على اللغة العربية أساساً تستهدف الدعوة إلى العامية ، أو كتابة العربية بالحروف اللاتينية ، وأخذت في بعض الأوقات الدعوة إلى معارضة مفاهيم النحو أو نطق الكلمات ، وجرت في خلال السنوات الطويلة الممتدة منذ حمل لواءها المبشر الإنجليزي وليم ويلكوكس في مراحل متعددة ، وانتقلت من مصر إلى المغرب إلى الشام ولبنان ، واستطاعت أن تجد لها دعاة ممن يكتبون بالعربية خلفوا أولئك الأجانب الذين حملوا اللواء أول الأمر. والذين ينظرون اليوم في مشروع العربية الأساسية الذي تقدمت به بعض الهيئات الأجنبية في حزيران- يونيو 1973م في مؤتمر برمانا ، ومنذ أن ارتفعت صيحة الدكتور عمر فروخ بالكشف عنه وإذاعته واهتمام الجهات المختصة به ، حتى أصدرت إحدى الهيئات الإسلامية وهي: مجمع البحوث بالأزهر تحذيرها الخطير بتوقيع الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر! أقول إن الذين ينظرون في هذا المشروع اليوم يجدونه مرتبطاً كل الارتباط بما أعلنه اللورد دوفرين في تقريره الذي وضعه عام 1882م بعد الاحتلال البريطاني لمصر ، حين دعا إلى معارضة اللغة الفصحى ، لغة القرآن ، وتشجيع لهجة مصر العامية ، واعتبارها حجر الزاوية في بناء منهج الثقافة والتعليم والتربية في مصر. وحين قال في تقريره بالحرف الواحد: "إن أمل التقدم ضعيف في مصر طالما أن العامة تتعلم اللغة الفصحى العربية ـ لغة القرآن ـ كما هي في الوقت الحاضر". ثم لم يلبث المبشر وليم ويلكوكس الذي كان يعمل مهندساً في الحملة الاستعمارية على مصر أن دعا في خطابه المشهور عام 1883م بنادي الأزبكية إلى نشر اللغة العامية والتأليف بها. وقد أطلق على خطبته اسماً خطيراً هو: "لماذا لا توجد قوة الاختراع عند المصريين؟!" ، وكانت إجابته بالطبع: "إن السر في ذلك هو اللغة العربية الفصحى ، وإن سبيل إيجاد قوة الاختراع هو اتخاذ العامية بديلاً!").هـ. ولئن كان الأستاذ أنور الجندي قد عنى بكلامه هذا المستشرقين الحاقدين والاستعماريين والمستغربين والعلمانيين الذين توحدت جهودهم على اللغة العربية الفصحى ، إلا أن هناك أناساً يدخلون في هذا الفريق يقومون اليوم بدوره وينفذون مخططاته ويشرفون على أوامره ويُبْدعون في ذلك. والضحية هي اللغة العربية الفصحى التي لا تجد اليوم من يحنو عليها ويشفق! فلكِ الله يا لغتنا الحبيبة! وإنما قمتُ بهذا الدور – رغم تخصصي في اللغة الإنجليزية – لأنني مسلم عربي ، وهذا من فضل الله تعالى عليّ وعلى الناس! وكم قابلتُ مسلمين غير ناطقين باللغة العربية ، وبرغم دراستهم لها عقوداً إلا أنهم إذا تكلموا بها ألحنوا وأخطأوا! فسبحان من جعل لساني عربياً مبيناً! ومن هنا كان لزاماً عليّ أن أدافع عن العربية بكل ما أوتيتُ من بيان وحجة! ووجّهتُ كلامي للموجه الذي اصطحب منديلاً كلما تكلم أربع

كلمات بصق في منديله بصقة ، فأصاب مستمعيه ومتابعيه بالقرف المادي! وأخذ يكيل السموم عن اللغة العربية وأنها شاخت وشابت ولم تعد تقوى على مواكبة العصر الذي نعيش ، فأصاب مستمعيه ومتابعيه بالقرف المعنوي! أو قل بالمعنى الأدق ، جعل مستمعيه ومتابعيه يعانون القرف المادي من البصاق ومن القرف المعنوي من التطاول على اللغة العربية! وكانت هذه المحاضرة ثقيلة على قلبي جداً! حتى أنني قاطعته في تعريف: (التخطيط) وهو ينسب إلى ابن منظور ما لم يقله عندما عرف التخطيط بقوله: (وضع الاستراتيجيات والخطط للمستقبل!) فسألته: هل ذكر ابن منظور كلمة (الاستراتيجيات) فقال: نعم! فقلت: سبحانك ربي ، هذا بهتان عظيم! حيث لا يوجد في لسان العرب لابن منظور الأفريقي أي كلمة دخيلة أو مترجمة! فهاجمني هجوماً عنيفاً ، ولم يرد عليّ رداً علمياً بالدليل والحجة والبرهان! وزاد حبات الطين بلة افتخاره أنه كان يعلم تلاميذه العروض على دندنات العود ، وكأن الغاية تبرر الوسيلة!)

64 - رسالة أبوين إلى ولد عاق!

(عق أبويه فسطرتُ حكاية عنهما هذه القصة. وقبل مطالعتها يحسن أن نذكّر العاقين بوصية الله في كتابه ، قالَ تَعَالَى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ}. وقالَ: {وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ}. وَقالَ: {وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ}. وَقالَ: {وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً}. وَقالَ: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيما. وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذلّ من الرحمة وقل رب ارحمْهما كما ربيَاني صغيرا}. وعن أبي عبد الرحمن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قَالَ: سألتُ النبي صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: أَيُّ الْعملِ أَحبُّ إِلَى اللَّهِ تعالى؟ قَالَ: "الصَّلاةُ عَلَى وقْتِهَا" قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: "بِرُّ الْوَالِدَيْنِ" قلتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: "الجِهَادُ في سبِيلِ اللَّهِ". متفقٌ عَلَيهِ. وعن أبي هريرةَ رضي اللَّه عنه قَالَ: قالَ رَسُول اللَّه صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: "لا يَجْزِي ولَدٌ والِداً إِلاَّ أَنْ يَجِدَهُ مملُوكاً ، فَيَشْتَرِيَهُ ، فَيَعْتِقَهُ". رواه مسلم. جَاءَ رَجُلٌ إِلى رسولِ اللَّه - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم - فقال: يا رسول اللَّه مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بحُسنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: "أُمُّك" قَالَ: ثُمَّ منْ؟ قَالَ: "أُمُّكَ" قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: "أُمُّكَ" قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: "أَبُوكَ". متفقٌ عَلَيهِ. وفي رواية: يَا رسول اللَّه مَنْ أَحَقُّ الناس بِحُسْن الصُّحْبةِ؟ قَالَ: "أُمُّكَ ثُمَّ أُمُّكَ ، ثُمَّ أُمُّكَ ، ثمَّ أَباكَ ، ثُمَّ أَدْنَاكَ فأَدْنَاكَ". "والصَّحابة" بمعنى: الصُّحبةِ. وقوله: "ثُمَّ أباك" هَكَذا هُوَ منصوب بفعلٍ محذوفٍ ، والتقدير فيه: ثُمَّ برَّ أَباك ، وفي رواية: "ثُمَّ أَبُوكَ" وهذا واضِح. وعنه عن النَّبيّ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم - قَالَ: "رغِم أَنْفُ ، ثُم رغِم أَنْفُ ، ثُمَّ رَغِم أَنف مَنْ أَدرْكَ أَبَويْهِ عِنْدَ الْكِبرِ ، أَحدُهُمَا أَوْ كِلاهُما ، فَلَمْ يدْخلِ الجَنَّةَ". رواه مسلم. وعن أَبي بكرةَ نُفَيْع بنِ الحارثِ رضي اللَّه عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللَّه صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: "أَلا أُنَبِّئُكمْ بِأكْبَرِ الْكَبائِرِ؟ "ثلاثاً؟ قُلنا: بلَى يَا رسولَ اللَّه! قَالَ: "الإِشْراكُ بِاللَّهِ ، وعُقُوقُ الْوالِدَيْن" وكان مُتَّكِئاً فَجلَسَ ، فَقَالَ: "أَلا وقَوْلُ الزُّورِ وشهادَةُ الزُّورِ" فَما زَال يكَرِّرُهَا حتَّى قُلنَا: ليْتهُ سكتْ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ. وعن عبد اللَّهِ بنِ عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما عن النَّبي صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم قَالَ: "الْكبائرُ: الإِشْراكُ بِاللَّه ، وعقُوق الْوالِدَيْنِ ، وقَتْلُ النَّفْسِ ، والْيمِينُ الْغَموس". رواه البخاري. وعن أَبي عِيسى المُغِيرةِ بنِ شُعْبةَ رضي اللَّه عنه عن النبيِّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم قَالَ: "إِنَّ اللَّهُ تَعَالَى حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الأُمهَاتِ ، ومنْعاً وهاتِ ، ووأْدَ

البنَاتِ ، وكَرَهَ لكُمْ قِيل وقَالَ ، وَكَثْرَةَ السؤالِ ، وإضَاعة المالِ". متفقٌ عليه. وَحديثان ضعيفان الأول: أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه قَالَ: {جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَهِدْت أَنْ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَصَلَّيْت الْخَمْسَ وَأَدَّيْت زَكَاةَ مَالِي ، وَصُمْت رَمَضَانَ. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: مَنْ مَاتَ عَلَى هَذَا كَانَ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هَكَذَا ، وَنَصَبَ أُصْبُعَيْهِ مَا لَمْ يَعُقَّ وَالِدَيْهِ}. وَرَوَاهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحَيْهِمَا. وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: {أَوْصَانِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِعَشْرِ كَلِمَاتٍ قَالَ: لَا تُشْرِكْ بِاَللَّهِ شَيْئًا وَإِنْ قُتِلْت وَحُرِّقْت ، وَلَا تَعُقَّنَّ وَالِدَيْك وَإِنْ أَمَرَاكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ. وَالثاني: رُوِيَ عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: {خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَنَحْنُ مُجْتَمِعُونَ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ اتَّقُوا اللَّهَ وَصِلُوا أَرْحَامَكُمْ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ ثَوَابٍ أَسْرَعَ مِنْ صِلَةِ الرَّحِمِ ، إيَّاكُمْ وَالْبَغْيَ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عُقُوبَةٍ أَسْرَعَ مِنْ عُقُوبَةِ بَغْيٍ ، إيَّاكُمْ وَعُقُوق الْوَالِدَيْنِ فَإِنَّ رِيحَ الْجَنَّةِ يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَلْفِ عَامٍ وَاَللَّهِ لَا يَجِدُهَا عَاقٌّ وَلَا قَاطِعُ رَحِمٍ وَلَا شَيْخٌ زَانٍ وَلَا جَارٌّ إزَارَهُ خُيَلَاءَ. إنَّمَا الْكِبْرِيَاءُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَالْكَذِبُ كَلِمَةُ إثْمٍ إلَّا مَا نَفَعْتَ بِهِ مُؤْمِنًا أَوْ دَفَعْتَ بِهِ عَنْ دِينٍ. وَإِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا مَا يُبَاعُ فِيهَا وَلَا يُشْتَرَى لَيْسَ فِيهَا إلَّا الصُّوَرُ فَمَنْ أَحَبَّ صُورَةً مِنْ رَجُلٍ أَوْ امْرَأَةٍ دَخَلَ فِيهَا}. رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ . فليعلم العاقون أن الله سائلهم يوم القيامة عن آبائهم وأمهاتهم. واليوم أنا أنشد على لسان الأبوين الذين عقهما ولدهما ، بعدما تخيلتهما يستعرضان معه مسيرة الحياة في كشف حساب!)

65 - رسالة إلى ولدي

(ما أجمل أن يعيش الكاتب ليعبر عن آلام وآمال الآخرين! إن هذا الشعور يكسب شعره العاطفة الصادقة والصدق الفني العظيم. تغيب ذلك الولد عن أمه إلى حين ، فراحت تكتب له أول رسالة ، عادت بالذاكرة إلى الوراء منذ كان ذلك الولد حَملاً فجنينا فوليداً فطفلاً فشاباً ، فماذا قالت؟ ورحت أصور بقلمي رسالتها إلى ولدها بكل صدق شعري وبكل شعر صادق. يقول الأستاذ أحمد الفراك في وصف نعمة الأبناء ما نصه بتصرف: (عندما يتزوج الإنسان يسأل الله من فضله أن يرزقه ذرية صالحة ، (فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم) أي من الولد ، وإذا ما رزقه الولد وقابل الفضلَ بالشكرِ فإنه يكون قد تلقى أمانة عظيمة تستوجب الحفظ التام والتبليغ الأمين ، تلقى ذرية مسلمة صافية فطرتها مؤمنة نقية. قال صلى الله عليه وسلم: كل مولودٍ يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، على الوالد والوالدة أن يحافظا عل سلامة فطرة ولدهما ، وإلا سيُسألانِ عنها في آخرتهما. وفي الحديث الشريف: كفى بالمرء كذباً أن يُضيع مَن يعُول. وأكبر ضياع هو ضياع أمانة الأمانة ، أمانة الدين لأمانة الأبناء ، بالدين للأبناء تستقيم شؤون دنياهم وأمور آخرتهم ، ومن غش أبناءه في الدين ، فقد قطع رحمه ، وعق أبناءه ، وضيَّع أمانته ، حتى ولو أدركوا من الدنيا ما أدركوا. إذ ما قيمة السُمعة والجاه والمال واللقب إذا كان مقطوعا عن الله؟ ما الجدوى من دنيا بلا آخرة ، عاجل بلا آجل؟ تقليص التربية القرآنية النبوية في الناشئة أو تهميشها أو تسطيحها خيانة وغش وتحريف ، وقد قال المصطفى صلى الله عليه وسلم: من غشَّ فليس منا. وأي غشٍّ أكبر من الغش في تربية الولد وبذل الوُسع في أداء أمانته على أحسن وجه يرضي الله تعالى الذي قال

في مُحكم تنزيله: (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها). فعلى الوالد أن يستقبل أمانة ولده بحُسن التلقي وحُسن الأداء والتبليغ والحفظ ، بدءا من حُسن اختيار الأم من نَسلٍ طيب (المنبت الحسن وتجنب المنبت السوء) ، بمال طيب (مكتسب من حلال) ، بنِية طيبة (لتحقيق الاستخلاف ودفع آلام الشهوة) بسعي طيب (اتباع المشروع واجتناب الممنوع) ، والطيبون للطيبات. قال الله تعالى: مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ، وهو مؤمن هذا هو الشرط المشروط في أمانة الولد ، حيث مع تعدد السعي وكثرة الحركة يحتاج الولد إلى من ينمي فيه خصال الإيمان وشعبه. وأول مكلف بذلك هو الوالد والوالدة. بشرط الإيمان ، والأمانة من الإيمان ، حيث قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ، وبشرط الجدوى والفاعلية يكون لكثرتنا العددية معنى وقيمة ووزن بين الأمم. تكثير نوعيٍّ قويٍّ، لا غثائيٍّ عالَةٍ على أمة متسكعة متسولة ، فمن الغثاء والغافلين شكا سيدنا نوح عليه السلام (قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا).هـ.

66 - يوسف إستس القس الأمريكي السابق

(في كتاب: (رجال ونساء أسلموا!) وهو من إعداد الأستاذ الأديب: عبد الرحمن محمود ، كانت القصة بتفاصيلها وبالنص مع تصرفٍ زهيد: (إنها قصة عجيبة وغريبة يحكيها الرجل بنفسه فيقول: - اسمي «يوسف» إستس بعد الإسلام ، وقد كان قبل الإسلام «جوزيف» إدوارد إستس! ولدت لعائلةٍ نصرانيةٍ شديدة الالتزام بالنصرانية تعيش في الغرب الأوسط لأمريكا ، آباؤنا وأجدادنا لم يبنوا الكنائس والمدارس فحسب ، بل وهبوا أنفسهم لخدمة النصرانية ، بدأت بالدراسة الكنسية أو اللاهوتية عندما اكتشفت أني لا أعلم كثيراً عن ديني النصراني ، وبدأت أسأل أسئلة دون أن أجد أجوبة مناسبة لها ، فدرست النصرانية حتى صرت قسيساً وداعياً من دعاة النصرانية وكذلك كان والدي ، وكنا بالإضافة إلى ذلك نعمل بالتجارة في الأنظمة الموسيقية وبيعها للكنائس ، وكنت أكره الإسلام والمسلمين ، حيث إن الصورة المشوهة التي وصلتني وارتسمت في ذهني عن المسلمين أنهم أناس وثنيون لا يؤمنون بالله ويعبدون صندوقاً أسوداً في الصحراء وأنهم همجيون وإرهابيون يقتلون من يخالف معتقدهم. ولم يتوقف بحثي في الديانة النصرانية على الإطلاق ، بل درست الهندوسية واليهودية والبوذية ، وعلى مدى 30 سنة لاحقة ، عملت أنا وأبي معاً في مشاريع تجاريةٍ كثيرة ، وكان لدينا برامج ترفيه وعروض كثيرة جذابة ، وقد عزفنا البيانو والأورج في تكساس وأوكلاهما وفلوريدا ، وجمعت العديد من ملايين الدولارات في تلك السنوات ، لكني لم أجد راحة البال التي لا يمكن تحقيقها إلا بمعرفة الحقيقة وإيجاد الطريق الصحيح للخلاص. وقصتي مع الإسلام ليست قصة أحدٍ أهداني مصحفاً أو كتباً إسلامية وقرأتها ودخلت الإسلام فحسب ، بل كنت عدواً للإسلام فيما مضى ، ولم أتوان عن نشر النصرانية ، وعندما قابلت ذلك الشخص الذي دعاني للإسلام ، فإنني كنت حريصاً على إدخاله في النصرانية وليس العكس. وكان ذلك في عام 1991م ، عندما بدأ والدي عملاً تجارياً مع رجل من مصر وطلب مني أن أقابله ، طرأت لي هذه الفكرة وتخيلت الأهرامات وأبو الهول ونهر النيل وكل ذلك ، ففرحت في نفسي وقلت: سوف نتوسع في تجارتنا وتصبح تجارة دولية تمتد إلى أرض ذلك الضخم أعني (أبا الهول)! ثم قال لي والدي: لكنني أريد أن أخبرك أن هذا الرجل الذي سيأتينا مسلم وهو رجل أعمال. فقلت منزعجاً: مسلم!

لا. لن أتقابل معه. فقال والدي: لابد أن تقابله. فقلت: لا. أبداً. لم يكن من الممكن أن أصدق. مسلم! ذكرت أبي بما سمعنا عن هؤلاء الناس المسلمين. وأنهم يعبدون صندوقاً أسود في صحراء مكة وهو الكعبة لم أرد أن أقابل هذا الرجل المسلم ، وأصر والدي على أن أقابله ، وطمأنني أنه شخص لطيف جداً ، لذا استسلمت ووافقت على لقائه. ومع ذلك لما حضر موعد اللقاء لبست قبعة عليها صليب ولبست عقداً فيه صليب وعلقت صليباً كبيراً في حزامي ، وأمسكت بنسخة من الإنجيل في يدي وحضرت إلى طاولة اللقاء بهذه الصورة ، ولكني عندما رأيته ارتبكت. لا يمكن أن يكون ذلك المسلم المقصود الذي نريد لقاءه ، كنت أتوقعه رجلاً كبيراً يلبس عباءة ويعتمر عمامة كبيرة على رأسه وحواجبه معقودة ، فلم يكن على رأسه أي شعر «أصلع». وبدأ مرحباً بنا وصافحنا ، كل ذلك لم يعنِ لي شيئاً ، ومازالت صورتي عنهم أنهم إرهابيون. حيث تطرقنا في الحديث عن ديانته وتهجمت على الإسلام والمسلمين حسب الصورة المشوهة التي كانت لدي ، وكان هو هادئاً جداً وامتص حماسي واندفاعي ببرودته. ثم بادرت إلى سؤاله: هل تؤمن بالله؟ قال: أجل. ثم قلت: ماذا عن إبراهيم هل تؤمن به؟ وكيف حاول أن يضحي بابنه لله؟ قال: نعم. قلت في نفسي: هذا جيد سيكون الأمر أسهل مما اعتقدت. ثم ذهبنا لتناول الشاي في محل صغير ، والتحدث عن موضوعي المفضل: المعتقدات. بينما جلسنا في ذلك المقهى الصغير لساعات نتكلم وقد كان معظم الكلام لي ، وقد وجدته لطيفاً جداً ، وكان هادئا وخجولاً ، استمع بانتباه لكل كلمة ولم يقاطعني أبداً. وفي يوم من الأيام كان محمد عبد الرحمن صديقنا هذا على وشك أن يترك المنزل الذي كان يتقاسمه مع صديق له ، وكان يرغب أن يعيش في المسجد لبعض الوقت ، حدثت أبي إن كان بالإمكان أن ندعو محمداً للذهاب إلى بيتنا الكبير في البلدة ويبقى هناك معنا. ثم دعاه والدي للإقامة عندنا في المنزل ، وكان المنزل يحويني أنا وزوجتي ووالدي ثم جاء هذا المصري واستضفنا كذلك قسيساً آخر لكنه يتبع المذهب الكاثوليكي! فصرنا نحن الخمسة. أربعة من علماء ودعاة النصارى ومسلم مصري عامي. أنا ووالدي من المذهب البروتستانتي النصراني والقسيس الآخر كاثوليكي المذهب وزوجتي كانت من مذهب متعصب له جانب من الصهيونية ، وللمعلومية والدي قرأ الإنجيل منذ صغره وصار داعياً وقسيساً معترفاً به في الكنيسة ، والقسيس الكاثوليكي له خبرة 12 عاماً في دعوته في القارتين الأمريكيتين ، وزوجتي كانت تتبع مذهب البورنجين الذي له ميول صهيونية ، وأنا نفسي درست الإنجيل والمذاهب النصرانية واخترت بعضاً منها أثناء حياتي وانتهيت من حصولي على شهادة الدكتوراه في العلوم اللاهوتية النصرانية. وهكذا انتقل للعيش معنا ، وكان لدي الكثير من المنصرين في ولاية تكساس ، وكنت أعرف أحدهم ، كان مريضاً في المستشفى ، وبعد أن تعافى دعوته للمكوث في منزلنا أيضاً ، وأثناء الرحلة إلى البيت تحدثت مع هذا القسيس عن بعض المفاهيم والمعتقدات في الإسلام ، وأدهشني عندما أخبرني أن القساوسة الكاثوليك يدرسون الإسلام ، وينالون درجة الدكتوراه أحياناً في هذا الموضوع. وبعد الاستقرار في المنزل بدأنا جميعاً نتجمع حول المائدة بعد العشاء كل ليلة لمناقشة الديانة ، وكان بيد كل منا نسخة إنجيل تختلف عن الأخرى ، وكان لدى زوجتي إنجيل «نسخة جيمي سواجارت للرجل المتدين الحديث» ، والمضحك أن جيمي سوجارت هذا عندما ناظره الشيخ المسلم أحمد ديدات أمام الناس قال: أنا لست عالماً بالإنجيل! فكيف يكتب رجل إنجيلاً كاملاً بنفسه وهو ليس عالماً بالإنجيل ويدعي أنه من عند الله؟! وكان لدى القسيس بالطبع الكتاب المقدس الكاثوليكي كما كان عنده 7 كتب أخرى من الإنجيل البروتستانتي. وقد كان مع والدي

في تلك الفترة نسخة الملك جيمس وكانت معي نسخة الريفازد إيديشن (المُراجع والمكتوب من جديد) التي تقول: إن في نسخة الملك جيمس الكثير من الأغلاط والطوام الكبيرة! حيث إن النصارى لما رأوا كثرة الأخطاء في نسخة الملك جيمس اضطروا إلى كتابته من جديد وتصحيح ما رأوه من أغلاطٍ كبيرة ، لذا قضينا معظم الوقت في تحديد النسخة الأكثر صحة من هذه الأناجيل المختلفة ، وركزنا جهودنا لإقناع محمد ليصبح نصرانياً. وكنا نحن النصارى في البيت يحمل كل منا نسخة مختلفة من الإنجيل ونتناقش عن الاختلافات في العقيدة النصرانية وفي الأناجيل المختلفة على مائدةٍ مستديرة ، والمسلم يجلس معنا ويتعجب من اختلاف أناجيلنا. ومن جانب آخر كان القسيس الكاثوليكي لديه ردة فعل من كنيسته واعتراضات وتناقضات مع عقيدته ومذهبه الكاثوليكي ، فمع أنه كان يدعو لهذا الدين والمذهب مدة 12 سنة ، لكنه لم يكن يعتقد جازماً أنه عقيدة صحيحة ويخالف في أمور العقيدة المهمة. ووالدي كان يعتقد أن هذا الإنجيل كتبه الناس وليس وحياً من عند الله ، ولكنهم كتبوه وظنوه وحياً. وزوجتي تعتقد أن في إنجيلها أخطاء كثيرة ، لكنها كانت ترى أن الأصل فيه أنه من عند الرب! أما أنا فكانت هناك أمور في الإنجيل لم أصدقها ، لأني كنت أرى التناقضات الكثيرة فيه ، فمن تلك الأمور أني كنت أسأل نفسي وغيري: كيف يكون الرب واحداً وثلاثة في نفس الوقت! وقد سألت القسس المشهورين عالمياً عن ذلك وأجابوني بأجوبةٍ سخيفةٍ جداً لا يمكن للعاقل أن يُصدقها ، وقلت لهم: كيف يمكنني أن أكون داعية للنصرانية وأعلّم الناس أن الرب شخصٌ واحدٌ وثلاثة أشخاص في نفس الوقت ، وأنا غير مقتنع بذلك فكيف أقنع غيري به. وبعضهم قال لي: لا تبيّن هذا الأمر ولا توضحه ، فقط قل للناس: هذا أمرٌ غامضٌ ويجب الإيمان به كما هو ، وبعضهم قال لي: يمكنك أن توضحه بأنه مثل التفاحة تحتوي على قشرة من الخارج ولب من الداخل وكذلك النوى في داخلها ، فقلت لهم: لا يمكن أن يضرب هذا مثلاً للرب ، التفاحة فيها أكثر من حبة نوى فستتعدد الآلهة بذلك ، ويمكن أن يكون فيها دود فتتعدد الآلهة ، وقد تكون نتنة وأنا لا أريد رباً نتناً. وبعضهم قال: مثل البيضة فيها قشر وصفار وبياض ، فقلت: لا يصح أن يكون هذا مثلاً للرب ، فالبيضة قد يكون فها أكثر من صفار فتتعدد الآلهة ، وقد تكون نتنة ، وأنا لا أريد أن أعبد رباً نتناً. وبعضهم قال: مثل رجل وامرأة وابن لهما ، فقلت له: قد تحمل المرأة وتتعدد الآلهة ، وقد يحصل طلاق فتتفرق الآلهة وقد يموت أحدها ، وأنا لا أريد رباً هكذا. وأنا منذ أن كنت نصرانياً وقسيساً وداعية للنصرانية لم أستطع أن اقتنع بمسألة التثليث ولم أجد من يمكنه إقناع الإنسان العاقل بها. وأتذكر أنني سألت محمداً فيما بعد: كم نسخة من القرآن ظهرت طوال السنوات 1400سنة الماضية؟ أخبرني أنه ليس هناك إلا مصحف واحد ، وأنه لم يتغير أبداً ، وأكد لي أن القرآن قد حفظ في صدور مئات الآلاف من الناس ، ولو بحثت على مدى قرون لوجدت أن الملايين قد حفظوه تماماً وعلموه لمن بعدهم. وهذا لم يبد ممكناً بالنسبة لي. كيف يمكن أن يحفظ هذا الكتاب المقدس ويسهل على الجميع قراءته ومعرفة معانيه؟! وكان بيننا حوار متجرد واتفقنا على أن ما نقتنع به سندين به ونعتنقه فيما بعد. هكذا بدأنا الحوار معه ، ولعل ما أثار إعجابي أثناء الحوار أن محمداً لم يتعرض للتجريح أو التهجم على معتقداتنا أو انجيلنا وأشخاصنا ، وظل الجميع مرتاحين لحديثه. وعلى العموم لما كنا نجلس في بيتنا نحن النصارى الأربعة المتدينين مع المسلم المصري (محمد) ، ونناقش مسائل الاعتقاد حرصنا أن ندعو هذا المسلم إلى النصرانية بعدة طرق. فكان جوابه محدداً بقوله: أنا مستعد أن أتبع دينكم إذا كان عندكم في دينكم شيء أفضل من الذي عندي في ديني. قلنا: بالطبع يوجد

عندنا. فقال المسلم: أنا مستعد إذا أثبتم لي ذلك بالبرهان والدليل. فقلت له: الدين عندنا لم يرتبط بالبرهان والاستدلال والعقلانية. إنه عندنا شيء مسلّم وهو مجرد اعتقاد محض! فكيف نثبته لك بالبرهان والدليل؟! فقال المسلم: لكن الإسلام دين عقيدة وبرهان ودليل وعقل ووحي من السماء. فقلت له: إذا كان عندكم الاعتماد على جانب البرهان والاستدلال ، فإني أحب أن أستفيد منك وأن أتعلم منك هذا وأعرفه. ثم لما تطرقنا لمسألة التثليث وكل منا قرأ ما في نسخته ولم نجد شيئاً واضحاً ، سألنا الأخ (محمد): ما هو اعتقادكم في الرب في الإسلام. فقال: (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) ، تلاها بالعربية ثم ترجم لنا معانيها وكأن صوته حين تلاها بالعربية دخل في قلبي حينها. وكأن صوته لا زال يرن صداه في أذني ولاأزال أتذكره. أما معناها فلا يوجد أوضح ولا أفضل ولا أقوى ولا أوجز ولا أشمل منه إطلاقاً. فكان هذا الأمر مثل المفاجأة القوية لنا ، مع ما كنا نعيش فيه من ضلالاتٍ وتناقضاتٍ في هذا الشأن وغيره. ولما أردت دعوته للنصرانية قال لي بكل هدوء ورجاحة عقل: إذا أثبت لي بأن النصرانية أحق من الإسلام سأتبعك إلى دينك الذي تدعو إليه ، فقلت له متفقين ، ثم بدأ محمد: أين الأدلة التي تثبت أفضلية دينكم وأحقيته ، قلت: نحن لا نؤمن بالأدلة ، ولكن بالإحساس والمشاعر ، ونلتمس ديننا وما تحدثت عنه الأناجيل ، قال محمد: ليس كافياً أن يكون الإيمان بالإحساس والمشاعر والاعتماد على علمنا ، ولكن الإسلام فيه الدلائل والأحاسيس والمعجزات التي تثبت أن الدين عند الله الإسلام ، فطلب جوزيف هذه الدلائل من محمد ، والتي تثبت أحقية الدين الإسلامي ، فقال محمد: إن أول هذه الأدلة هو كتاب الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم الذي لم يطرأ عليه تغيير أو تحريف منذ نزوله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قبل ما يقرب من 1400 سنة ، وهذا القرآن يحفظه كثير من الناس ، إذ ما يقرب من 12 مليون مسلم يحفظون هذا الكتاب ، ولا يوجد أي كتاب في العالم على وجه الأرض يحفظه الناس كما يحفظ المسلمون القرآن الكريم من أوله لآخره. "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ". وهذا الدليل كافٍ لإثبات أن الدين عند الله الإسلام. وهناك معجزات لهذا القرآن! ومن ذلك الحين بدأتُ البحث عن الأدلة الكافية ، التي تثبت أن الإسلام هو الدين الصحيح ، وذلك لمدة ثلاثة شهور بحثاً مستمراً. بعد هذه الفترة وجدت في الكتاب المقدس أن العقيدة الصحيحة التي ينتمي إليها سيدنا عيسى عليه السلام هي التوحيد ، وأنني لم أجد فيه أن الإله ثلاثة كما يدعون ، ووجدت أن عيسى عبد الله ورسوله وليس إلهاً ، مثله كمثل الأنبياء جميعاً ، جاء ليدعو إلى توحيد الله عز وجل ، وأن الأديان السماوية لم تختلف حول ذات الله سبحانه وتعالى ، وكلها تدعو إلى العقيدة الثابتة بأنه لا إله إلا الله بما فيها الدين النصراني قبل أن يفترى عليه بهتاناً ، ولقد علمت ان الإسلام جاء ليختم الرسالات السماوية ويكملها ، ويخرج الناس من حياة الشرك الى التوحيد والإيمان بالله تعالى ، وإن دخولي في الإسلام سوف يكون إكمالاً لإيماني بأن الدين النصراني كان يدعو إلى الإيمان بالله وحده ، وأن عيسى هو عبد الله ورسوله ، ومن لا يؤمن بذلك فهو ليس من المسلمين. ثم وجدت أن الله سبحانه وتعالى تحدى الكفار بالقرآن الكريم أن يأتوا بمثله أو يأتوا بثلاث آيات مثل سورة الكوثر فعجزوا عن ذلك. "وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ". وأيضا من المعجزات التي رأيتها والتي تثبت أن الدين عند الله الإسلام التنبؤات المستقبلية التي تنبأ بها القرآن الكريم مثل: "الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ". وهذا ما تحقق بالفعل فيما بعد وأشياء أخرى ذكرت في القرآن الكريم ، مثل سورة الزلزلة تتحدث عن الزلزال ، والتي قد تحدث في أي منطقة ، وكذلك

وصول الإنسان إلى الفضاء بالعلم ، وهذا تفسير لمعنى الآية التي تقول: "يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ". وهذا السلطان هو العلم الذي خرق به الإنسان الفضاء فهذه رؤية صادقة للقرآن الكريم. وأيضا من المعجزات التي تركت أثراً في نفسي (العلقة) ، التي ذكرها الله في القرآن الكريم ، والذي وضحها العالم الكندي «كوسمر» وقال: "إن العلقة هي التي تتعلق برحم الأم ، وذلك بعدما تتحول الحيوانات المنوية في الرحم إلى لون دموي معلق. وهذا بالفعل ما ذكره القرآن الكريم من قبل أن يكتشفه علماء الأجنة في العصر الحديث ، وهذا بيان للكفار والملحدين". وبعد كل هذا البحث الذي استمر ثلاثة شهور ، قضاها معنا محمد تحت سقفٍ واحد ، بسبب ذلك اكتسب ود الكثيرين ، وعندما كنت أراه يسجد لله ويضع جبهته على الأرض ، أعلم أن ذلك الأمر غير عادي. وصديقي محمد كالملائكة: إن مثل هذا الرجل (محمد) ينقصه جناحان ويصبح كالملائكة يطير بهما ، وبعد ما عرفت منه ما عرفت ، وفي يوم من الأيام طلب صديقي القسيس من محمد: هل من الإمكان أن نذهب معه إلى المسجد ، لنعرف أكثر عن عبادة المسلمين وصلاتهم؟ فرأينا المصلين يأتون إلى المسجد يصلون ثم يغادرون. قلت: غادروا؟ دون أي خطب أو غناء؟ قال: أجل. ومضت أيام وسأل القسيس محمداً ، أن يرافقه إلى المسجد مرة ثانية ، ولكنهم تأخروا هذه المرة حتى حل الظلام. قلقنا بعض الشيء ماذا حدث لهم؟ أخيراً وصلوا ، وعندما فتحت الباب. عرفتُ محمداً على الفور. قال: من هذا؟ شخص ما يلبس ثوباً أبيض وقلنسوة وينتظر دقيقة! كان هذا صاحبي القسيس! قلت له: هل أصبحت مسلماً؟ قال: نعم أصبحت من اليوم مسلماً! ذهلت كيف سبقني هذا إلى الإسلام. ثم ذهبت إلى أعلى للتفكير في الأمور قليلاً ، وبدأت أتحدث مع زوجتي عن الموضوع ، فقالت لي : أظن أني لن أستمر بعلاقتي معك طويلاً. فقلت لها: لماذا؟ هل تظنين أني سأسلم؟ قالت: لا. بل لأني أنا التي سوف تسلم! فقلت لها: وأنا أيضاً في الحقيقة أريد أن أسلم. قال: فخرجت من باب البيت وخررت على الأرض ساجداً تجاه القبلة وقلت: يا رب اهدني. وذهبت إلى أسفل ، وأيقظت محمداً ، وطلبت منه أن يأتي لمناقشة الأمر معي. مشينا وتكلمنا طوال تلك الليلة ، وحان وقت صلاة الفجر. عندها أيقنت أن الحقيقة قد جاءت أخيراً ، وأصبحت الفرصة مهيأة أمامي. أذن الفجر ، ثم استلقيت على لوح خشبي ووضعت رأسي على الأرض ، وسألت إلهي إن كان هناك أن يرشدني. وبعد فترة رفعت رأسي إلى أعلى فلم ألحظ شيئاً ، ولم أر طيوراً أو ملائكة تنزل من السماء ، ولم أسمع أصواتاً أو موسيقى ، ولم أر أضواء. وأدركت أن الأمر الآن أصبح مواتياً والتوقيت مناسباً ، لكي أتوقف عن خداع نفسي ، وأنه ينبغي أن أصبح مستقيماً مسلماً. عرفت الآن ما يجب علي فعله. وفي الحادية عشرة صباحاً وقفت بين شاهدين: القسيس السابق والذي كان يعرف سابقاً بالآب «بيتر جاكوب» ومحمد عبد الرحمن ، وأعلنت شهادتي ، وبعد لحظات قليلة أعلنت زوجتي إسلامها بعد ما سمعت بإسلامي. وكان أبي أكثر تحفظاً على الموضوع ، وانتظر شهوراً قبل أن ينطق بالشهادتين. يقول الشيخ: فأرى أن إسلامنا جميعاً كان بفضل الله ، ثم بالقدوة الحسنة في ذلك المسلم الذي كان حسن الدعوة ، وكان قبل ذلك حسن التعامل ، وكما يقال عندنا: لا تقل لي ولكن أرني. لقد أسلمنا دفعة واحدة! لقد دخلنا ثلاثة زعماء دينيين من ثلاث طوائف مختلفة ، دخلنا الإسلام دفعة واحدة ، وسلكنا طريقاً معاكساً جداً لما كنا نعتقد. ولم ينتهِ الأمر عند هذا الحد ، بل في السنة نفسها دخل طالب معهد لاهوتي معمد من «تينسي» يدعى «جو» دخل في الإسلام بعد أن قرأ القرآن. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد ، بل رأيت كثيراً من الأساقفة

والقساوسة ، وأرباب الديانات الأخرى يدخلون الإسلام ويتركون معتقداتهم السابقة. أليس هذا أكبر دليل على صحة الإسلام ، وكونه الدين الحق؟! بعد أن كان مجرد التفكير في دخولنا الإسلام ، ليس أمراً مستبعداً فحسب ، بل أمر لا يحتمل التصور بأي حال من الأحوال. كل هذه الدلائل السابقة أن الدين عند الله الإسلام ، جعلتني أرجع إلى الطريق المستقيم ، الذي فطرنا الله عليه منذ ولادتنا من بطون أمهاتنا ، لأن الإنسان يولد على الفطرة «التوحيد» وأهله يهودانه أو ينصرانه ، ولم يكن اسلامي فردياً ، ولكنه يعد اسلام جماعي لي أنا وكل الأسرة من خلال مدة بسيطة قضاها مسلم مصري مع أسرتنا وفي بيتنا اكتشفنا من وجوده وطريقة حياته ومعيشته ونظامه ومن خلال مناقشتنا له أموراً جديدة علينا لم نكن نعلمها عن المسلمين وليست عندنا كنصارى. وأسلم والدي بعدما كان متمسكاً بالكنيسة ، وكان يدعو الناس إليها ، ثم أسلمت زوجتي وأولادي ، والحمد لله الذي جعلنا مسلمين. الحمد لله الذي هدانا للإسلام وجعلنا من أمة محمد خير الأنام. وتعلق قلبي بحب الإسلام وحب الوحدانية والإيمان بالله تعالى وأصبحت أغار على الدين الإسلامي أشد من غيرتي من ذي قبل على النصرانية ، وبدأت رحلة الدعوة إلى الإسلام وتقديم الصورة النقية ، التي عرفتها عن الدين الإسلامي ، الذي هو دين السماحة والخلق ، ودين العطف والرحمة. والحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله!)

67 - العدل أساس الملك 2

(كانت هناك مملكة قديمة يحكمها ملك لمدة عام واحد فقط ، وبعدها يأخذونه إلى جزيرة بعيدة ليكمل فيها بقية عمره ثم يملك غيره ، وهكذا كل سنة ، حيث في نهاية العام يتزين الملك بالتاج والصولجان ويلبس أفخر الثياب ويمتطي ظهر حصانه ويبدو حزيناً جداً وهو يطوف أنحاء المملكة ليقوم بتوديع شعبه! وفي إحدى السنوات تولى الحكم في المملكة ملك تقي ورع حكيم يتمتع بالعقل الراجح ونور البصيرة ، وفي اليوم التالي من اعتلائه العرش مباشرة أمر كبير الحراس في القصر أن يأخذه سراً إلى الجزيرة البعيدة التي استقبلت من سبقوه من الملوك القدامى ، فأخذه كبير الحراس إلى الجزيرة وهناك اكتشف الملك أنها عبارة عن غابات كثيفة تسكنها الحيوانات المتوحشة من أسود ونمور وذئاب وثعالب ، وفوجئ ووقف مذهولاً وهو يرى جثث الملوك السابقين ملقاة في مختلف أنحاء الجزيرة ، وأدرك الملك بفطنته مجمل القصة وعرف أن الملوك الذين سبقوه ونقلوا للجزيرة ما لبثوا حتى التهمتهم الحيوانات المتوحشة. فعاد الملك إلى المملكة وجمع عشرات العمال الأقوياء الأشداء وأخذهم إلى الجزيرة وأمرهم بتنظيفها وقطع الغابات الشاسعة وجمع بقايا جثث الملوك السابقين ودفنها في مقابر مناسبةٍ بكل توقير واحترام ووضع الحيوانات الحية في أقفاص داخل حديقة خاصة! وعمل العمال بكل جدٍ واجتهادٍ لتنفيذ أوامر الملك المحبوب ، حتى صارت الجزيرة نظيفة تماما شديدة الروعة والبهاء وانتشرت البساتين الخضراء في ربوعها والطيور المغردة ، وشيدوا القصور وأحاطوها بالأشجار الوارفة والنباتات العطرة حتى تحولت الجزيرة إلى جنة جميلة. واكتملت السنة وجاء دور الملك لينتقل إلى الجزيرة ، فوضع التاج على رأسه ولبس الصولجان وارتدي أفخر الثياب وامتطى ظهر حصانه لتوديع شعبه حسب عادتهم القديمة ، وكان الملك على غير عادة من سبقوه سعيداً مبتسماً وحين سألوه عن ذلك أجابهم: إن الملوك الذين سبقوني انشغلوا

بمتع الدنيا الفانية ولم يفكروا في مستقبلهم وآخرتهم الباقية ، لذلك قمت بإصلاح وتعمير الجزيرة حتي صارت جنة لأني أعرف أنها مقري النهائي الذي سأقصي فيه بقية عمري!)

68 - المرأة الحكيمة الواعية!

(يقول الراوي: هل توجد في يومنا هذا امرأة مثل المرأة التي سأحدثكم عنها اليوم وهي نعم الزوجة لزوجها ونعم المثال للمرأة الصالحة في المجتمع ، وقد كان لنا زيارة الى بيتها البسيط هي وزوجها وابنتهما مريم ، وهي امرأة متزوجة من شخص من ذوي الاحتياجات الخاصة ، وهي أستاذة من مدينة آفلو ، ورغم بيتهما البسيط المتكون من غرفتين ومطبخ إلا أنني لمست فيه قدراً من الراحة النفسية والهدوء والسعادة ما يغبطهما عليه كثير من الناس ، تحكي لنا بلسانها عن قصة زواجها وكيف التقت بزوجها الحالي تقول: ذات يوم عرضتْ علي إحدى الصديقات في المؤسسة التربوية التي أعمل بها الزواج من رجل من ذوي الاحتياجات الخاصة ، ولكنه كان نعم الرجل الخلوق ، فقبلتُ هذا العرض ، وعندما تقدم إلي فرحتُ به فرحاً عظيماً و سررتُ به أيما سرور وحتى بعد أن تزوجنا رغم عيش الكفاف الذي نحن فيه إلا أني أحس نفسي أسعد امرأة بين النساء واعتز بزوجي أيما اعتزاز ، و دخلنا في الحديث عن حال الأسر اليوم وما تعيشه من مشاكل وتحديات ، فكانت تقول بأن الزوجة الصالحة لا تفتري على زوجها الكذب ولا تفضح عوراته وكل مشاكل الزوجين ينبغي أن تبقى في غرفة النوم ، وحتى لو وقع في كبيرة من الكبائر مثلاً فلا ينبغي عليها فضحه وهتك ستره هذا إن كانت زوجة صالحة وحكيمة ، وكانت تحب زوجها وتراه أهلاً للنصح ، وأقول إلى أهل الزوجة عندما تأتي اليهم ابنتهم غاضبة متحججة بعذر ما: كثير من المتزوجات عندما يذهبن غاضبات إلى بيوت أهلن يفترين أموراً ليست في أزواجهن أو يبالغن في خلافاتٍ بسيطة فتكون سبباً في الطلاق فيما بعد ، ولاسيما إن صدقها الأهل ودخلت الأخت والصديقات والجارة في موضوع الخلاف ، ألا يتساءل أهلها عن السبب الحقيقي الذي من أجله أحضر الزوج زوجته إلى بيت أهلها أليس للزوج وجهة نظر ينبغي أن يطلعوا عليها؟ ولكن الذي يحدث أن الأهل ينحازون في الغالب إلى البنت ويصدقونها ومن هنا تتسع المشكلة وتتفاقم إلى أن ينتهي الحل إلى باب مسدود وينتهي الأمر بالطلاق! ولا يتوقف الأمر هنا عند الطلاق إن كان بين الزوجين أولاد فالأولاد أيضاً يكونون هم الضحية!)

69 - نعمة الستر

(يقول أحد الأخوة: كنت أشتري كل يوم صباحاً من بائع الصحف صحيفة ، وقد علمني مرةً درساً مُهماً سيبقى في ذاكرتي طوال ا لعمر! يقول: سألته مرةً: كيف حالك اليوم يا عم؟ فقال لي: والله ، في نعمة الستر! فاندهشت من إجابته ، وسألته: ولماذا الستر تحديداً؟! فقال لي: لأنني مستورٌ من كل شيء! قلت له مداعباً: عن أيّ سِترٍ تتحدث ، وقميصك مرقّع بألوانٍ شتى؟! فقال لي: يا بنيّ ، الستر أنواع: - عندما تكون مريضاً ، ولكنك قادر على السير بقدمَيك فهذا ستر من مذلّة المرض. - عندما يكون في جيبك مبلغ بسيط يكفيك لتنام وأنت شبعان حتى لو كان خبزاً ، فهذا ستر من مذلّة الجوع. - عندما يكون لديك ملابس ، ولو كانت مرقّعة ، فهذا ستر من مذلّة البرد. - عندما تكون قادراً على الضحك وأنت حزين لأيّ سبب ، فهذا ستر من مذلّة الانكسار. - عندما تكون قادراً على قراءة الصحيفة التي بين يديك ، فهذا ستر من مذلّة

الجهل. - عندما تستطيع أن تتصل في أيّ وقت بأهلك لتطمئن عنهم وتطمئنهم عنك ، فهذا ستر من مذلّة الوحدة. - عندما يكون لديك وظيفة أو مهنة ، حتى لو بائع صحف ، تمنعك عن مد يدك الى أيّ شخص ، فهذا ستر من مذلة السؤال. - عندما يبارك لك الله في أولادك وبناتك ، في صحتهم وتعليمهم ، وزواجهم ، وبيوتهم ، فهذا ستر من مذلة القهر. - عندما يكون لديك زوجة صالحة ، تحمل معك همّ الدنيا ، فهذا ستر من مذلّة الانكسار. وتذكّر دائماً أنك تملك نِعَماً يتمناها ملايين البشر ، هذه هي نعمة الستر. (الستر يا بنيّ ، ليس ستر الفلوس ، وإنما ستر النفوس). جعلنا الله واياكم من المستورين بستره الجميل في الدنيا والآخرة. وكثيرون هؤلاء الذين هم غرقى في نعم الله تعالى ويخطئون خطأين: الأول: أنهم لا يشكرون الله فيزيدهم! بل يجحدون فيسلب النعمة منهم ولو بعد حين! والثاني: لا يُدركون أن الله خصهم بهذه النعم وحرم غيرهم إياها لحكمة يعلمها هو سبحانه وتعالى!)

70 - دهاء امرأة

(جاءت امرأة إلى مجلس يتجمع فيه التجار الذين يأتون من كل مكان لوضع وتسويق بضائعهم وهو استراحة لهم. فأشارت المرأة بيدها فقام أحدهم إليها ، ولما قرب منها قال: خيراً إن شاء الله! قالت: أريد خدمة والذي يخدمني سأعطيه 20 دينار! قال: وما هو نوع الخدمة؟ قالت: زوجي ذهب إلى الجهاد منذ عشر سنوات ، ولم يرجع ، ولم يأت خبر عنه! قال: أرجعه الله بالسلامة! قالت: أريد أحدا يذهب إلى القاضي ويقول: أنا زوجها ، ثم يُطلقني ، فإنني أريد أن أعيش مثل النساء الأخريات. قال: سأذهب معك. ولما ذهبا إلى القاضي ووقفا أمامه. قالت المرأة: يا حضرة القاضي ، هذا زوجي الغائب عني منذ عشر سنوات ، والآن يريد أن يُطلقني. فقال القاضي: هل أنت زوجها؟ قال الرجل: نعم! فقال القاضي: أتريد أن تطلقها؟ فقال الرجل : نعم! فقال القاضي للمرأة: وهل أنت راضية بالطلاق؟ فقالت المرأة: نعم يا حضرة القاضي! فقال الرجل: هي طالق! فقالت المرأة: يا حضرة القاضي رجل غاب عني عشر سنوات ولم ينفق علي ولم يهتم بي. أريد نفقة عشر سنوات ونفقة الطلاق! فقال القاضي للرجل: لماذا تركتها ولم تنفق عليها؟ فقال الرجل: يحدث نفسه لو أنكرت لجلدوني وسجنوني ، ولكن أفوّض أمري إلى الله. سأدفع يا حضرة القاضي! ثم انصرفوا وأخذت المرأة الألفي دينار وأعطته 20 دينار! وعلى فرض صحة هذه القصة فإننا نستفيد منها ألا نفعل شيئاً ونحن لا نعلم عواقبه!)

71 - دهاء رجل

(يحكى أن تاجراً تعرض له قطاع الطريق وأخذوا ماله. فلجأ إلى المأمون العباسي ليشكو إليه فلم يؤذَن له بالدخول. فارتكَبَ حيلةً وَصَل بها إليه. وهي أنه حضر يوم الجمعة ونادَى: يا أهل بغداد اشهدوا علي بما أقول: وهو أن لي ما لَيس لله في الأرض. وعندي ما ليس عند الله. ومعي ما لم يخلُقه الله. وأحب الفتنة وأكره الحق .. وأشهد بما لم أرَ .. وأصلي بغير وضوء .. فلما سمعه الناس حملوه إلى المأمون فقال له: ما الذي بلغني عنك ؟ فقال: صحيح. قال: فما حملك على هذا؟ قال: قُطع الناس علي الطريق وأخذوا مالي. ولي ببابك أياما عديدة لم يؤذن لي. ففعلت ما سمعت لأراك وأبلغك لترد عليَّ مالي . قال: لكَ ذلك إن فسَّرتَ ما قلتَ. قال: نعم. أما قولي : إن لي ما ليس لله فلي زوجة ووَلَد وليس ذلك لله. وقولي: عندي ما ليس عند الله فعندي الكذب والخديعة والله بريء من ذلك. وقولي: معي ما لم يخلقه الله فأنا أحفظ القرآن وهو

غير مخلوق بل منزل من العرش بالوحي علي نبيه. وقولي: أحب الفتنة فإني أحب المال والولد لقوله تعالى : (إنما أموالُكم وأولادكم فتنة). وقولي: أكره الحق فأنا أكره الموت وهو حق. وقولي: أشهد بما لم أَرَ فأنا أشهد أن محمدا رسول الله ولم أرَه. وقولي: أصلي بغير وضوء فإني أصلي على النبي بغير وضوء. فاستحسن المأمون ذلك وعَوَّضه عن ماله. هكذا كان المسلمون الأوائل يستخدمون الحيل والفطنة والذكاء لبلوغ المراد ليس بالمكر وغش الناس وسرقة أموالهم .. فهو لم يكذب فيما قال لكنه أرغم الجميع في الاستماع إليه بذكائه.)

72 - شكوى امرأة لربها تعالى!

(رجل ضرب زوجته أمام أطفاله وتسبب لهم في الخوف والفزع ، فحزنت الأم وقالت بعد أن ضربها على وجهها وهي تبكي خوفاً عليهم: سأذهب لأشتكيك. فرد عليها:- ومن قال أنني سأسمح لك بأن تخرجي؟ قالت: أتظن إنك إن أوصدت الأبواب أغلقت النوافذ ، فإنك ستمنعني من شكايتك. رد بتعجب:- وماذا ستصنعين! قالت:- سأتصل. قال:- هواتفك كلها معي ؛ فأصنعي ما شئتِ. فاتجهت نحو الحمام وحين دخلت فكر بأنها قد تهرب من نافذته. فجرى إلى الخارج وانتظر عند النافذة ، فلم يشاهد محاولتها للخروج ، فعاد إلى الداخل ووقف عند الباب ، وخرجت وهيَ مبتلة من آثار الوضوء بابتسامتها كنقاء الماء الذي عليها وقالت:- سأشتكيك فقط عند الذي أقسمت باسمه فلا نوافذك ولا أبوابك ولا هواتفي التي حجبتها عني ستحجبني عنه ، فأبوابه لا تغلق. انصرف عنها ، وجلس على الأريكة صامتاً يفكر. ذهبت هيَ ، وصلت ، وأطالت في السجود ، وهو يراقبها ، وحين فرغت ، ورفعت يدها ، خطى نحوها وأمسك بيديها. وقال لها:- أما كفاك دعاءك عليَّ في سجودكِ؟ فنظرت إليه ، وقالت بنبرة حانية: أو تراني سأكتفي بعد الذي فعلته بي؟ قال:- والله لحظة غضب لم أقصدها ، فقالت:- ولهذا لم أكتف من الدعاء لك! والدعاء على الشيطان ، فلست غبية لأدعو على زوجي ، وقرة عيني ، فدمعت عيناه ، وقبّل يداها ، وقال:- اعاهدك أن لا ألمسك بسوء بعد اليوم! هذه هي المرأة المسلمة التي أوصانا الله ورسوله بها. فكونوا لهن يكون لكم كما يقول المثل العربي الأصيل.)

73 - آية في التسامح!

(هذا هو عمر بن عبد العزيز وهو على فراش الموت عرف بأن خادمه هو من وضع السم له في الطعام ، فناداه الخليفة عمر وقال له: ويحك لماذا وضعت السم في طعامي؟ فارتعب الخادم وقال له بخوف شديد: سيدى أمراء بنى أمية أعطوني ألف دينار ، ووعدوني بأن أصبح حراً إذا فعلت ذلك. فقال له الخليفة العظيم ضع الألف دينار في بيت مال المسلمين ، واذهب فأنت حر لوجه الله ، ولقد عفوتُ عنك. فعمر رغم أنه على وشك الموت كان يفكر في بيت مال المسلمين ، ويضرب أروع الأمثلة في العفو عند المقدرة ، لأن العلماء قالوا عنه ، ما مشى عمر خطوة واحدة إلا وكان له فيها نية لله. لذلك استطاع في عامين ونصف فقط أن يمحو الفقر وينشر العدل. حتى أن المنادى كان ينادى في شوارع المسلمين: مَن أراد الزواج أو سداد الديون أو الحج فكل ذلك من بيت مال المسلمين. فقضى على الديون وتأخر سن الزواج ففاض الخير وانتشرت البركة ، لدرجة أنه قال للعمال: ألقوا فائض القمح والبذور في الصحراء لتأكل الطيور حتى لا يقول الناس جاع الطير في بلاد المسلمين. ورغم عدله الكبير كان شديد الخوف من علام الغيوب حتى قال عنه العلماء: كان يبكى إذا سمع القرآن وكأن النار لم تخلق إلا له ،

وكان يرفض النفاق وأهله فكان يجمع العلماء الصالحين ليتذكروا أمر الآخرة. فقال له أحدهم: يا أمير المؤمنين صم عن الدنيا ، وأفطر على الموت ، واجمع الزاد لليلة صبحها يوم القيامة. هذه الكلمات هزت قلبه وسكنت روحه ، فأخذ يعيش وكأنه راهب في بيته ، وملبسه وحياته تدل على أنه أفقر الفقراء ، رغم أنه كان يحكم ربع الكرة الأرضية. لكن تلميذ النبي محمد وحفيد الفاروق عمر تجنب الهوى حتى تجنبه الهوى وطلق الدنيا ثلاثاً واشترى بها جنات خالدة والدليل عند وفاته كان آخر ما نطق به لسانه المبارك قوله تعالى: "تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين". صعدتْ روحه الطاهرة إلى رضوان الله الذي عاش حياته من أجل رضاه لدرجة أنه في عصره كان الذئب يرعى مع الغنم والسبب كما قال أحد رعيته: إن عمر أصلح ما بينه وبين الله فأصلح الله ما بين الذئب والغنم. لذلك صدق فيه قول القائل: وإذا سألوك عن العدل في بلاد المسلمين فقل لهم: "لقد مات عمر".)

74 - رجل دخل الحجرة النبوية الشريفة

(ظلت أسرار الحجرة النبوية الشريفة دفينة الكتب القديمة نادرة الوجود عبر عصور قد خلت ، إلى أن تحدى هذا التعتيم الغريب على أسرار تلك الأنوار الخفية المخفية الكاتب الإعلامي السعودي 'عمر الضواحي' الذي أجرى تحقيقاً إعلامياً أوصله البحث فيه إلى أشخاص أصغرهم في الستينات من العمر. وقد كان معظم هؤلاء متواجدين في مصنع كسوة الكعبة الشريفة. ولعله من المفيد أن نعلم مدى علاقة كسوة الكعبة ومصنعها بالحجرة النبوية الشريفة! ليس الأمر بعيداً لأن المصنع الذي عرف عنه نسج ثوب الكعبة هو نفسه الذي يصنع ثوباً للحجرة النبوية الشريفة بنفس طريقة نسج ثوب الكعبة مع اختلاف الألوان. فثوب الحجرة النبوية المطهرة ينسج بالأخضر مع خط أحمر في أعلاه وثلاث مستطيلات حمراء في وسطه ترمز لموضع الرأس الطاهرة للحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وصاحبيه رضي الله عنهما. يقول الإعلامي 'عمر الضواحي' معبراً عن الأجواء التي طبعت حواره مع هؤلاء النفر القلة الذين حظوا بدخول الحجرة الشريفة: "سجلت معهم أحاديث اختلطت بالدموع والخشوع ، خانهم التعبير خلالها مرات وخنقتهم العبرات في أخرى ، وهم يتحدثون عن تجربتهم الفريدة. كانت أطرافهم ترتعش من مجرد الذكرى وكأنها حدثت بالأمس ، وليس قبل ربع قرن من الزمان". ومن بين أهم هؤلاء الأشخاص الشيخ 'أحمد ساحرتي' رئيس قسم التطريز بمصنع كسوة الكعبة المشرفة بمكة على عهد الملك فيصل. يقول الشيخ 'ساحرتي' لعمر الضواحي حاكياً عن تلك التجربة: "كيف أستطيع أن أحدثك عن مشاعري لحظة دخولي الى الحجرة النبوية الشريفة! لا يمكنني ذلك ، اعذرني. هذا حديث فوق قدرتي على الكلام ، ولم أظن في يوم من الأيام أن أُسئل عن هذه التجربة. وأؤكد لك أنني لن أستطيع خوضها ثانية!" اقترب مني أكثر وأضاف: أنظر الى عدسات نظارتي ـ وأشار الى غلظتها ـ ودقق النظر في شيبتي وثقل السنين التي أحملها. عمري لا أحصيه ، لكنني سمعتهم يقولون إنني من مواليد 1333هـ. ومع كل هذه السنين لم أعرف لي هواية غير حب العطور والروائح الجميلة ، ولقد صرفت ردحاً طويلاً من عمري لأشبع هذا النهم الذي لا يزال يرافقني لحد الآن. سافرت كثيراً واختبرت عطوراً كثيرة حتى أن لي تركيبات عطرية خاصة بي لا توجد عند غيري من خبراء العطور. أقول ذلك لأنني عرفت عجزي وقلة معرفتي في تلك الليلة المباركة ، عندما فتحت لنا الأبواب ،

ودخلنا الحجرة النبوية. لقد استنشقت عطراً وشممت روائح ما عرفتها من قبل مطلقاً ، ولم أعرفها من بعد! لم أعرف سر تركيبتها أبداً. كان عطراً فوق العطر ، وشذاً فوق الشذى ، وشيئاً آخر لا قِبل لنا به نحن أهل الصنعة والمعرفة! يحكي 'عمر الضواحي' قائلاً: عندما طلبت منه أن يصف لي الحجرة النبوية سرت في جسده رعدة خفيفة وقال بصوت خافت: أعتقد أن ارتفاع الحجرة أحد عشر متراً. وأسفل القبة الخضراء هناك قبة أخرى مكتوب عليها: قبر النبي (صلى الله عليه وسلم) وقبر أبو بكر الصديق وقبر عمر بن الخطاب (رضوان الله عليهم) ورأيت أيضاً قبراً آخر ولكنه خاوٍ. وبجانب تلك القبور الأربعة كانت حجرة السيدة فاطمة الزهراء ، وهو البيت الذي كانت تسكنه. من رهبتنا لم نكن نعرف كيف نرفع المقاسات الخاصة بالقبة ، كانت أصابعنا ترتجف ، وأنفاسنا تتسارع. لقد بقينا نعمل فيها 14 ليلة كاملة من بعد صلاة العشاء إلى وقت أذان الفجر الأول لننجز مهمتنا. ظللنا نرفع المقاسات ، ونحل أربطة السترة القديمة. نكنس وننظف ما علق بالمكان الطاهر من غبار وريش حمام. هذا الموقف يعود إلى عام 1971م ميلادية ، وكانت الكسوة التي قمنا بتغييرها قديمة ، كان عمرها 75 عاماً حسب التاريخ المنسوج عليها ، ولم تُستبدل طوال ذلك الوقت. ويكمل الشيخ 'الساحرتي' في سرد تفاصيل تلك التجربة: كنت أول من دخل الحجرة الشريفة مع 'السيد حبيب' من أعيان المدينة المنورة ، 'وأسعد شيرة' مدير الأوقاف في المدينة وقتها 'وحبيب مغربي' من إدارة المصنع ، 'وعبدالكريم فلمبان' 'وناصر قاري' ، 'وعبدالرحيم بخاري' وآخرين. كنا 13رجلاً. وقد انتقل معظمهم إلى رحمة الله تعالى. كان يرافقنا كبير الأغوات وعدد من خدام الحجرة النبوية. كان الهمس حديثنا ، هذا إذا لم تكن الإشارة تغني عن الكلام. كنت وما زلت أعاني من ضعف شديد في الإبصار ، وهذه النظارة لم تفارق عيني منذ زمن بعيد ، لكنني كنت في الحجرة شخصاً آخر. كنت أشعر بذلك ، وألمس الفرق. وأشياء غريبة حدثت لي ، ويقسم الشيخ 'الساحرتي' قائلاً: "كنت أدخل الخيط في ثقب الإبرة من غير نظارة! رغم الضوء الخافت الذي كنا نعمل فيه! كيف تفسر ذلك؟!)

75 - أثناء حصار المدينة سنة 5 هـ في غزوة الخندق

(وضع النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" النساء والأطفال في الحصون لحمايتهم ، فكانت صفية بنت عبد المطلب ، وأمهات المؤمنين في حصن حسان بن ثابت ، وكان من أمنع حصون المدينة. وبينما كان المسلمون منشغلون بقتال عدوهم ، تسلل يهودي وطاف بالحصن يتجسس أخباره ، فأدركت صفية "رضي الله عنها" أنه يريد معرفة أفي الحصن رجال أم إنه لا يضم غير النساء والأطفال؟! فحملت عمودًا وتحركت بهدوء حتى كانت في موضع تمكنت فيه من عدوها ، ضربته على رأسه فوقع فانهالت عليه حتى مات ، لكي لا ينقل خبرهم إلى قومه. ثم حزّت رأسه بسكين ، وقذفت بها من أعلى الحصن ، فطفق يتدحرج حتى استقر بين أيدي يهود كانوا يتربصون في أسفله ، فلما رأى اليهود رأس صاحبهم ؛ قالوا: «قد علمنا إن محمداً لم يكن ليترك النساء والأطفال من غير حُماة» ، ففروا عائدين. والله إن القلم ليعجز عن تصوير هذه البسالة! والذي يضاعف عجز القلم أن تصدر هذه البسالة عن امرأة! أع نساء كن هؤلاء؟ وأي قلوب كن يملكن في صدورهن؟ رضي الله عن صحابيات محمد – صلى الله عليه وسلم -!)

76 - كيد النساء

(كان أحد الملوك يحب أكل السمك ، فجاءه يوما صياد ومعه سمكه كبيرة ، فأهداها للملك ووضعها بين يديه ، فأعجبته ، فأمر له بأربعة آلاف درهم ، فقالت له زوجته: بئس ما صنعت. فقال الملك لمَ؟ فقالت لأنك إذا أعطيت بعد هذا لأحد من حشمك هذا القدر قال قد أعطاني مثل عطية الصياد ، فقال: لقد صدقت ، ولكن يقبح بالملوك أن يرجعوا في هباتهم وقد فات الأمر فقالت له زوجته أنا أدبر هذا الحال ، فقال: وكيف ذلك؟ فقالت: تدعو الصياد وتقول له هذه السمكة ذكر هي أم أنثى؟ فإن قال ذكر فقل: إنما طلبت أنثى ، وإن قال أنثى قل: إنما طلبت ذكراً. فنودي على الصياد فعاد ، وكان الصياد ذا ذكاء وفطنة ، فقال له الملك: هذه السمكة ذكر أم أنثى؟ فقال الصياد: هذه خنثى ، لا ذكر ولا أنثى؟ فضحك الملك من كلامه وأمر له بأربعة آلاف درهم ، فمضى الصياد إلى الخازن ، وقبض منه ثمانية آلاف درهم ، وضعها في جراب كان معه وحملها على عنقه ، وهم بالخروج فوقع من الجراب درهم واحد ، فوضع الصياد الجراب عن كاهله ، وانحنى على الدرهم فأخذه ، والملك وزوجته ينظران إليه ، فقالت زوجة الملك للملك أرأيت خسة هذا الرجل وسفالته ، سقط منه درهم واحد فألقى عن كاهله ثمانية آلاف درهم ، وانحنى على الدرهم فأخذه ، ولم يسهل عليه أن يتركه ليأخذه غلام من غلمان الملك ، فغضب الملك منه وقال لزوجته صدقت. ثم أمر بإعادة الصياد وقال له يا ساقط الهمة ، لست بإنسان ، وضعت هذا المال عن عنقك لأجل درهم واحد ، وأسفت أن تتركه في مكانه؟ فقال الصياد: أطال الله بقاءك أيها الملك ، إنني لم أرفع هذا الدرهم لخطره عندي وإنما رفعته عن الأرض ، لأن على وجهه صورة الملك وعلى الوجه الآخر اسم الملك ، فخشيت أن يأتي غيري بغير علم ويضع عليه قدميه ، فيكون ذلك استخفافاً باسم الملك وأكون أنا المؤاخذ بهذا ، فعجب الملك من كلامه واستحسن ما ذكره ، فأمر له بأربعة آلاف درهم. فعاد الصياد ومعه اثنا عشر ألف درهم وأمر الملك منادياً ينادي لا يتدبر أحد برأي النساء ، فإنه من تدبر برأيهن وأتمر بأمرهن ، فسوف يخسر ثلاثة أضعاف دراهمه!)

77 - موقف صلاح الدين من أرناط

(وصل نبأ لصلاح الدين الأيوبي أن القائد الإفرنجي أرناط حاكم الكرك في فلسطين قام بقطع الطريق على الحجاج المسلمين ، وقتل النساء ، والأطفال وكان يقول: قولوا لمحمدكم أن يدافع عنكم! وشاء الله تعالى أن يفر رجل بنفسه ويذهب إلى صلاح الدين ويخبره بما حدث فماذا كان موقفه؟ اعتزل صلاح الدين في بيته ، وأخذ بالتضرّع والبكاء يومين كاملين ، وهو يقول: يا رب هل تسمح لي أن أنوب عن رسولك محمد صل الله عليه وسلم في دفاع عن أمته ، وما زال يكررها حتى اليوم الثاني ثم أعد جيشه ، وقال فيهم هذه الخطبة الصغيرة: يا جند محمد عليه الصلاة والسلام إن أرناط حاكم الكرك قد تجبر وعلا وقتل حجاج بيت الله الحرام ، وسفك دماء الأطفال والنساء ، وهو يقول: قولوا لمحمدكم أن يدافع عنكم. وأنا قد وهبت نفسي وروحي لأنوب عن محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الدفاع عن أمته ، فمن أراد الذهاب معي فليلحقني ، فقال جنده جميعاً بصوتٍ واحدٍ: كلنا فداء لرسول الله! وعندما دارت المعركة ، معركة حطين ، وانتصر فيها صلاح الدين وأُسر أرناط ، قال صلاح الدين له: أأنت الذي قلت قولوا لمحمدكم أن يدافع عنكم؟ قال: نعم. فأجاب صلاح الدين: وأنا العبد الفقير الذي تراه أمامك قد ناب عن رسول محمد في الدفاع عن أمته وقطع رأسه.)

78 - رحلة مدرسية

(قامت إحدى المدراس الخاصة بتنظيم رحلة للأطفال إلى إحدى الأسواق الكبرى ، وطلبت من كل طفل أن يختار هدية لأمه على أن تقوم الإدارة بدفع ثمنها حتى تترك كل طفل يختار ما يحلو له من هدية لأعظم كائن في الوجود. وبعد أن اختار كل طفل هديته عادوا مجدداً الى المدرسة! فقالت المعلمة: هيا أروني ما اختاره كلٌ منكم لأمه! فرفع الأول هديته وكان ممسكاً بحقيبةٍ رائعة! والثاني رفع زجاجة عطر! والثالث رفع حذاء! والرابع رفع ماكينة حلاقة ومعجون حلاقة وبعض شفرات للحلاقة! ضحك الكل وسخروا من هذا الطفل وبدأت المعلمة تصيح في وجهه قائلة: ما هذا؟! ألم تفكر في هدية سوى هذه؟ أين عقلك؟! هل تريد أن تسعد أمك أم تحزنها؟! فبكى الطفل على سخرية الجميع منه حتى المعلمة! فشعرت المعلمة بالخجل بعد ما وجدت الدموع تجري في عيني الطفل! وقالت له: اعذرني ولكن ، لماذا هذه الهدية بالتحديد؟ فصمـــت الطفل قليلاً وبدأ يمسح دموعه بكفيه الصغيرتين ثم تابع قائلاً: لقد توفيت أمي وأبي أيضاً في حادث سيارةٍ بعد ولادتي بأشهر قليلة وأخي الأكبر هو من أكمل تربيتي إلى أن أتى بي إلى هذا المكان فهو أمي وأبي! لم تجد المعلمة شيئا تفعله سوى أن تشارك الطفل بكاءه وقبلت رأسه أمام الجميع! وإذن فلا نحكم على اختيارات البشر من الخارج فنحن لا نعلم ما تحمله قلوبهم!)

79 - الصحابي أنس بن النضر

(صحابي أنزل الله فيه قوله تعالى: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً}. في غزوة بدر تخلّف الصحابي الجليل أنس بن النضر عن الانضمام لجيش المسلمين فحزن حزنًا شديدًا وقال: والله لئن أراني الله مشهدًا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما بعد ليرين الله مني ما أصنع! وظل في اشتياق إلى الجهاد في سبيل الله حتى جاءت غزوة أُحد في العام الذي يليه فخرج فيها. وكما تعلمون ما حدث في هذه الغزوة حيث انكشف المسلمون وجُرح النبي - صلى الله عليه وسلم - وكسرت رباعيته. وأشيع بين الناس أن النبي قد قُتِل! فهناك من فرّ من الصحابة وهناك من جلس على الارض حزينًا وعمّت الفوضى في جيش المسلمين! ولكن كما يخرج الذهب من بوتقة اللهب المستعر ، في الأزمات تظهر معادن الأبطال. قام أنس بن النضر ليبر بقسمه ، فلم يأبه بانهزام المسلمين ولم تثنيه الشائعات. فقام وحمل سيفه وانطلق كالسهم يُقاتل أعداء الله ، وبينما هو في طريقه رأى بعض الصحابة فقال: ما يقعدكم؟ قالوا: قُتل رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه. ثم انطلق وهو يقول: واهًا لريح الجنة إني أجدها دون أحد. ثم انطلق يشق بسيفه جحافل الكفر غير مكترث بكثرتهم. وظل يقاتل كي يبر بقسمه حتى اصطفاه الله من الشهداء! يصف سيدنا سعد بن معاذ للنبي صلى الله عليه وسلم ما فعله أنس فيقول: فما استطعت يا رسول الله ما صنع! وبعد المعركة وجدوه وقد قتله الكفار ومثلوا بجثته ، ووجدوا في جسده أكثر من ثمانين جرح ما بين ضربةٍ بسيفٍ أو طعنةٍ برمح أو رميةٍ بسهم ، حتى أنهم لم يعرفوه إلا من بنانه! فأنزل الله فيه قوله تعالى: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً}.)

80 - الأب العجيب

(ذات يوم سأل الأب ابنه : ماذا تحب أشتري لك هدية؟ فأجاب الابن: اشتر لي أباً ثانياً غيرك! فاستغرب الأب من إجابة ابنه الصغير ، وسأله عن السبب في هذا الطلب الغريب فأجابه: أنت اشتريت امرأة أخرى غير أمي! لم يستطع التعليق على كلام ابنه ، ونزل إلى مستوى تفكيره وقال له: ولكن الأب ليس مثل اللعبة عندما لا تريده تغيره ؛ والأب الجديد لن يحبك مثلي! فأجاب الابن والعَبرة تخنقه: حتى أمي ليست لعبة لتشتري غيرها عندما تملها ؛ وحتى المرأة الجديدة لن تحبك مثل أمي! هل تذكر يا أبي عندما ولدَت أمي أختي الصغيرة وكنتَ أنت في قمة السعادة؟ ماذا قالت أمي: أصبح لدي الآن ثلاثة أطفال ، وعندما سألتها من الثالث يا أمي؟ قالت: والدك يا بني! يعني لن تتخلى عنك كما فعلت أنت! هذه هي أمي يا أبي! فهل تستحق منك أن تبدلها بأخرى؟ فأجاب الأب و الدموع تنهمر من عينيه: الحمد لله الذي رزقني ابن مثلك من زوجة مثل أمك! ورجع الزوج للزوجة الأولى بنفس الليلة. وطلق الجديدة! وعلق راوي القصة بقوله: سبحان الله: "من أكذب ما قرأت"! معقولة: ولد يتكلم بهذه الطريقة كأنه عميد كلية الآداب في الجامعة. وأقول: ما حكمة الابن التي تستحق من الراوي كل هذا الإطراء؟ وهل الأب بهذه السذاجة ليطلق امرأة تزوجها؟ لئن كان في القصة ضرب من الخيال والكذب ، فخيال وبلاهة التعليق أشد!)

81 - القيد الخفي

(أما هذه القصة فلا أعلم مقدار الصدق والواقعية فيها! ذهب فلّاح لجاره يطلب منه حبلاً لكي يربط حماره أمام البيت. فأجابه الجار بأنه لا يملك حبلاً ، ولكن أعطاه نصيحة وقال له: يمكنك أن تقوم بنفس الحركات حول عنق الحمار ، وتتظاهر بأنك تربطه ولن يبرح مكانه! فعمل الفلّاح بنصيحة الجار. وفي صباح الغد وجد الفلاح حماره في مكانه تماماً. ربت الفلاح على ظهر حماره. وأراد الذهاب به للحقل. ولكن الحمار رفض التزحزح من مكانه! فحاول الرجل بكل قوته أن يحرك الحمار ولكن دون جدوى. حتى أصاب الفلّاح اليأس من تحرك الحمار. فعاد الفلاح للجار يطلب النصيحة. فسأله: هل تظاهرت للحمار بأنك تحل رباطه؟ فرد عليه الفلاح باستغراب: ليس هناك رباط ! فأجابه جاره: "هذا بالنسبة إليك! أما بالنسبة إلى الحمار فالحبل موجود". عاد الرجل وتظاهر بأنه يفك الحبل. فتحرك الحمار مع الفلاح دون أدنى مقاومة! لا تسخر من هذا الحمار. فالناس أيضاً قد يكونون أسرى لعادات أو لقناعات وهمية تقيدهم. وما عليهم إلا أن يكتشفوا الحبل الخفي الذي يلتف حول عقولهم ويمنعهم من التقدم للأمام. أي أمةٍ تتوارث أجيالها الحديث عن الضعف والتخلف والخوف والفقر ستبقى متأخرة حتى تفك حبلها الوهمي! حينها تستطيع أن تنهض وتمضي للأمام من جديد. إن تقدم الأمم مشروط بحريتها في اتخاذ القرار! وكم من أمم مكبلة ، ويكون تكبيلها سبباً رئيسياً في الحيلولة بينها وبين التقدم والازدهار! والتاريخ يشهد بهذه الحقيقة على مستوى الأفراد والجماعات والشعوب! إن الإنسان المكبل بالقيود لا يستطيع الانتقال من مكان إلى آخر! بل يظل يراوح في مكانه دون أن يحرز شيئاً!)

82 ـ المرأة الفقيرة

(يحكى أن امرأة فقيرة مسكينة مات عنها زوجها ، فأصابها وابنتيها بعده الفقر والقلة! وطلب منها صاحب الدار الإيجار فعجزت فأخرجها من الدار! خرجت ببنتيها إلى بلدة أخرى خوفاً من شماتة الأعداء! وكان البرد قارساً ، فلما دخلت تلك البلدة أدخلت بنتيها في مسجد مهجور ومضت تحتال لهم على القوت! فمرت برجل مسلم وقور هو شيخ هذه البلدة ، وشرحت حالها له وقالت: أنا امرأة غريبة ومعي يتيمتان ، أدخلتهما مسجداً مهجوراً في مدخل البلدة وأريد الليلة قوتهم! فقال لها: هاتِ لي دليلاً على صدق قولك! فقالت له: أنا امرأة غريبة ولا أحد في البلدة يعرفني فأعرض عنها ، فمضت من عنده منكسرة القلب! وفي طريقها قابلت رجلاً مُسناً فشرحت له حالها ، وقصت عليه ما جرى لها مع الشيخ! فقام الرجل وكان نصرانياً وأرسل معها بعض نسائه وأتوا بها وبنتيها إلى داره ، فأطعمهن أطيب الطعام وألبسهن أفخر اللباس ، وباتوا عنده في نعمةٍ وكرامة. فلما انتصف الليل رأى ذلك الشيخ المسلم شيخ البلدة في منامه كأن القيامة قد قامت وقد عقد اللواء على رأس النبي صلى الله عليه وسلم ، وإذا بقصر من الزمرد الأخضر شرفاته من اللؤلؤ والياقوت ، وفيه قباب اللؤلؤ والمرجان ، فسأل الشيخ رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن هذا القصر قال: لرجل مسلم موحد ، فقال: يا رسول الله أنا رجل مسلم موحد فقال له صلى الله عليه وسلم: هات دليلاً على صدق قولك ، فإنه لما قصدتك امرأة مسكينة قلت لها: هاتي دليلاً على صدق قولك. فكذا أنت هات دليلاً على صدق قولك! فانتبه الرجل من نومه حزينا على رده المرأة ، ثم جعل يطوف بالبلد ويسأل عنها حتى دل عليها أنها عند الرجل النصراني! فذهب إليه وقال: أريد منك المرأة التي أتتك بالأمس وبنتيها! فقال ما إلى هذا من سبيل وقد لحقني من بركاتهم ما لحقني ، قال الشيخ: خذ مني ألف دينار وسلمهن إلي! فقال النصراني: لا أفعل ، فقال الشيخ: بل لا بد أن تفعل! فقال النصراني: الذي تريده أنت أنا أحق به ، والقصر الذي رأيته في منامك خلق لي ، فوالله ما نمت البارحة أنا وأهل داري حتى أسلمنا كلنا على يد هذه المرأة ، ورأيت مثل الذي رأيت أنت في منامك! وقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: المرأة وبنتاها عندك؟ قلت: نعم يا رسول الله ، قال: القصر لك ولأهل دارك ، فانصرف الشيخ المسلم وبه من الحزن والكآبة ما لا يعلمه إلا الله! اللهم ارزقنا حب الفقراء ومعونتهم فإن الرزق رزقك ونحن عبيدك. وأياً كان مقدار الصدق في هذه القصة فليس هناك مانع من حدوثها! ولنستلهم منها العبرة والعظة والدرس!)

83 ـ ذكاء معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنهما ـ!

(عندما حدث النزاع بين ملك المسلمين معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنهما ـ وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، بعث ملك الروم إلي معاوية بن أبي سفيان قائلاً: إنا نرى أنك أحق بالملك من علي بن أبي طالب ، فإن أردت أرسلت له جيشاً أوله عندك وآخره عنده يأتيك برأسه! فبعث له معاوية قال: من معاوية بن أبي سفيان إلى ملك الروم: أخوان تشاجرا ما شأنك بهما ، فإن لم تخرس أرسلت إليك جيشاً أوله عندي وآخره عندك يأتيني برأسك أقدمه هدية لعلي! ويأتينا اليوم جاهلٌ مجهالٌ جهولٌ جهل لا علم له ، يتكلم على صحابة النبي الكرام الذين لولا أن الله تعالى سخرهم لما وصلنا هذا الدين ويسب ويطعن في الصحابة نسأل الله الهدى وصلى الله وسلم على نبيه الكريم وأشرف خلقه وأطهرهم وأصدقهم وجزاه الله عنا خير

ما جزى نبياً عن أمته! قد نتكلم بالقسط عن أبناء الصحابة! لكن الصحابة لا يجوز أبداً أن نتجاوز في حقهم وننتقصهم ونعيب ما فعلوه مجتهدين – رضي الله تعالى عنهم أجمعين!)

84 - تعزية ساخرة

(توفي والدُ أحد الملحدين ، فعزاه أحد معارفه المسلمين بشيء من الدعابة وخفة الظل ، فكتب له: للطبيعة ما أعطت وللطبيعة ما أخذت ؛ وكل شيء عندها بالصدف! إنه لا قيمة لصبرك ولا طائل من جزعك ولا تنتظر من أحد شيئاً ؛ ولا قيمة لميت أو حي ؛ ما نحن إلا حثالة كيميائية كما قال الملحد ستيفن: راحلون لا محالة ؛ كلنا كائنات وجدنا لنهلك ؛ جئنا من العدم وبعثنا من العدم وسنرجع إلى العدم. البقاء للأقوى وللأصلح ؛ فلو لم يكن أبوك ضعيفاً وفاسد لما مات كما تموت القرود ؛ وستنتخب الطبيعة خيراً منه ليسود النوع الأفضل. عظمت الطبيعة أجرك. وشكرت الطبيعة سعيك. ولتقرأ على أبيك صفحاتٍ من كتاب أصل الأنواع لداروين عسى أن يتطور بعد الموت. أما ماذا كانت ردة فعل الابن الملحد الذي كانت هذه التعزية في أبيه ، فأمر لا طائل من ورائه!)

85 - الخضر ونبوته؟

(أيها الموفق العاقل المحترم الذكي العبقري ، هل توقفت يوماً لتتساءل عن سيدنا الخضر عليه السلام؟ هل هو نبي أم ولي أم عالم أم ماذا؟ هل انتابتك الدهشة لهذا الذي جعله الله أكثر علماً وحكمة ورحمة من نبي مرسل؟! اعلم أن الخلاف في نبوة الخضر خلاف قديم جديد! والراجح أنه نبي بعد مناقشة الروايات! أتساءلت يوماً لماذا كل هذا الإصرار أن يصل سيدنا موسى عليه السلام لبلوغ المكان الذي سيلاقي فيه سيدنا الخضر عليه السلام؟ (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً)! ولماذا سيدنا موسى تحديداً الذي قُدِّر له من بين جميع الأنبياء والرسل أن يقابل سيدنا الخضر الأكثر علماً ورحمة؟ والأكيد أن هذه القصة تحديداً تختلف تماماً عن كل القصص ، قصة موسى والعبد الصالح لم تكن كغيرها من القصص ، لماذا؟ لأن القصة تتعلق بعلم ليس هو علمنا القائم على الأسباب ، وليس هو علم الأنبياء القائم على الوحي ، إنما نحن في هذه القصة أمام علم من طبيعة أخرى غامضة أشد الغموض. علم خص الله به الخضر دون غيره ، علم أُسدلت عليه الأستار الكثيفة ، كما أُسدلت على مكان اللقاء و زمانه ، وحتى الاسم (عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا)! هذا اللقاء كان استثنائيا لأنه يجيب على أصعب سؤال يدور في النفس البشرية منذ خلق الله آدم إلى أن يرث الله الأرض و ما عليها. أما السؤال: لماذا خلق الله الشرّ والفقر والمعاناة والحروب والأمراض؟ لماذا يموت الأطفال؟ كيف يعمل القدر؟ البعض يذهب إلى أن العبد الصالح لم يكن إلا نبياً من أنبياء الله: (فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً). أهم مواصفات الخضر أنه رحيم عليم أي أن الرحمة سبقت العلم. فقال النبي (موسى): (هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً) يرد (الخضر): (قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً) (وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً) ، إنه عبدٌ فهم أقدار الله فوق امكانيات العقل البشري ولن تصبر يا موسى على التناقضات التي تراها! فيرد موسى معلقاً أمر استطاعته بمشيئة الله تعالى: (سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِراً وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْراً)! وهنا تبدأ أهم رحلة توضح لنا كيف يعمل القدر؟ يركبا في قارب المساكين فيخرق الخضرُ القارب! تخيل أيها القارئ المعاناة الرهيبة التي حدثت للمساكين في

القارب المثقوب. معاناة ، ألم ، رعب ، خوف ، تضرع. جعل موسى يقول: (أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً)! عتاب للخضر على ما أتاه! (أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً)؟ ثم يمضيا بعد تعهدٍ جديد من موسى بالصبر. يمضي الرجلان ، ويقوم الخضر الذي وصفه ربنا بالرحمة قبل العلم بقتل الغلام ، ويمضي! فيزداد غضب موسى عليه السلام النبي الذي يأتيه الوحي ، ويعاتب بلهجةٍ أشد: (أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا)! تحول من إمراً إلى نكراً! والكلام صادر عن نبي أوحي إليه ، لكنه بشرٌ مثلنا ، ويعيش نفس حيرتنا ، ويؤكد له الخضر مرة أخرى: (أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً)؟ ثم يمضيا بعد تعهدٍ أخير من موسى كليم الله بأن يصمت ولا يسأل. فيذهبان إلى القرية معاً ، فيبني الخضر الجدار ليحمي كنز اليتامى! وهنا ينفجر موسى ، فيجيبه من سخّره ربه ليحكي لنا قبل موسى حكمة القدر: (قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً)! وهنا تتجلى حكمة الإله و التي لن تفهم بعضها حتى يوم القيامة ، الشر نسبي ، ومفهومنا كبشر عن الشر قاصر ، لأننا لا نرى الصور الكاملة. فالقدر أنواع ثلاثة: النوع الأول: شرّاً تراه فتحسبه شرّاً ، فيكشفه الله لك أنه كان خيراً ، فما بدا شراً لأصحاب القارب ، اتضح أنه خير لهم. وهذا نراه كثيراً في حياتنا اليومية وعندنا جميعاً عشرات الأمثلة عليه. النوع لثاني: شراً تراه فتحسبه شرّاً ، لكنه في الحقيقة خير ، لكن لن يكشفه الله لك طوال حياتك ، فتعيش عمرك و أنت تحسبه شراً. مثل قتل الغلام! هل عرفت أم الغلام حقيقة ما حدث؟ هل أخبرها؟!)

86 - يحطم كبرياء رستم

(إنه الصحابي البطل ربعي بن عامر بن خالد بن عمرو الأسيدي العمروي التميمي رضى الله عنه. أما البطولة ففي العزة. في غزوة القادسية أرسل رستم قائد الفرس إلى سعد بن أبي وقاص قائد المسلمين أن ابعث إلينا رجلاً نكلمه ويكلمنا ، فأرسل سعد ربعي بن عامر إليهم. فدخل ربعي عليهم وقد زين رستم مجلسه بالنمارق المذهبة والزرابي المبثوثة وأظهر اليواقيت والوسائد المنسوجة بالذهب والزينة العظيمة وغير ذلك من الأمتعة الثمينة. وعليه تاج من الذهب ويجلس على سرير من الذهب ، فدخل عليه ربعي بثياب صفيقة ومعه سلاحه وسيفه الذي وضعه في خرقة وترس وفرس قصيرة. ولم يزل راكبًا الفرس حتى داس بها على البساط. ثم نزل وربط حبل فرسه بوسادتين شقهما ، فلما اقترب من رستم قال له الجنود: ضع سلاحك ، فقال: إني لم آتكم فأضع سلاحي بأمركم ولكني أتيتكم حين دعوتموني فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت ، فقال رستم: ائذنوا له ، فأقبل ربعي وهو يمشي ويمزق الوسائد والنمارق التي في طريقه فلم يدع لهم وسادة ولا نمرقًا إلا أفسدها وهتكها ، فلما أقبل عند رستم قال له: ما جاء بكم؟ فقال ربعي كلمات سطرها التاريخ ، كلمات حُقَّ لها أن تكتب بمداد من ذهب ، قال: (الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عباده من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ، ومن أبى قاتلناه أبدًا حتى نفضي إلى موعود الله) فقال رستم: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى الدخول في الإسلام والنصر لمن بقي. فقال رستم: قد سمعنا مقالتكم ، فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا ، فقال: نعم. ولكن كم أحب إليكم؟ يومًا أو يومين؟ قال: لا ، بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا ونتشاور في أمرنا. فقال له ربعي: ما سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نؤخر القتال

أكثر من ثلاث ليال فانظر في أمرك وأمر قومك ثم اختر واحدة من ثلاث بعد ثلاث ليال: إما الإسلام ، وإما القتال ، وإما الجزية عن يد وأنتم صاغرون ، وأنا كفيل بذلك عن أصحابي. فتعجب رستم وقال له: أسيدهم أنت حتى تقرر؟ فقال: لا ، ولكن المسلمين كالجسد الواحد بعضهم من بعض يجير أدناهم على أعلاهم. فاجتمع رستم برؤساء قومه فقال: هل رأيتم قط أرجح وأعظم عزًا من كلام هذا الرجل؟ فقالوا: معاذ الله أن تميل إلى شيء من هذا وتدع دينك إلى هذا الكلب – أي تدخل في الإسلام – أما ترى إلى ثيابه؟ فقال رستم: ويلكم لا تنظروا إلى الثياب ولكن انظروا إلى الرأي والكلام والسيرة ، إن العرب يستخفون بالثياب والمأكل ويصونون الأحساب!)

87 - أيتها الحيات والسباع: نحن أصحاب رسول الله!

(في البداية والنهاية: ابن كثير ، وكذلك في نهاية الأرب في فنون الأدب ، وقد أورد ابن حجر في الإصابة في ترجمة عقبة بن نافع - رضي الله عنه - نحو هذا الخبر وحسن سنده. في عام واحد وخمسون من الهجرة شرع عقبة بن نافع في بناء مدينة (القيروان) في تونس ، واختار عقبة مكاناً لبناء المدينة ، وكان ذلك المكان شبه مهجور ، فأخبره أصحابه بأنهم يخافون من السباع والحيات الموجودة في هذا المكان وأنه من الأفضل اختيار مكان أخر. وكان مع سيدنا عقبة ثمانية عشر رجل من الصحابة والتابعين فقام عقبة بالدعاء إلي الله وأمر الصحابة أن يؤمنوا على دعائه ثم نادى: أيتها الحيات والسباع ، نحن أصحاب رسول الله فارحلوا عنا فإنا نازلون ومن وجدناه بعد هذا قتلناه! ففوجئ الصحابة بمشهدٍ رهيب ، حيث خرجت السباع من بين الأشجار وهي تحمل أشبالها سمعاً وطاعة. والذئب يحمل ابنه والحية تحمل أولادها في مشهد تقشعر له الأبدان! ونادى عقبة في الناس: كفوا عنهم حتى يرحلوا ، ولم يمضى بضعة ساعات حتى فرغ المكان من الحيات والسباع والوحوش ، ويقال أن أهل أفريقية ظلوا لمدة أربعين عام لا يرون في ذلك المكان حية أو عقرب أو سبعاً!)

88 - رسالة إلي مسيلمة الكذاب

(في ديواني الأول (نهاية الطريق) ، كتبت قصيدة عنونت لها بـ (مسيلمة الكذاب). واليوم أكتب أخري ، وهي رسالة لمسيلمة ولأتباعه من بعده وإلي أن تقوم الساعة. والدجل والكذب والكفر ملل واحدة ، وإن اختلفت المسميات والشارات! ذلك أن الكذب في زماننا يأخذ صوراً متعددة وأشكالاً متنوعة. ودجاجلة العصر لا يكفون طرفة عين عن نشر باطلهم: ليلاً و نهاراً ، سراً وجهاراً. والعقيدة الحقة أمانة عند من يعتنقها فهو يدعو إليها. مهما كلفه ذلك الطريق من تكاليف وأثمان. وأقول: لن تطفئوا نور الحق أبداً. فخذوا العبرة من قدوة أساطينكم (مسليمة) ومن أسوتكم (فرعون) ومن مثلكم الأعلى (قارون) ومن سلفكم (هامان) أين ذهبوا؟ إن كل متكبر متغطرس مجترئ علي الله وشرعه ونبيه وأوليائه وكلامه لا بد من أن يدفع الثمن يوماً ما. فيهزم شر هزيمة ويكون عبرة لغيره.)

89 - الياسمينة

(أهدي هذه القصة لأم عبد الله. وأضمّخها بالياسمين عرفانًا بالجميل واعترافًا بالفضل. فأعتب تارةً ، وأشتكي تارةً أخرى من ألم الرحيل وعذاب الفراق ومحن البيْن. ألا إن الرحيل عذابٌ كله ، ولا يدرك ذلك إلا مَن ذاق لوعَة الرحيل. والذي يرحل عنه أولاده على رغم الأنف منه يتلظى بها أكثر. ويوم أن يكثُر الواشون وشاياتهم تزداد لوعةُ الرحيل أكثر. والياسَمين عطر جميل يُخففُ مِن لوعة الرحيل ، وأجملُ مِن ذلك أن تمتزجَ نضارةُ الياسمين بعذوبة الشعر! وعلى إثر رسالة

أرسلتها لي أم عبد الله تعتبر الأولى بعد رحيلها أدركتُ كيف غير الوشاة قلبها وموازينها! والأصل أننا إذا تذكرنا الرحيل الأكبر (الموت) لما استهجنا الرحيل الأصغر! قال الخليفة عبد الملك بن مروان في مرض موته: ارفعوني ، فرفعوه حتى شم الهواء فقال:يا دنيا ما أطيبك! إن طويلك لقصير ، وإن كثيرك لحقير ، وإن كنا بِك لفي غرور. وقيل له في مرض موته: كيف تجدك؟ فقال: أجدني كما قال الله: (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ). وقال بعضهم: دخلنا على عطاء السلمي نعوده في مرضه الذي مات فيه ، فقلنا له: كيف ترى حالك؟ فقال: الموت في عنقي ، والقبر بين يدي ، والقيامة موقفي ، وجسر جهنم طريقي ، ولا أدري ما يفعل بي ، ثم بكى.)

90 - اليتيم والوجه الآخر

(قسا عليه زوج أمه. وضعفتْ شوكة الأم عن الانتصار لهذا اليتيم ذي السنوات التسع. فترك البيت لأمه لتعيش وزوجها في أمان. إذ هو الحل الوحيد في نظره لتجنب كل المشاكل والصراع. حيث إن زوج الأم المراهق المختل التفكير يغار على زوجه من وليدها اليتيم. فكان من نصيب الفتى البائس أن يخرج من البيت ، ويلحق بأحد الرعاة فيرعى الغنم ثم يعود. لقد خصّص الإسلام جزءاً لا بأس فيه للحديث عن أهميّة رعاية اليتيم سواء من خلال الآيات القرآنية أو من خلال الأحاديث النبويّة الشريفة ، أو من خلال الحكم والأمثال ووصايا الفقهاء والبلغاء والشعراء والأدباء المؤمنين. فاليتيم وخاصةً إن كان طفلاً يجب الاهتمام به ورعايته والتعامل معه بإحسان ولطف ، ذلك لأنّه قد فقد والده أو والديه معاً ، وهو بحاجة إلى من يوفر له احتياجاته ، وبحاجة أيضاً لرعايته عاطفياً ومشاعرياً كتعويضٍ عن فقده لأهله ، ولكن هذا لا يعني بالضرورة أنّ اليتيم إنسانٌ ضعيف ؛ فسيِّد البشرية محمد صلى الله عليه وسلم فقد والده قبل أن يولد ، وفقد أمّه في سن السادسة من عمره ، واستطاع حمل رسالة الإسلام ونشرها على الرغم من كلّ الصعاب التي واجهها. ومن هنا فإن اليتيم المسلم له أسوة فيه – صلى الله عليه وسلم – كنبي يُتبع فيما جاء به من عند الله ، وكنبي يتيم لم يقف به يُتمه عن حد ، ما بل جاوزه حاملاً عبء النبوة والرسالة والدعوة! إنّ واجب كل إنسان مقتدر من أقارب اليتيم أن يرعاه ، ويُقدّم له العون المادي ، وهذا في الشرع فرض كفاية ؛ فإن قام به بعضهم سقط عن البقية ، وإن لم يُقدم أحد من أقارب اليتيم الرعاية له ، فسيُحاسب يوم القيامة على هذا ، أمّا إن لم يتوفّر لليتيم أقارب يستطيعون رعايته فتنتقل هذه المسؤولية لدار الإسلام التي من واجبها رعايته سواءً في منزله أو في دور رعاية مُخصصة لذلك ؛ حيث نصحنا الإسلام بالإحسان إلى اليتيم حتى يُبارك الله له في أبنائه ويجعلهم من الصالحين ، وهذا دليل على عِظم أجر الإحسان إلى اليتيم. وتشمل رعاية اليتيم ما يلي: تقديم العون المادي ليستطيع توفير احتياجاته من مأكل وملبس ومشرب ومصاريف التعليم تحت إشراف أمه إن كان يتيم الأب ، أو بإشراف أحد أقربائه من الذين تطوعوا لكفالته ، ليستطيع العيش مثله مثل باقي الأطفال الذين تتوفر لهم سبل الحياة الكريمة العزيزة. وخصّص الإسلام جزءاً من مال المسلمين العام لليتيم ، وهذا قد نراه واضحاً في استخدام هذه الأموال لبناء المؤسسات التي تُعنى بالأيتام ، ويجب على كل من يُخرج الزكاة أن لا ينسى أن لليتيم نصيباً شرعه الإسلام لهم. ويجب على الذي يقوم بتربية اليتيم أن يُحافظ على ماله ، وأن لا يأخذ منه إلّا بما شرع له الله ، وإن كان غنياً عليه أن يستعفف ، وإن كان فقيراً واحتاج شيئاً من ماله عليه إعادته لليتيم بعد أن يُغنيه الله. ويجب تقديم الرعاية النفسية لليتيم ، وعدم إشعاره بالنقص الحاصل لديه من الوالدين. هذا ولرعاية

اليتيم فضلٌ يعود على صاحبه ، فعدا عن الثواب والأجر العظيم الذي سيناله في الآخرة ، فإنّ الله يعطيه في الدنيا البركة في أمواله وأولاده ، ويجعلهم بارين به ، فما أعظم من جبر خاطر اليتيم الذي فقد أعز الناس عليه ، وحذّرنا عز وجل من الإساءة إلى اليتيم ؛ حيث قال: "فأما اليتيم فلا تقهر". ومن هنا كانت الحاجة ماسة للكتابة عن اليتيم للحث على الاهتمام به ورعاية شؤونه ابتغاء وجه الله تعالى! ولقد تصفحتُ كثيراً من الدواوين الشعرية والكتابات النثرية ، فوجدت الاهتمام باليتيم والكتابة عنه وحث الآخرين على رعاية شؤونه يأخذ حيزاً ضئيلاً ، إذا قورن بموضوعات أخرى تقل عنه أهمية! الأمر الذي جعلني تقريباً أكتب عن اليتيم في كل ديوان لي! ولعلها همسة لطيفة ودعوة ظريفة ولمسة خفيفة ، لكل شاعر قدير جهبذ أن يحرص على أن يتبنى ذات القضية ، ألا وهي الكتابة عن اليتيم وتخصيص جزء من الديوان له. وإنني إذ أقول ذلك وأكتبه فإنني أفعل ذلك ابتغاء وجه الله مخاطباً الشعراء ذوي الأحاسيس المرهفة والمشاعر الجياشة والعواطف النبيلة والخواطر الإنسانية! من القوم الذين ينشدون يبتغون بإنشادهم وأشعارهم الله عز وجل ورسوله الكريم – صلى الله عليه وسلم – والدار الآخرة. يكتبون ونصب أعينهم المحاسبة بين يدي الله! وقبل أن أبرح ساحة التقديم لهذه القصة ، أنتهزها فرصة وأوصي زوج كل ذات ولد ، أن يحسن إلى ولدها اليتيم! وإلا اختار زوجاً غير ذات ولد ، كيلا يقهر يتيمها ويكسر قلبها إن كانت ذات قلب! ألا إن إحسانه إلى يتيمها إحسان إليها وتقوية لصلته بالله تعالى ، ثم بها! ولن يضيع الأجر عند الله سبحانه وتعالى!)

91 - اليتيم

(كانَ مِن قَدري أن أرى يتيمًا كلَّ يومٍ وأتحدثَ إليه. وذاتَ يومٍ جَرحتُ مشاعِرَهُ فاعتذرتُ إليه شعراً! وذلك بعد أن استعرضت ما لليتيم في ديننا من عظيم مكانة! قال تعالى:{وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً* إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً* إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً* فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً). ولما أرضى أبو الدحداح اليتيم الذى جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم – يطلب شفاعته في نخلة على الحد الذى يفصل بين بستانه وبستان أحد المسلمين - بشره بالجنة ، فعن أنس – رضي الله عنه - عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: كم من عذق رداح لأبي الدحداح في الجنة. أخرجه: أحمد وابن حبان والحاكم ، وقال: صحيح على شرط مسلم. وعن ابن عباس – رضي الله عنهما - عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: أول من يأكل من ثمرة الجنة أبو الدحداح! أخرجه الديلمى. وأنا حاولت وصف شعوري نثراً عندما سألته: أين توقيع ولي أمرك؟!)

92 - اليراع الثائر

(إن القلم سلاح الأديب: شاعرًا كان أم ناثرًا أم ناقدًا يذود بقلمه عن مبادئه وقيمه وشريعته التي يؤمن بها. والقلم يمثل في حياتي صديقًا خلوقًا طيبًا أودعه أسراري وأفكاري. وبه أدون قصائدي وأعود فأنقحها وأضيف إليها أو أحذف منها. إنه القلم الذي له مكانةٌ في ديننا كبيرة جدًا. ففي القرآن سورة باسمه ، ويقسم الله به في أخرى (ن والقلم وما يسطرون). والقسم هنا بالقلم وبما يكتب القلم. يقول صاحب الظلال - رحمه الله – في تعليقه على سورة القلم ما نصه: (يقسم الله سبحانه بنون وبالقلم ، وبالكتابة ، والعلاقة واضحة بين الحرف (ن) بوصفه أحد الحروف الأبجدية وبين القلم والكتابة. فأما القسم بما هو تعظيم لقيمتها ، وتوجيه إليها ، في وسط أمة لم تكن تتجه إلى التعليم عن هذا الطريق ، وكانت الكتابة فيها متخلفة نادرة ، في الوقت الذي كان دورها المقدر لها في علم الله ، يتطلب نمو هذه المقدرة فيها ، وانتشارها بينها

، لتقوم بنقل هذه العقيدة ـ وما يقوم عليها من مناهج الحياة ـ إلى أرجاء الأرض ، ثم لتنهض بقيادة البشرية قيادة رشيدة. وما من شك أن الكتابة عنصر أساسي في النهوض بهذه المهمة).هـ. قال الأستاذ ملاد الجزائري عن مدى مسؤولية الكتابة بالقلم ما نصه: (للقلم كتابة نافذة إلى القلب. لأنه ينقل أفكار ومشاعر ورسائل الكاتب إلى عقل القارئ وقلبه ، ونجاحه وصيته يكمن في معايشة قضايا المجتمع والاستجابة بصدق لحاجات الناس على اختلافها. الحبر لا يتكلم سراً. الكتابة مسؤولية وأمانة ، فمن الغش أن نكتب للناس ما يفسدهم ويؤجج نار الفتنة بينهم وليعلم كل كاتب أنه مسؤول عما يكتب والله هو الرقيب عليه. قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا).هـ. وهناك أحاديث للنبي ﷺ تُبين بأن القلم أول ما خلق الله عزَّ وجلَّ. وما هذا كله إلا لإبراز مكانة القلم في ديننا. وما اقتنيتُ في حياتي شيئًا استكثرتُ منه للحد الذي وُجه إليّ اللوم من الآخرين مثل القلم والكتاب والشريط التسجيلي. إذ هذه جميعًا بوابتُنا أو نافذتُنا على العلم. يقول الكاتب تشارلز مورجان محدداً وظيفة القلم في يد الأديب والناقد ما نصه: (إن كانت الصنعة غرضاً في نفسها فإنها لا قيمة لها ، وهناك كثيرون يعلنون احتقارهم للرجل الذي يقضي شهراً في صياغة فقرة ، لأنهم عاجزون عن مثل صبره ، وأمثال هؤلاء النقّاد يقولون إن الصنعة المحكمة غرور وتنفخ. فهم يصيحون: هل يحسب زيدٌ من الناس أنه قد بلغ من خطر الشأن أن تختار كل كلمة من كلماته كما لو كان مصير العالم متوقفاً عليها؟ وهناك جواب سهل على ذلك. إن الصناعة المحكمة عمل من أعمال المتواضعين لا من أعمال المتكبرين. فالرجل المتكبر الغارق في أمور الدنيا يركن إلى نفسه ، يؤمن بحكمته ويستسلم لذكائه ، فهو يخط ما يتفق أن يكون في رأسه كما يرتجل خطيب الشارع من فوق برميله. أما الكاتب فهو يعلم أنه ليس بنفسه شيئاً ، إنما هو أداة ، وواجبه إتقان أدائه). هـ. يقول شكري عياد في كتابه «علم الأسلوب ـ مدخل ومبادئ» ما نصه: (إن معظم الشبان يحاولون ولو مرات معدودة في حياتهم كتابة نوع ما من أنواع الأدب ، كما يهتمون بقراءة بعض ما يقع منه في أيديهم. والقارئ الجيد يمكن أن يصبح منشئاً جيداً. والقارئ الرديء لا يكون إلا مُنشئاً رديئاً. وإذا انحطت قيمة الإنتاج الأدبي انحطت قيمة القراءة. وإذا تعلَّم قراء الأدب كيف يقرأون فلا بد لكتَّابه أن يتعلموا كيف يكتبون أو يكفوا عن الكتابة).هـ. فالعِلم إما مكتوب أو مسموع. والمكتوب منه بأي شيء كتب؟ إنه كتب بالقلم. وإذا أردت الاستدراك على أي كاتب أو الإضافة إلى ما كتب أو التعديل لما كتب فبأي شيء إنه بالقلم. وإذن فالقلم أداة عجيبة. ساعدني الله به كثيرًا على تدوين ما جاد الله به علي من الحق شعرًا أو نثرًا. وأعترف أنه ما كان من خير فيما كتبتُ بيراعي فمن الله عزَّ وجلَّ وحده. وما دوَّنتُ مِنْ سُوء أو شيء يخالف الشريعة الربانية فمن نفسي والهوى والشيطان. والله منه بريء. وثورة اليراع في خاطرتي هذي ثورة عاقلة تثور على الإقبال على الدنيا وتلوم من يفعل ذلك وتزجره. وتحبب إليه الخير. «وفي كلِّ يدٍ مُوَحِّدٍ يراع. والعِبرة بما سيكتب اليراع. ولقد تأتي فترة لا توجدُ لليراع فرصةٌ ليعَبِّرَ عن قريحة صاحبه. فتثورُ دخائلُ نفسه ثم ينتهي إلى الانفجار...». وكم بالقلم قامت حروب! وكم به أبرمت اتفاقيات سلام! وكم به خطت عقود زواج! وكم به خطت قسائم طلاق! وكم به دونت شهادات ميلاد! وكم به خطت شهادات وفاة! وكم به خطت أحكام بالبراءة على أناس! وكم خطت به أحكام بالإعدام على آخرين! والقلم في الحالات كلها واحد ومداده واحد! وكل كاتب مسؤول بين يدي ربه – تبارك وتعالى – عما كتبت يده! ومن هنا فالأقلام قلمان: قلم الرذيلة ، وهو قلمٌ يُورد صاحبه المهالك ويهوي به في النار – والعياذ بالله! وهذا هو قلم الرذيلة الذي أمر بالمنكر ونهى عن المعروف لأن دوره الإفساد في الأرض! وأما القلم الثاني فهو قلم الفضيلة الذي يرقى بصاحبه في الجنة بمقدار ما كتب من الحق! ذلك أن هذا القلم على عكس القلم الأول ، فهذا القلم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر!)

93 - اليراعُ الذبيحُ بين الظل والحرور

(قال: الشعر من فوق الركبة وطالع. فقلت له: ألا ينفع من فوق الركبة ونازل؟ فقال: إذن تقتل الموهبة! وفي مقال للأستاذ محمود البشبيشي المدرّس بدار العلوم يتساءل فيقول: (ماذا يريد القوم؟ وأيّ غرض يرمون إليه؟ ماذا يريدون بمجمع البحور، وهو نوع لا حظ له من النغم الموسيقي ، الذي هو روح الشعر ، وسر تقدمه على النثر ، هو لون من القول يريد أن يخدع الناس عن نفسه فلا يلبثون أن يعرفوا حقيقته ، ويدركوا أنّه لا إلى الشعر ولا إلى النثر. لقد أبان لهم (الدكتور الفاضل) أن هذا بدع من القول لم تعهده اللغات الأخرى ، ولم ينزل إليه شعراؤها النابهون ، أمثال (شكسبير) وصاحب الشاهنامة ، وعهدنا بأصحاب هذه الدعاوى ، إذا أخذهم الدليل أن يتشبثوا بأهداب التجديد ، ويجروا وراء الأدب الغربي ، فإذا كانت حجتهم داحضة ، وأسبابهم واهية ، وإذا كان فحول شعراء اللغات الأخرى لم يلتفتوا إلى (مجمع البحور) فماذا عساهم يقولون؟ ما أظن الباعث لأكثر هؤلاء إلاّ الطموح إلى الشهرة وذيوع الصيت ، يستهينون في سبيله بلغتهم ، وهي مناط العظمة ، وديوان المفاخر ، ومظهر الكرامة والعزّة القومية ، هم يحسدون الشعراء على مكانتهم! ويحاولون ألاّ يقصروا في كل مظاهر العظمة ، فيتعلّقون بأهداب الشعر ، فإذا هو نافر منهم ، ويرون معاناة الشعر أمراً عسيراً على طبائعهم ، شديداً على نفوسهم ويدركون أن العقبة الكؤود دون الذي يريدون ، قوانين دعت إليها طبيعة الشعر كفن من فنون الموسيقى ، وأقواها في نظرهم وحدة الوزن والقصيدة أو ما يعبّر عنه بالبحور ، فلا يهدأ لهم بال ، ولا يقر لهم قرار حتى ينفّروا الناس من هذه القوانين لعلهم أن يحطموها ، فتصير طريق الشعر في زعمهم واضحة معبّدة ، وعند ذلك يستوي الشاعر والمتشاعر ، ويندس في زمرة الشعراء الملهمين من لا يمت إلى الشعر بسبب ، وقد نسوا أن الشعر كالموسيقى والصوت الحسن لا ينقاد إلاّ لمطبوع عليه. رويدكم أيّها العابثون! فما أنتم ببالغي هذه الغاية! وإن تراءت لكم قريبة المزار ، إنّ شعراً يفقد أهم عناصره وهي وحدة الموسيقى لجدير أن تمجه الآذان ، وتنفر منه الطباع ، وما كان هذا شأنه. فلن يرقى إلى درجة الشعر الصحيح ولن يجد من النفوس إلا احتقارا ، ثم لا يلبث أن يقبر في مهده. وإنه لخير مما تريدون أن يسمع الإنسان كلاما منثورا منسجما لا تكلف فيه ، ولا تتعب أذنه في التوفيق بين أنغام مختلفة متنافرة ، لا حظّ لها من الشعر ، ولا روح لها من ألفة موسيقية ، وإن يوماً يستحيل فيه الشعر إلى ما ذهبتم إليه لهو يوم القضاء على الشعر العربي وجناية هذا على الأجيال المستقبلة أخطر مما تتصورون. ليس يُجدي ما تدعون إليه أن يتجلى على الناس في حُلّة الشعر وأن يحمل بين يديه قيثارته ، فلن تلبث الحلّة الخادعة ، أن تبدو مهلهلة شتى الصور والألوان فتقذي بها الأعين ، ولن تلبث القيثارة أن تظهر أوتارها المتناثرة فتحجبها الآذان. ولا يلبث ذلك المسمّى شعراً أن يبدو في حلّته عظاماً نخرة ، لا تقوى على الهواء فتعود رفاتا سحيقاً ، فاعملوا للتجديد إن كنتم صادقين على دعائم ثابتة من القديم ، وإذاً يمضي أدبكم العربي المجيد في طريقه قُدُماً ، ويتسع لما شئتم من جديد نافع).هـ. وأعود للموازنة الغريبة العجيبة! وأقول بكل صدق وصراحة وصرامة بأن محاولات العلمانيين للنيل من الأدب العربي: شعره ونثره ستبوء بالفشل الذريع! ولو قدر لها النجاح فهو نجاح نسبي مؤقت! وسوف ينتصر الأدب العربي اليوم وغداً ، كما انتصر بالأمس في وجه محاولات التغريب والتخريب!)

94 - أريج اليراع الشاعر

(قصيدة نبطية كتبتها إحدى الصالحات – فيما نظن ونعلم عنها - ، فلما أعجبتُ بفكرتها ومعانيها رحتُ أحوّلها إلى العربية الفصحي! هذا وإن أغلب أبياتها في الاعتراف بالذنب والخطيئة والابتهال إلى الله بالمغفرة! وغيرة على اللغة الفصحى من جهة ، وللحد من شيوع العامية والنبطية رأيتُ أن أفعل ذلك بدقة وإتقان! وذلك بعد أن استأذنتها في ذلك! فلمَا وافقت وانتهيتُ من كتابتها ، أرسلتُ منها نسخة لها لتقرأها ولتوافيني بالرد! فلما وصلتها القصيدة على ظهر ورقتها التي خطتها بيمينها أثنت على قصيدتي خيراً ، وأدركتْ ما للعربية العالمية الفصحى من جمال يفوق النبطية الإقليمية! وأيدت مبدأ التمسك بالعربية الفصحى تحدثاً وكتابة! واعتبرت معي أن هذا شعيرة من شعائر الإسلام وليس من نافلة القول أو الفعل أو العمل! والحقيقة أنه في تلاقي أو صراع الحضارات الراهن لا بد من لغة لنا تصمد في المواجهة في مقابل اللغة الإنجليزية العالمية ، فلتكن العربية الفصحى هي لغة التحدي! فكان لهذه الخاطرة أريج تتوق إليه الأنوف ، فأسميتها: (أريج اليراع الشاعر) لنستروح أريجها كل حين!)

95 - اليراع والدموع

(أصِبتُ في حادثٍ أليم ، كانَ سببًا في إصابة مقلتِي اليسْرَى. وذلك في 25 نوفمبر 1994م ، فأمسكت القلمَ ، وطالَ ليْل الرِّثاء. وأخذت العَهْدَ على نفسي أنْ أبكي عينَي على كل بحور الشعر العربي الفذِّ الأصيل: أصيلِها ومولَّدِها وحديثِها ، بلْ ما يسمَّى بالشعر الحر الذي ليسَ هو بالشعرِ وإنْ زَعَمَ له أصحابه أنه شعر. وإن كان غير ذي تأثير ، وليس له جمهور إلا من الكارهين للعربية الجاهلين بها وبشعرها وأدبها! ولقد سئل أستاذنا الكبير سماحة الوالد الشاعر الأديب الدكتور عدنان النحوي عن جمهور ما يسمى بشعر التفعيلة أو الشعر الحر المتفلت من الوزن والقافية فقيل له: هل يمكن القول بوجود جمهور خاص يتذوق الأدب الإسلامي؟ فكان جواب الدكتور عدنان: (الجمهور الذي يتذوق الأدب الإسلامي إذا قيس بالذين يتذوقون الأدب المتفلت نجده أقل ، وذلك بمقارنة مبيعات ديوان شعر إسلامي وديوان شعر متفلت ، وألاحظ أن تذوق الشعر ضعيف بين الناشئة الإسلامية ، خلافاً لما كان عليه الحال عند العرب ، عندما بُعث محمد صلى الله عليه وسلم آنذاك كان الشعر ديوان العرب ، وتكاد لا تجد أحداً لا يقول الشعر ولو بيتاً واحداً أو أبياتٍ قليلة ، والمسلمون اليوم قد ضعف استخدام للغة العربية بين مثقفيهم ، فما بالك بين الناشئة ، وغلبت العامية واللغات الأجنبية! فكان الشعر والنثر في المستوى الأدبي الرفيع من أهم أسلحة الإسلام. يمكن أن يكون هناك جمهور ينمو ويحتاج إلى رعاية وبناء ، وهنا لا يتحمل الأدب وحده المسؤولية ولا الأدباء وحدهم ، فالتربية والإعلام والواقع كله يؤثر تأثيراً مهمًّا في ذلك ، وكذلك مختلف مستويات الأمة ، فكل مسلم مسؤول! وأجواء الأدب عامة تؤثر في عملية بناء الجمهور ، حين يكون التصور للأدب الإسلامي أخذ مكانه في الواقع عملياً! وحين تكون النفوس كلها التقت على نهج موحد صاف وتلمس بركته في الشرق والغرب ، يجمع العزائم كلها ويزيل أسباب تفرقها. ولا أعتقد أننا نستطيع أن ندرس قضية الأدب الإسلامي معزولة عن سائر ميادين الحياة الإسلامية. فكل الميادين يجب أن تتساند ، ويدفع بعضها بعضاً ، ويثري بعضها بعضاً. وهذا يقودنا إلى الواقع الإسلامي كله في واقعنا اليوم ، وكيف تناثرت ميادينه ، حتى أصبح كل ميدان كأنه يعمل مستقلاً ، لا يستفيد من

الميادين الأخرى كلّ الفائدة المرجوة).هـ. وسئل الدكتور عدنان النحوي عن عزل الشعر عن واقع الحياة وجعله مقتصراً على المواعظ ، فقيل له: هناك محاولات من البعض لحصر الأدب الإسلامي ، في أدب المواعظ وعزله عن أدوات العصر الأدبية ، فما جهودكم في التصدي لهذا الأمر؟ فكان جوابه: (أعتقد أن محاولات حصر الأدب الإسلامي في أدب المواعظ وعزله عن أدوات العصر الأدبية هي محاولات ضعيفة لم يكن لها أثر حقيقي في الساحة الأدبية. لقد كانت المحاولات الأقوى هي محاولة عزل المواعظ عن الأدب الإسلامي ، وقد كتب في ذلك عدد من الأسماء المعروفة ، وتبعهم عدد من الأدباء. ويبدو أن السبب في ذلك هو هبوط مستوى المواعظ في مرحلة من مراحل العصر الحديث هبوطاً ابتعدت فيه المواعظ عن قضايا الأمة من ناحية ، وابتعدت عن الأسلوب الفني للأدب الملتزم بالإسلام وقواعده وعناصره الأساسية ، فهذا الهبوط مع ما كان يحمل من التقليد والتكرار أوجد النفور في عدد كبير من النفوس ، ولكن هذا يمثل مرحلة هبطت فيها الأمة كلها في أكثر من ميدان ، فلا عجب أن هبط مستوى الأدب أحياناً ، وهبطت المواعظ كذلك ، إلا أن تاريخنا الإسلامي يحمل أروع النماذج من أدب المواعظ والوصايا ، ذخائر غنية قد لا يتوافر مثلها لدى أي أمة أخرى ، فهي مواعظ ووصايا تجمع ناحيتين أو مجموعتين من الخصائص في آن واحد ، حيث تتفاعل هاتان المجموعتان فيما بينهما لترتفعا بالنص إلى مستوى أدبي رفيع. هاتان المجموعتان من الخصائص هما الخصائص الإيمانية التي تجعل النص إسلامياً والخصائص الفنية التي تجعل النص أدبياً ولا تغني المجموعة الواحدة عن الأخرى في الأدب الملتزم بالإسلام. وفي هذا التصور لا يعود هنالك مجال لعزل أي ميدان من ميادين الأدب في الإسلام ، ولا لحصر الأدب في ميدان واحد فقط أو أكثر ، فحيثما توافرت هاتان المجموعتان من الخصائص أصبح النص أدباً إسلامياً أو أدباً ملتزماً بالإسلام).هـ. ولعلني عشت هذا الهاجس عندما عرضت بعض قصائدي على مدير تليفزيون إحدى القنوات العربية ومعه لفيف من ذوي الشأن ، وتلوت بعضها في إحد النوادي الأدبية التي كان جمهورها من المتخصصين في الأدب العربي والمعنيين به أكثر من غيرهم! وكانت المفاجأة من كلا الفريقين أن وعدوني بالاستضافة فقط في لقاءات رمضان الدينية ، وعبر أحدهم باللقاءات الرمضانية الصوفية! فقلت للفريقين: لا حاجة لي بلقاءاتكم ولا بأمسياتكم إن حصرت الشعر العربي في اللقاءات الرمضانية! كما أنني أربأ بنفسي وبشعري أن أنسب إلى الصوفية من قريب ولا من بعيد! وأعود لعيني البائسة المبتلاة فأواسيها وأبين لها أنني صابر على ألمي محتسب ، للأجر عند الله تعالى. مؤمناً بقضاء الله ، مستسلماً لقدره!)

96 - أليس الصبحُ بقريب؟

(طال النقاش في موضوع معين ، حوالي أربع ساعات لم يُبرر فيها الجاني جريمته. بل راح يلف ويدور ، ويتقعر في الكلام وكيل التهم التي لا دليل عليها سوى الظن والوهم. وساعده على الغلبة بالباطل ضعفُ حال المجني عليه ورقة شعوره وشمَتُ الناس فيه ، وخذلانُ القاصي والداني له. فلم يكن أمام الثاني إلا الصبر والاحتساب والاسترجاع والتذرع بالإيمان! وتذكر بكل تقوى قول الله تعالى: (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً). ولم يكن أمامه كذلك إلا أن يتمثل قول الله العظيم الغالب على أمره: (إن موعدهم الصبح! أليس الصبح بقريب؟) والملحظ الذى ينشده من الآية ليس صبح قوم لوط ، بل الملحظ الذي يريده هو

ملحظ التهديد وعبرة الوعيد الرباني: صبح يوم القيامة ، إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً. وإذن فصبح يوم القيامة كذلك قريب. ولو عُدنا إلى قصة موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام ، مع فرعون وملئه عليهم الصغار واللعنة والذل ، لأدركنا أنها سُنة ربانية لا تتبدل ولا تتخلف! ولنطالع ما ذكره الأستاذ عبد الحميد السحيباني في كتابه (وماذا بعد الظلم؟) في التعليق على هذه السنة الربانية: (وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آَتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ): هذه دعوةٌ عظيمةٌ دعا بها كليمُ الله موسى على عدوِّ الله فرعون غضبًا لله عليه ؛ لتكبُّره عن اتِّباع الحقِّ وصدِّه عن سبيل الله ومعاندته وعُتُوِّه وتمرُّده واستمراره على الباطل ومكابرته الحقّ الواضح الجليّ الحسِّيّ والمعنويّ والبرهان القطعيّ ؛ فقال: (رَبَّنَا إِنَّكَ آَتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ): يعني قومَه من القبط ومن كان على ملته ودان بدينه: (زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ) ، أي وهذا يغترُّ به من يُعظم أمر الدنيا فيحسب الجاهل أنهم على شيء ؛ لكون هذه الأموال وهذه الزِّينة من اللِّباس والمراكب الحسنة الهنيَّة والدُّور الأنيقة والقصور المبنيَّة والمآكل الشَّهيرة ، والمناظر البهيَّة ، والملك العزيز ، والتَّمكين والجاه العريض في الدُّنيا لا الدِّين. (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ): قال ابن عباس ومجاهد: أي أهلكها. وقال أبو العالية والربيع بن أنس والضَّحَّاك: اجعلها حجارةً منقوشةً كهيئة ما كانت. وقال قتادة: بلغنا أن زروعَهم صارت حجارةً. وقال محمد بن كعب: جعل سكرهم حجارة. وقال أيضاً: صارت أموالهم كلُّها حجارة. وقولُه: (وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ): قال ابن عباس: أي اطبع عليها ؛ وهذه دعوة غضب لله تعالى ولدينه ولبراهينه ؛ فاستجاب الله تعالى لها وحقَّقها وتقبَّلها كما استجاب لنوح في قومه ؛ حيث قال: (رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا). ولهذا قال تعالى مخاطباً موسى حين دعا على فرعون وملئه وأَمَّنَ أخوه هارون على دعائه فنزل منزلة الداعي أيضاً (لأن المؤمّن أحدُ الداعيين): (قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ).هـ. وإذن فهي سُنة ربانية ثابتة لا تتبدل ولا تتغير ولا تتحول!)

97 - أليس شاب شعره؟!

(الشيب أحدُ رسل الموت وأحدُ نُذُر القبر. ومن هنا كانت وصية النبي – صلى الله عليه وسلم - بالنهي عن نتفه ، إذ هو يُذكّر النهاية! إنما أمر النبي بتغييره بالخِضاب وتجنيبه السواد! عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنَّ اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم". رواه البخاري ومسلم. وعن أبي أمامة رضيَ الله عنه قال: يا معشر الأنصار حمِّروا وصفِّروا وخالفوا الأعاجم. رواه أحمد. والحديث: حسَّن أسنده ابنُ حجر. وتغيير الشيب بالسواد المحض حرام! وذلك لأن الرسول لمّا رأى رأس أبي قحافة كالثغامة قال: غيِّروا هذا. رواه مسلم. وإذن فالسنة في الشيب أن يغيّر كما أمر النبي – صلى الله عليه وسلم – بقوله: (غيروا هذا الشيب واضربوا عليه بالكتم!)

97 - أليس لك بُنيات؟!

(في كتاب (الفرج بعد الشدة) ج7 - ص155 ، يقول الأخ الأستاذ إبراهيم الحازمي مؤلف الكتاب: (وهذه حكاية عن راعي إبل من أهل القصيم كان في الشام ، واحتاجت إليه امرأة في شيء من المال. فقصدته ، فساومها على عرضها ، فخوفته بالله ، وفي المرة الثانية كرر عليها. فقالت: أعطني لوجه الله واتق الله. وفي المرة الثالثة ألح عليها. وتحت ضغط الحاجة أذعنتْ. فلما تمكن منها ، قالت: أليس لك يا هذا بنيات؟ فقال: بلى. فقالت: ألا تخاف عليهن من يفعل بهن ما تريد أن تفعل؟ فأعرض عنها الرجل ، وأعطاها ما شاءت. فلما عاد إلى بيته بالقصيم بعد فترة ، أخبره جيرانه أن أناساً أشراراً كانوا يريدون بناته ، ولكن الله سلم. وزامن ذلك نفس الوقت والتاريخ. فلا إله إلا الله.هـ. والحمد لله أن يتكرر اليوم في أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – مثل الذي في صحيح البخاري من حديث الثلاثة الذين سألوا الله بأعمالهم الصالحة (أصحاب الغار). لقد مدح الله المؤمنين ، وشهد عز وجل لهم بالفلاح ، وكان من وصفه لهم (والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين) ، وقوله (والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً). والنبي – صلى الله عليه وسلم - ضمن الجنة لمن حفظ فرجه. فقد روى البخاري أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: كان الكفل من بني إسرائيل لا يتورع عن ذنب عمله. فأتته امرأة فأعطاها ستين ديناراً على أن يطأها. فلما أرادها على نفسها ارتعدت وبكت. فقال: ما يبكيك؟ قالت: لأن هذا عمل ما عملته وما حملني عليه إلا الحاجة. فقال: تفعلين أنت هذا من مخافة الله ، فأنا أحرى ، اذهبي فلك ما أعطيتك ، ووالله لا أعصيه بعدها أبداً. فمات من ليلته ، فأصبح مكتوب على بابه: إن الله قد غفر للكفل. فعجب الناس من ذلك.هـ. والحديث بتمامه في كتاب المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح للحافظ الدمياطي. وفي حديث الثلاثة أصحاب الغار الذي سدته صخرة في الجبل ودعوا الله بصالح أعمالهم: فالبارّ بوالديه أولهم وثالثهم حافظ الأمانة لصاحبها ، وأما أوسطهم الذي هو محل الشاهد فقال: اللهم كانت لي ابنة عم ، كانت أحب الناس إلي فأردتها على نفسها ، فامتنعتْ مني حتى ألمت بها سَنة من السنين فجاءتني ، فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بيني وبين نفسها ، ففعلت. حتى إذا قدرت عليها (وفى رواية فلما قعدت بين رجليها) قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحق ، فتحرّجتُ من الوقوع عليها. فانصرفتُ عنها وهي أحب الناس إلي. وتركت الذهب الذي أعطيتها. اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه. وفي الختام انفرجت الصخرة وخرجوا جميعاً. ومن هنا شُرع لنا نحن المسلمين الدعاء بصالح أعمالنا وأقوالنا!)

99 - بين اليقظان والنائم

(كان يتمنى أن يتزوجها يوماً ما ، ويحلم بهذا. بل ويدعو الله ويبتهل إليه بأن يزوّجه منها. فلما كان له ذلك ذاق على يديها البلاء بأنواعه المعروفة وغير المعروفة. وتجرّع العذاب بكل صوره ، وشرب المحن والإحن والبلايا كؤوساً مترعة! فكأنه حلم يقظة مرير. أو كابوس قد داهمه عبر سنيّ العمر. وأخذ المسكين يلوم نفسه على سوء الاختيار تارة ، ويلوك توقعاته المستقبلية تارة أخرى ، وأنشأ يعاتب نفسه أنه أحسن الظن بمن لا تستحق. وتلك عاقبة من يُغلّب هواه في أمر ما فلا يغلّب حكمة ، ولا يستشير خبراء ولا يستخير الله تعالى ، ولا يدرس

عواقب الأمور! ولا يفاضل بين السلبيات والإيجابيات! ولله تعالى في خلقه شؤون ، والله غالبٌ على أمره! وإن هو إلا القضاء والقدر والنصيب المحتوم!)

100 - إليك وحدك يا حمزة يا أسد الشعر

رسالة شعرية للشاعر الكريم الدكتور / حمزة أبو النصر

بمناسبة محاضرته القيمة عوامل الهدم والتدمير في الأدب المعاصر

(أهدي هذه الرسالة الشعرية تحية مشاعرية للأستاذ الدكتور الشاعر الكريم سماحة الوالد المحترم / حمزة أبو النصر ، وذلك مكافأة مني له على محاضرته العظيمة التي ألقاها هنا في دار غربتنا. ولم يكن لي شرف سماع المحاضرة حية تولد ، بل من خلال أحد أشرطة الأدب والذي ساقه القدر سوقاً إلي ، والمحاضرة بعنوان: عوامل الهدم والتدمير في الأدب المعاصر. وقد قام الأستاذ المحاضر بكل صدق وأمانةٍ بالتحليق في سماء النقد الأدبي من زاويةٍ شرعية ، يضع الحق في نصابه ويعيد القوس إلى باريها. ويبيّن جناية الأدب المعاصر في معظم مواده على الحس والإحساس ، والدار والناس ، والشعر والشعراء ، والحياة والأحياء ، وكان من ثمراته التحلل من الدين ، بل ومن فطرة الإنسانية العامة ، حيث هدم فيما هدم بنية الإنسان الحقيقية ، وعاش الناس زماناً تُتأجر فيه المرأة مثل الدراجة أو السيارة أو البيت ، وحدثني من أثق في قوله ، والله حسيبه ، والعُهدة على الراوي ، أن عرفاً شاع بين بعض الشباب وهو أن يستأجر الشاب غرفة تشاركه فيها شابة أو امرأة: ويكون قسطها في الإيجار أن تعمل عنده بمثابة الزوجة! وكلٌ منهما لا علاقة له بالآخر ابتداء إلا علاقة المخادنة التي نهى الله عنها في كتابه: (غير مسافحات ولا متخذات أخدان) ، (غير مسافحين ولا متخذي أخدان). وعشنا زماناً أصبح الشاب المنحل الضال يجد المرأة ويقدر على ثمن إيجارها ، ولا يستطيع أن يشتري ما يعرف بـ (ساندوتش وكوب أيس كريم)! كما هي التسمية الأوروبية الدخيلة على لغتنا الحبيبة! وما ذلك كله وغيره الكثير إلا بسبب الأدب المنحرف المتمثل في تيارات الإباحية والإلحاد واللادينية في الأدب والانحلال الخلقي الأدبي. ناهيك عن الحداثة الأدبية والتي من مصطلحاتها الجاهلية: اللامحدودة واللانهائية ، واللاحقية واللاواقع ، الهُيام الهارب. وإنني لأتعجب من هذه المصطلحات الثلاثة الملعونة ، التي إن دلت على شيء ، فإنما تدل على فساد أذواق وعقليات من ابتكروها. ما معنى اللامحدود؟ وما معنى اللانهائي؟ ومفهوم اللاحقيقة أو اللاواقع؟ ومن أي شئ يهرب الهُيام؟ يقولون: (الهيام الهارب) ويصفونه بأنه المنطلق من المحدود إلى المطلق والانعتاق من كل القيود ، مهما كانت أنواعها وأوصافها والبواعث عليها ، والمرئية والتموضع الزمكاني والثنائية الضدية الأساسية ، والرؤيوية ، والعمل المغلق واعتباطية الإشارة ، والنحن والأنا ، والفحص بكل أنواعه الاستبدالي والتخيلي ، والحركة الدائمة والتغير سواء المستمر أو المطرد أو الانعكاسي ، وإلغاء القديم والثبات على الثنائيات والضدية والبنيوية والتعارض الثنائي ، والتنوير الجذري ، والممكن والتقليد الثباتي... إلخ ، وأسأل عن العبث الذي لا معنى له في اللغة ولا في الواقع ولا حتى في الخيال ، اللهم إلا في عالم المعاتيه والمجاذيب والبُله! ولقد نقد الحداثة في الأدب المعاصر أستاذنا الدكتور / عدنان النحوي ، في كتبه النقدية عن الحداثة وأهلها نقداً منصفاً موضوعياً محايداً! فلقد تتبع الحداثيين ، وتعقبهم وكشف عوراتهم ، وجلاهم لكل أعمى ، وفضحهم بالحق ، وبيّن للناس مؤامرتهم الخبيثة لهدم

الأدب (ولا ينبئك مثل خبير). وإن كنت أهمس في أذن أستاذنا الدكتور / حمزة أبو النصر أن يعد كتاباً في النقد الأدبي تكون شواهدُه وتحليلاته أكثر من هذه المحاضرة التي يتحدث فيها عن الهدم والتدمير في الأدب المعاصر ، ولكن بصورة أوسع وأشمل وأكبر ، فيتناول كل فنون الأدب وشعره ونثره ونقده ، وعسى الله أن يكون ذلك قريباً. وأخيراً أقول: إن من آثار الهدم والتدمير في الأدب الأفلام الإباحية المنحلة السافلة والتمثيليات الجاهلية والأغاني العُهرية والمسرحيات الهازلة التي سخرت من كل قيمة ومن كل مبدأ ومن كل اعتقاد ولا حول ولا قوة إلا بالله! وأسأل الله أن يُعجل بهداية ما يسمى اليوم بالفن ، ويهدي من يُسمون اليوم بالممثلين والممثلات والمطربين والمطربات والمسرحيين والمسرحيات والراقصين والراقصات ، فإنْ كان علم الله أن منهم من سيهتدي (عجّلَ الله عز وجل بهدايته) ، وإنْ كان في علم الله أن منهم من لن يهتدي حتى يلقى ربه الجبار القهار (فأسأل الله الجبار المنتقم العزيز الذي لا يُرد بأسه عن القوم المجرمين أن ينزل بهم وبمن وضعوهم في الصدارة ومكّنوهم من إغواء الخلق ، أن ينزل بهم عجائب قدرته ، وأن يسلط عليهم جميعاً سيف انتقامه ، وأن يرينا فيهم يوماً أسود كيوم قارون وفرعون وهامان ، وأن يجعلهم وما عندهم من المال غنيمة باردة سهلة ميسورة لأهل الحق). فلقد أضلوا أمة وأفسدوا جيلاً بل أجيالاً ، وأضاعوا داراً فتحتْ للإسلام يوماً ما! والحقيقة أن الأرض عاشت فساداً لا يوصف قبيل بعثة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم - ، فأصلحها الله سبحانه وتعالى ببعثة خاتم الأنبياء وإمام المرسلين النبي الأمي محمد – صلى الله عليه وسلم - ، فعاش الناس في هدايةٍ وصلاح وتوفيق ما شاء الله لهم أن يعيشوا! فمن دعا إلى غير هُدى ذلك النبي الخاتم – صلى الله عليه وسلم – ، فهو من المفسدين في الأرض! والله نهانا عن الفساد فقال: (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها). وأكتفي بهذا المقدار وأترك القارئ الحبيب مع هذي القصيدة ، وأعتذر عن أي خلل أو خطأ أو مزلق فيها. إذ لا يسلم أي إنجاز بشري من العيب والزلل ، مهما أتقنه صاحبه ، وأبدع وأجاد فيه!)

الخاتمة

على أمل اللقاء بكم أعزائي القراء في الجزء التالي حتى نكمل معاً ثلاثة آلاف قصة وقصة! لنقرأ ونستمتع ونتأمل ونعتبر! فإن العاقل من وعظ بغيره! والقصة خير معلم!

مع خالص احترامي وتقديري

الكاتب الفقير إلى الله والراجي عفوه ومغفرته /

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

(كاتب أهل الصعيد)

فهرست القصص – (شرائح قصصية سليمانية 6)

مسلسل	عنوان القصة	النغم	النوع	الصفحة
1	جانب من حياة نوح عليه السلام	قصص الرسل	قصة قصيرة	7
2	زهرة من بستان فاطمة بنت أسد	التربية	قصة قصيرة	7
3	جراهام بل	الكفاح والجد	قصة قصيرة	8
4	الحمامتان والسلحفاة	صدق الوعد	قصة رامزة	9
5	غاندي وفردة الحذاء	تعدي الخير	قصة قصيرة	10
6	انتحار عواقبه قاسيه!	الصبر أولى	قصة مأساوية	10
7	وكفى بها نعمة!	الصبر في الحق	قصة طويلة	11
8	إسلام أم المؤمنين صفية بنت حُيي بن أخطب	المعروف	قصة قصيرة	12
9	الشفاء بعد المرض	الاحتساب	قصة قصيرة	13
10	ابن الملك	الحكمة	قصة قصيرة	14
11	صديقتي المفضلة	اليقين	قصة قصيرة	15
12	حوار مع شيطان ـ للشيخ عائض القرني	كيد الشيطان	حوار مطول	15
13	خادمات يتبولن في الأطعمة ويوقعن البنات في غرامهن!	سوء المعاملة	قصص قصيرة	17
14	يَحمل متاعَه على ظهر الأسد!	الاصطبار	قصة قصيرة	18
15	ثابت بن قيس الأنصاري – رضي الله عنه –	شرف الصحبة	قصة قصيرة	19
16	الإمام البخاري رحمه الله تعالى	سيرة ذاتية	قصة لها عبر	20
17	اعترافات طالبة جامعية	الندم والتوبة	قصة طويلة	22
18	إسلام البروفيسور تاج آتات تجاسون	قبول الحق	قصة قصيرة	24
19	ترك الحرام فخرج من جسده المسك	خوف المعصية	قصة قصيرة	25

20	النبي ذو الكفل عليه السلام	الصدق	سيرة نبي	26
21	أم سليم الأنصارية والزواج	الدعوة	قصة وموقف	27
22	العرضحالجي	الكفاح	قصة قصيرة	28
23	اسق حديقة فلان	نفع الآخرين	قصة نبوية	28
24	قصة الشكاك	السذاجة	موقف طريف	28
25	قصة حرق طارق بن زياد لمراكبه	الشجاعة	قصة قصيرة	29
26	إنما المَكان بعُمَّاره	أثر الناس	حكمة	31
27	المكلومَة الصابرة	الرثاء	قصة قصيرة	31
28	الموتُ حار الكل في أسبابه!	الرثاء	موقف حزين	33
29	المودع الكريم	التهنئة	موقف سار	35
30	الموسيقى داءٌ ، وليست بدواء	حقيقة إسلامية	تقرير وفتوى	30
31	النادلة والشهم!	الشهامة	قصة قصيرة	41
32	النادلة والغجري!	الشهامة	قصة قصيرة	41
33	النار الرماد	الثبات	موقف غرامي	42
34	الناس معادن	حقيقة	تقرير	43
35	الناقة والسايس	الاسترقاق	تقرير حقيقة	44
36	الناقد الأدبي المؤرخ (شوقي ضيف)	سيرة مؤرخ	تقرير	44
37	الناقد الصادق	التحقق	مقالة	45
38	أنا النذير العُريان	إبراء الذمة	تشخيص حالة	45
39	النسر والوجه الآخر	المناصحة	موقف	46
40	النفق المظلم	مشاكل زوجية	موقف	47

41	قصة القصيدة النونية السليمانية الشاعرة! (حسان)	الفرحة	قصة قصيرة	48
42	إله واحد ودين واحد يا أستاذ الجامعة!	التوحيد	قصة قصيرة	58
43	الهجرة النبوية نقطة تحول!	السيرة	تحليل ورأي	60
44	الوجدانُ العقيم	سرقة الشعر	تحليل ورأي	63
45	الحذر الحذر من الوجدان العقيم	الخديعة	قصة قصيرة	64
46	الوحدة بر الأمان	الوحدة	قصة قصيرة	65
47	الوصِية الخالدة	زجر النفس	رأي شخصي	67
48	الوعد الملتهب	القناعة	رأي شخصي	68
49	الوقت كالسيف	قيمة الوقت	تحليل واقعي	68
50	الوهم	الغيرة العمياء	تحليل واقعي	71
51	رسالة إلى عبد الله بن سبأ	السيرة	تحليل تاريخي	71
52	انحدار إلى عالم (الأغاني)	السقوط	رأي ونصيحة	75
53	رسالة إلى المتاجرين بالقيم	كشف المرتزقة	رأي وتحليل	75
54	رسالة إلى المرتزقة	النصيحة	رأي وتحليل	76
55	عرفتُ الطريق إلى عالم الوهم	الخديعة	قصة وموقف	77
56	إلى أمة الإسلام	تشخيص الحال	بحث وتقرير	77
57	من الهاوية إلى بر الأمان	خطر الإدمان	التحذير	90
58	إلى صاحب القلم النزيه	المدح	مقالة قصيرة	92
59	إلى صديق حزين	الشجن	مقالة قصيرة	92
60	إلى عالم الدنس تذهبون!	اختلاف	رأي	92
61	رسالة إلى فنانةٍ معتزلة	المدح	رأي	93

62	إلى مظلوم مقهور	الظلم	موقف	94
63	إلى من يهمه الأمر	ظلم العربية	موقف	94
64	رسالة أبوين إلى ولد عاق!	النصيحة	قصة قصيرة	96
65	رسالة إلى ولدي	الرسالة	قصة قصيرة	97
66	يوسف إستس القس الأمريكي السابق	البحث الجاد	قصة طويلة	98
67	العدل أساس الملك 2	العدالة	قصة قصيرة	103
68	المرأة الحكيمة الواعية!	الحكمة	قصة قصيرة	104
69	نعمة الستر	الحكمة	قصة قصيرة	104
70	دهاء امرأة	الذكاء الحاد	قصة قصيرة	105
71	دهاء رجل	الدهاء والمكر	قصة قصيرة	105
72	شكوى امرأة لربها تعالى!	الشكوى لله	موقف خاطف	106
73	آية في التسامح!	التسامح	قصة قصيرة	106
74	رجل دخل الحجرة النبوية الشريفة	اتباع الآثار	قصة قصيرة	107
75	أثناء حصار المدينة سنة 5 هـ في غزوة الخندق	الثبات	قصة قصيرة	108
76	كيد النساء	الكيد والدهاء	قصة قصيرة	109
77	موقف صلاح الدين من أرناط	ذكاء القيادة	قصة قصيرة	109
78	رحلة مدرسية	شكر الجميل	موقف خاطف	110
79	الصحابي أنس بن النضر	الشجاعة	قصة قصيرة	110
80	الأب العجيب	حقيقة الأبوة	قصة قصيرة	111
81	القيد الخفي	حكمة التعامل	قصة قصيرة	111
82	المرأة الفقيرة	الرحمة	قصة قصيرة	112

83	ذكاء معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنهما -!	الحكمة	قصة قصيرة	112
84	تعزية ساخرة	الدعابة	قصة قصيرة	113
85	الخضر ونبوته؟	النبوة والحكمة	قصة قصيرة	113
86	يحطم كبرياء رستم	العزة في الحق	موقف عابر	114
87	أيتها الحيات والسباع: نحن أصحاب رسول الله!	حب النبي	قصة قصيرة	115
88	رسالة إلي مسيلمة الكذاب	كشف الدجل	موقف قصير	115
89	الياسمينة	الرسالة	خاطرة أدبية	115
90	اليتيم والوجه الآخر	اليتم وذله	قصة قصيرة	116
91	اليتيم	اليتم وقهره	قصة قصيرة	117
92	اليراع الثائر	القلم ودوره	خاطرة أدبية	117
93	اليراعُ الذبيحُ بين الظل والحرور	الصبر والثبات	قصة قصيرة	119
94	أريج اليراع الشاعر	القدرة اللغوية	قصة قصيرة	120
95	اليراع والدموع	الحزن والألم	قصة قصيرة	120
96	أليس الصبحُ بقريب؟	التوقع	قصة قصيرة	121
97	أليس شاب شعره؟!	النصيحة	خاطرة أدبية	122
98	أليس لك بُنيات؟!	مراقبة الله	قصة قصيرة	123
99	بين اليقظان والنائم	الخديعة	خاطرة أدبية	123
100	إليك وحدك يا حمزة يا أسد الشعر	الإطراء	خاطرة أدبية	124

تم بحمد الله وتوفيقه وعنايته ورعايته إتمام (شرائح قصصية سليمانية 6)

نبذة عن أحمد على سليمان عبد الرحيم

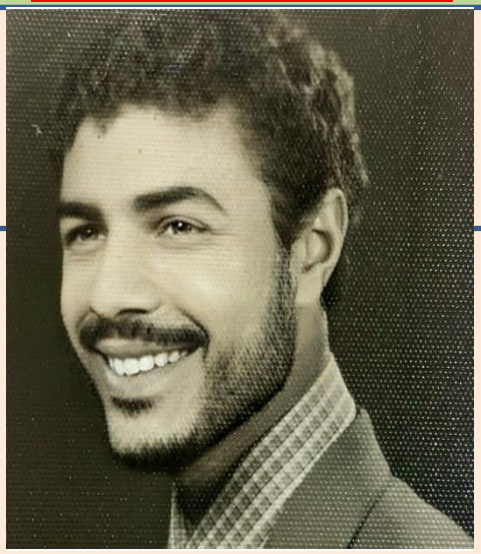

(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية - محافظة بورسعيد - تقاطع شارعي روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب – قسم اللغة الإنجليزية - جامعة المنصورة - مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صَعيديٌ قح أباً وجداً وأعماماً من بيت خليفة - الكولة - مركز أخميم - محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية - لم يُقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونثره ونقده بالحسنى - بتوفيق الله – سبحانه وتعالى -!

ويمكننا إجمال الدواوين والقصائد والمجموعات الشعرية والكتب في هذه القائمة:

أولاً: الدواوين الشعرية

1 – نهاية الطريق: (ديوان شعر).
2 – عزيز النفس: (ديوان شعر).
3 - سويعات الغروب: (ديوان شعر).
4 – القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
5 - ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
6 – الأمل الفواح: (ديوان شعر).
7 – من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
8 – الصعايدة وصلوا: (ديوان شعر).
9 – ذل الجمال: (ديوان شعر).
10 – ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
11 – دموع التصبر: (ديوان شعر).
12 – عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
13 – فأعِضُّوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
14 – الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
15 – غادة اليمن: (ديوان شعر).
16 – عزة الخير: (ديوان شعر).
17 – منار الخير: (ديوان شعر).
18 – غربة وحَربة وكُربة: (ديوان شعر).
19 – الطبيبتان: (ديوان شعر).
20 – عجبتُ من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
21 – أعلام الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
22 – كالقابض على الجمر: (ديوان شعر).
23 – من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
24 – خانك الغيث: (ديوان شعر).
25 – الشعر رحمٌ بين أهله: (ديوان شعر).
26 – وداعاً أيها القريض! (ديوان شعر).

ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

1 - قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
2 – قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية وشعرائها: عنترة بن شداد العبسي.
3 - السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
4 - ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.
5 – ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم -!
6 – إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرتُ بها في حياتي العملية والعلمية)

ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

1 – الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحياً!
2 – القاتل البطيء (التدخين)
3 – بين شوقي وحافظ!
4 – ثاني اثنين إذ هما في الغار
5 – عُمَير بن وهب الجمحي – رضي الله عنه -.
6 – لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
7 – من أجل زوجي!
8 – هشام الشريف (القاضي المصري الرحيم)
9 – فرانك كابريو (القاضي الأمريكي الرحيم)
10 – يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
11 - يزيد بن معاوية (ما له وما عليه)
12 – رباعيات الخيام اليمنية (معارضة لعمر الخيام)
13 – ابتسم! (معارضة لإيلياء أبو ماضي)
14 – إبراهيم مصطفى صديقاً وصهراً
15 – أبو غياث المكي – رحمه الله –
16 – أتيناكم! أتيناكم!
17 – أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحوياً وناقداً
18 – أستاذي قال لي! (عريف الكُتاب – رحمه الله -)
19 – قراءة في أوراق الماضي (القصيدة الوحيدة من شعر التفعيلة)
20 – أسماء الله الحسنى
21 – الآن طاب الموت (السلطان سليمان القانوني)
22 – التلون أخو النفاق من الرضاعة
23 – موقع (الديوان) منتجع الشعراء
24 – (الزاهية) تحدثنا عن نفسها
25 – أبجديات شعرية
26 – الشعر رحِمٌ بين أهله
27 – الله يرحمُ مُزنة
28 – رسالة شعرية إلى أم يوسف
29 – امتَهنوا فما امتُهنوا! (علماء السلف رحمهمُ الله)
30 – تراني عندما أرى لحيتك!
31 – لا فضّ فوك يا دكتور بدر العتيبي!
32 – بُردة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –
33 – بردة عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما –
34 – بردة عثمان بن عفان – رضي الله عنه –
35 – بردة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –
36 – بردة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –
37 – بردة فاطمة بنت محمد – رضي الله عنها –
38 - بكائية إسماعيل علي سليم (فقيد التربية والتعليم)
39 – نعم الميّت ، ونعمت المِيتة! (رثاء فقيد الأزهر الشريف)

40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
42 – تغير الحال أم الخال؟!
43 – تلميذي البار شكراً!
44 – تيس يرث نعجة! (جيء به محللاً فورثها)
45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
46 – جاز المعلم وفه التبجيلا! (معارضة لشوقي)
47 – حادي القلوب (ظفر النتيفات)
48 – حبيبتي أقبلتْ! (معارضة لجاءت معذبتي لابن الخطيب)
49 – حرامية الشعر!
50 – حنين القلب (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
51 – حنين بقلبي (معارضة للعشماوي)
52 – خانك الغيث (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
53 – رثاء الدكتور الشربيني أبو طالب (معارضة لشوقي)
54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد)
55 – رسالة إلى دائنة!
56 – رضيعة الحاوية (رماها أبوها رضيعة فنفعته في كبره)
57 – رفقاً بنفسكِ يا صاحبة الدموع (عائشة – رضي الله عنها -)
58 – رفيدة بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها –
59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
60 – سمية بنت خياط – رضي الله عنها –
61 – سنسافر أنا والكتب (عبد الرشيد صوفي)
62 – ضحية تعتب على قاتلها (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
63 – طبت حياً وميتاً يا أبتاه!
64 – طبت حياً وميتاً يا رسول الله!
65 – طبيب الغلابة (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
66 – ظلم الشقيقتين (كفلهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
67 – عاشقٌ عزيز النفس (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
69 – عجبتُ للنذل
70 – عجبت من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبتُ لا تنتهي)
71 – غادة اليمن (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
72 – وربما حار الدليل!
73 – يا جارة الوادي اليمنية (1 & 2) (معارضة لشوقي)
74 – لصوص القريض
75 – لقاؤنا في المحكمة
76 - لوعة الرحيل
77 - مسألة كرامة (تحويل (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى)
78 – كفى تبرجاً وقبحاً (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
79 – مصابيح الدجى (علماء السلف – رحمهمُ الله -)

80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء
81 – منار الخير (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
84 – الأطلال اليمنية (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)
85 – الكائنات الفضائية!

رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

1 – الغربة سلبيات وإيجابيات
2 – إلى هؤلاء أتكلم!
3 - آمال وأحوال
4 – أمتي الغائبة الحاضرة
5 – أنات محموم وآهات مكلوم
6 – أوبريت هيا إلى العمل (أوبريت غنائي للأطفال)
7 – تحية شعرية والرد عليها
8 – رمضان شهر الخير والبركة
9 – عندما لا نجد إلا الصمت
10 – يا أماه ويا أختاه كفا الدمع!
11 – بيني وبينك!
12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء
13 – دموع الرثاء وبكاء الحُداء (1 & 2)
14 – رجالٌ لعب بهمُ الشيطان
15 – رسائل سليمانية شعرية
16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)
17 – شرخ في جدار الحضارة
18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
19 – ضدان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة (1 & 2&3)
20 – عندما يُثمر العِتاب
21 – فمثله كمثل الكلب!
22 – قصائد لها قصص مؤثرة (1 : 10)
23 – كل شعر صديق شاعره
24 – مساجلات سليمانية عشماوية
25 – مراودة ومعاندة (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –
27 – الزاهية تحدثنا عن نفسها (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
28 – الشهادة خيرٌ من النفوق!
29 – الصبر تِرياق العلل والداءات
30 – الصعيد مهد المجد والسعد
31 – الضاد بين عدو وصديق
32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى
33 – الغربة دُربة على الطريق

34 – الغيرة غير القاتلة
35 - القصيدة ابنتي
36 – اللغة العربية وصراع اللغات
37 – اللقيط بريءٌ لا ذنب له!
38 – المال والجمال والمآل
39 – المشاكل الزوجية توابل الحياة (1 & 2)
40 – المعلم صانع الأجيال
41 – الوحدة بر الأمان (مسرحية من فصل واحد)
42 – اليُتْم غنمٌ لا غرم
43 – أمومة وأمومة
44 – أهازيج بين الشعر والشاعر
45 – أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
46 – أهكذا يُعامَل الشقيقُ يا هؤلاء؟!
47 – بين الفتنة والفطنة!
48 – بين هندٍ وزيد!
49 – جيران وجيران!
50 – رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
51 – عزة الخير (أم عبد الله)
52 – فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
53 - قصائدي القصيرة المشوقة (1 & 2)
54 – مدائح إلهية شعرية
55 – اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم
56 – البُردات الشعرية السليمانية
57 – عيون الدواوين السليمانية
58 – معارضات سليمانية شوقية (معارضاتي لشوقي)
59 – المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء) (1&2&3)
60 - مقدمات وإهداءات شعرية
61 – من أزاهير الكتب
62 – من الأجوبة المُسكتة المُفحمة
63 – من أناشيد الأفراح
64 – نحويات شعرية
65 – نساء صَقلتهن العقيدة
66 – نساءٌ لعب بهن الشيطان
67 – وتبقى الحقيقة كما هي!
68 - وصايا شعرية!
69 – أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان
70 – النفس في شعر أحمد علي سليمان
71 – الأندلس في شعر أحمد علي سليمان
72 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
73 – الدنيا في شعر أحمد علي سليمان
74 – الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
75 – العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان

76 – المنشدون في شعر أحمد علي سليمان
77 – علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان
79 – رسائل شعرية لمن يهمه الأمر
80 – ماذا قال لي شعري؟ وبم أجبته؟
81 – مواقع متفردة لهمم مغردة!
82 – المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3
83 – التوبة في شعر أحمد علي سليمان
84 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
85 – أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان
86 – نصيب طلابي من شعري
87 – حضارة البِطنة لا الفِطنة
88 – إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2
89 – لا ينبغي أن ننخدع بلحن القول!
90 – الإدمان ذلك الشبح القاتل!
91 – دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان
92 – المرتزقة في شعر أحمد علي سليمان
93 – القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان
94 – وترجون من الله ما لا يرجون
95 – قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان
96 – الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان
97 – الإسلام في شعر أحمد علي سليمان
98 – صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (1&2&3)
99 – الموت في شعر أحمد علي سليمان
100 – لماذا؟
101 – (لا) كلمة لها وقتها!
102 – هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان
103 - أخرْتُ عمّنْ هان رد سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)
104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان
105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
106 – أين؟!
107 – الحب في شعر أحمد علي سليمان
108 – القلوب في شعر أحمد علي سليمان
109 - الشعر والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان
111 – أيومة إلى الأبد!
112 – شتان بين البر والعقوق
113 – الملك والأميرة!
114 - عنوسة مع سبق الإصرار والترصد
115 – الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان
116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان
117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان

118 – الأميرات الثلاث!
119 – عندما!
120 - تحايا شعرية سليمانية (1&2&3)
121 – القصيدة الزينبية 2
122 – شمس العرب تسطع على الغرب!
123 – تحيتي لموقع الشعر والشعراء!
124 - الخلق والعلم معاً - الأستاذ محمد الكيلاني!
125 - الشعر حنينٌ ورنينٌ وأنين!
126 - امرأتان من صعيد مصر! (هاجر&مارية)
127 - إنها تذكرة!
128 - زواجٌ بالإكراه!
129 - شِعرٌ يؤبّنُ صاحبَه!
130 - وهل من مات يعود إلى الدنيا؟!
131 - محاكاة لامية ابن الوردي!

خامساً: الكتب القصصية

شرائح قصصية سليمانية في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة مختلفة الموضوعات ومتنوعة في الكم والكيف!

سادساً: الكتب الإنجليزية

1. Proofreading Drills (1-12)
2. Reading Drills (1-50)
3. Reading Quizzes (1-111)
4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
6 - Conversation Skills
7 - Correction Exercise (1-100)
8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
9 - Grammar Tasks (1-77)
10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
12. Punctuation Tasks (1-56)

13. Reorder Quizzes (1-34)

14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

15. Writing Practices (1-76)

16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

18. Raymond's Run – Toni Bambara

19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages!

Teaching English - Arabic and Religion only to the foreign students

Academic Rank	Teacher - Coordinator – English - Programmer – Poet - Writer
Degrees	Bachelor of Arts .Department of English and its Literature , Mansoura University – Egypt , May 1985.
Research field	Teaching English as a first language. Teaching social studies. Teaching Arabic using Arabic or English. Teaching French. Teaching Social Studies to Non-Arabs .Teaching Literature
Publications	1. The Basics of Education. (Criticism) New Education Magazine 2. Education Yesterday, Today and Tomorrow. Forum 3. Modern technology and Education. Usual Reader 4. The Best Qualities of a good teacher. Forum 5. How to teach Vocabulary. (Criticism) Forum 6. How to teach a song. Forum 7. How to teach a short story. Usual Reader 8. How to study English with your son. Usual Reader 9. How to present general information. Usual Reader 10. Skimming Reading and Scanning Reading Skills. 11. William Hazlet as a critic. 12. Aldous Huskily as a critic. 13. Styles of translation.

	14. How to teach Grammar. 15. Writing Operation Skills. 16. The Listening Lesson. 17. Glorious Classroom Management. 18 – How to prepare your exam paper.
Courses taught **(last 3 years)**	1. Straight Planning (European System) 2. Strategic Planning (American System) 3. Poor Students Evaluation. 4. Education Theories. 5. Scientific Research Results. 6. The Successful Education. 7. Advantages of Culture and disadvantages of it. 8. Roles of Computers in Educational Operation. 9. English away from Classroom. 10. How to test your students.
Employment	* English Teacher from 1986- 1990 in Egypt (Secondary Stage) * English Teacher since 1996 in Ajman (Primary Stage) * English Teacher since 2008 in UAQ (Preparatory Stage) * English Teacher since 2009 in RAK (Preparatory Stage) * English Teacher and English Coordinator since 2010 till today in the (American English) in the American Department. For the upper grades from 7 , 8 , 9 American.

Honors and Awards	1. Appreciation Certificate from faculty of Arts 1985 in Translation. 2. Appreciation Certificate from Secondary Institute in 1986. 3. Appreciation Certificate from Al-Rashidiah School in 1993 4. Appreciation Certificate in 1998. 5. Appreciation Certificate in 2008. 6. Appreciation Certificate from Modern School in 2009. 7. Appreciation Certificate from National School in 2010. 8. Arabic Protection Community 2004.
Volumes of Poetry	1 – The End of the Road 2 – The Confident Man 3 – The Hours of the Sunset 4 – The Bloody Snail 5 – A Tone on the Love's Wall 6 – The Perfume Aspiration 7 – The Tendency of Memories (Part One) 8 – The Upper-Egyptians had arrived! 9 – The Surrendering of the Beauty 10 – The Shoes Woman-Cleaner 11 – Patience Tears 12 – Blaming and Complaint 13 – Say frankly without Simulation 14 – Poetry is my Rosary

	15 - Yemeni Young Girl 16 – Azzah, the Lady of Goodness 17 – The Beacon of Goodness 18 – Estrangement, Bayonet and Sadness 19 – The Two Women –doctors 20 – I wander of the Ability of Allah, The Al-Mighty 21 - The Gentlemen of the Sacred Land 22 – Like the One who catches Fire!
Other Literary Books	23 - The Tendency of Memories (Part Two) 24 – The Rain betrays you! 25 – Poetry is a Merciful Mother among Poets! 26 – Bye Bye , My Poetry! 1 – Stylish Reading in the Poetry of Hassan Bin Thabit Al-Ansari – May Allah Be Pleased with Him -. 2 - Stylish Reading in the Poetry of Antara Bin Shaddad Al-Absi. 3 – The Story life and the Self-Road 4 – Ahmad Solaiman's Life